كتاب
التعاليم الدينية
فى
اصلاح الهيئة الاجتماعية

تاليف

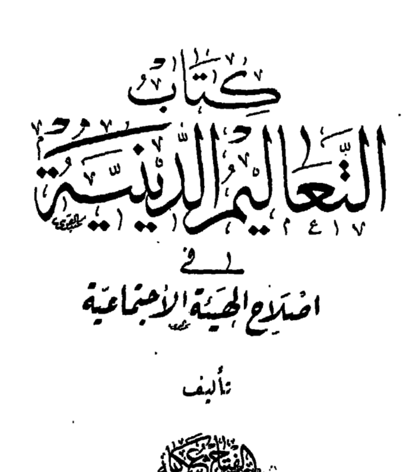
عبد الفتاح عكاشة عرفات

خريج التخصص فى القضاء الشرعى

ومحام

سنة ١٣٤٧ هـ — سنة ١٩٢٨ م

مكتبة ومطبعة السماح بشارع حسن الاكبر بعابدين بمصر



خريج التخصص فى القضاء الشرعى

سنة ١٣٤٧ هـ — سنة ١٩٢٨ م

مطبعة السماح بشارع حسن الاكبر



« حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم »



اهداء الكتاب الى السدة الملكية

حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم وحاكمنا الدستورى المحبوب وولى أمرنا الشرعى ووارث عرش المملكة المصرية المفدى « فؤاد الاول » ادام الله ملكه ونصر الاسلام به

مولاى ان من فضل الله علينا وعلى المسلمين جميعا ان اقتفيتم آثار رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاعمال النافعة والمبرات الخالدة ابتغاء مرضاة الله تعالى وحبا فى الوطن اذ قمت بعوامل الاصلاح ووسائل التقدم بفكر ثاقب وسياسة حازمة وتبصر فى عواقب الامور فشيدت المعاهد العلمية والملاجيء الخيرية وكفلت المعوزين وقمت بعمارة بيوت الله تعالي « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين » الامر الذي عمت فوائده البلاد والعباد

فاتحدت بشخصكم الكريم جلائل الفضائل التى أورثكها الله تعالى بفضل دفاعك عن دينه القويم ومشكور سعيك لاعلاء شأن المعارف ونشر العلم وتمهيد سبله للناشئة من امتك حتى اعدت للاسلام مجده ورفعت للعلم قدره فبرهنت لامتك المصرية فى مواطن كثيرة على مشاطرتك لها

فى كل أما نيهامشاطرة فعلية وطالما بذلت جهودا عظيمة فى ظروف عصيبة ليتم استقلالها وتمنح كل ما تتطالبه من حق مستطاع فى عهد دستور حر صحيح وحياة نيابية حقيقية تحقق مصلحة البلاد على يد خير رجال عاملين مخلصين اكفاء

مولاى ان مثلى له اسمي الشرف واعظم الفخار بان يتقدم للأمة المصرية فى شخصكم الرفيع بمؤلف هو حسنة من حسناتكم وقطرة من بحر معارفكم دعاه الى القيام بوضعه باعث الغيرة الدينية والحمية الوطنية فى وقت نهض فيه مولاي بالعلم فشيد صرحه وأقام مناره وعقد الويته فوق رؤوس ابنائه نخلص عقولهم من ربقة الجهل وسرعان ما ارتفع مستوى التعليم بين ذلك النشء واتسعت مدارك المتعلمين بفضل سهره على رقى التعليم وتقويم الاخلاق ومحافظته على الدين وحرصا على مصلحة الامة ورفعها الى مستوى الامم الراقية قديما وحديثا

مولاى لا ابتغى من عملى هذا سوى رضاك بعد رضاء الله تعالى وخدمة أبناء وطنى الاعزاء

لهذا أرجو التفضل بقبول كتاب توج بكريم اسمك وحلى بشريف رسمك ليحوز منتهى الشرف بالنسبة اليك وليكون دليلا على اليمن والاسعاد لا زال مولانا ناصرا للدين وموئلا لامة هى أحوج الي الاخذ بيدها الى أوج الكمال والتقدم والرقى بارك الله لنا فى مليكنا وابقى له وللامة ولى عهده الامير فاروق انه سميع مجيب ﴿ الداعى لمولاه

عبد الفتاح عطاشه عرفات

الباعث الى تأليف هذا الكتاب

ان الذى حدا بى ان أطرق باب الكتابة فى موضوع كهذا تبارت فيه اقلام الكتاب وكلت منه السنة الوعاظ هو سوء مانحن عليه الآن مما ينافى الآداب المطلوبة مع الله تعالي فقد انتهكت حرمات دينه واهملت واجباته وخولفت اوامره ونواهيه سرا وعلانيـة وما خلق الجميـع الا ليعبدوه ويطيعوه

والمسلمون منهم أولى الناس بالامتثال لطاعة الكبير المتعال قال جل شأنه (وما خلقت الجن والانس الا ليعبـدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

ولما كان المؤمنون مطالبين بالتناصر والتراحم لبعضهم وهم متكاتفون فى جلب المصالح ودرء المفاسد بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال صلى الله عليه وسلم (من راي منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبـه وذلك اضعف الايمـان) لذلك قلت وان سبقنى من له الفضل فى التقدم

اسير خاف ركاب النجب ذا عرج ... مؤملا خير ما لقيت من عوج
فأن لحقت بهم من بعدما سبقوا ... فكم لرب السما فى الناس من فرج
وان ضللت بقفر الارض منقطما ... فما على أعرج فى ذاك من حرج

وولجت باب الكتابة مندفعـا بباعث وجدانى وخضت غمار مضماره

وان كنت لست من فرسان ميدانه ولا من رجالات مقامه مستعينا بالله ومتوسلا بمصطفاه لأستمد العون من مدده واغترف من فيض بحره حتى اقول حقا واروى صدقا مستندا فى كتابتى الى الادلة القرآنية والسنة المحمدية وهدى الخلفاء الراشدين والسلف الصالح ومستشهدا بصحيح الحوادث ومعقول النظريات وضمنت كتابى هذا تمهيدا ومقصدين (المقصد الاول) فى بيان مدنية الدين الاسلامى ومنافعها للناس والمدنية الحديثة وتأثيرها فى الاخلاق وضررها بالمجتمع الانسانى (المقصد الثانى) فى آداب الحفلات والمجتمعات وبيان الطرق المشروعة لاقامتها ولتلاوة كتاب الله تعالى وسماعه فيها فجاء بحمده تعالى على ما يرام من وضعه سهل العبارة مالوف اللفظ مدعما بالنصائح الأخلاقية والأرشادات الدينية (ان اريد الا الأصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

لك الحمد على نعمك المتواترة يا من لا نحصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك ولك الشكر على ما الهمتنا به من معرفة وحدانيتك فى آثار قدرتك وسهلت لنا طريق الوصول الي هدايتك فعرفنا الحق حقا والباطل باطلا فادركنا حقيقة عبوديتنا لك وخضعنا لعظمة الوهيتك والصلاة والسلام علي من أدبته فأحسنت تاديبه ذلكم المصلح الحكيم والرسول الهادي الأمين المرسل بشريعة سمحة وآيات محكمة جاءت تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد صليت عليه انت وملائكتك الكرام وامرتنابالصلاة عليه والسلام فقلت (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وجعلت الايمان بك متوقفا على الرضاء بحكمه والانصياع لأمره وقضائه فاقسمت بذاتك العلية وانت تعلم قدرها قائلا (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

فصل اللهم عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الراشدين المهديين من بعده اولئك الذين عنوا بضبط كتابك وسنة رسولك صلي الله تعالى عليه وسلم فبلغوا الناس عنه الحق بلسان الصدق (ياايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)

تمهيد

يشتمل على جملة مباحث تتعلق بموضوع الكتاب

المبحث الاول

فى فضل الاسلام على الناس

قام رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالي عليه وسلم على رأس الأربعين من عمره بدعوة عامة للخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الي الله بأذنه وسراجا منيرا فى وقت كان الناس أقرب فيه الى الوحشية منهم الى الانسانية لما جبلوا عليه من عوائد مستقبحة واخلاق مذمومة وجهلهم بخالقهم اذ كانوا يسجدون لأصنام صنع ايديهم لا تملك لهم نفعا ولا ضرا حجتهم فيها تقديس آبائهم لها فعبدوا اللات(١) والعزي(٢) ومناة(٣) الثالثة الأخري وودا(٤) وسواعا(٥) ويغوث(٦) ويعوق(٧) ونسرا(٨) وغيرها كعبادتهم

(١) اسم لصنم كانت تعبده ثقيف بالطائف (٢) اسم لشجرة كانت تعبدها غطفان وقد قطعها سيدنا خالد بن الوليد (٣) اسم لصخرة كانت تعبدها هذيل وخزاعة (٤) ود بفتح الواو وضمها مع تشديد الدال المفتوحة صنم على صورة رجل (٥) صنم على صورة امراة (٦) صنم على صورة اسد (٧) صنم على صورة فرس (٨) صنم على صورة نسر

انتقلت هذه الاصنام الخمسة عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكليب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى اسماء لرجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ادعي لهم الى دوام الذكري ولما طال الزمن عبدوهم من دون الله

الشمس والنار وكانوا ينكحون زوجات آبائهم ويجتمعون(١) على امراة واحدة بعقد ويئدون(٢) بناتهم خشية الفقر ولحوق العار ويتفاخرون بشن الغارات وسفك الدماء بينهم وسلب اموال بعضهم بعضا ظلما وعدوانا الى غير ذلك مما كان سببا فى اقامة الحروب بينهم مئات السنين

ولقد رسخت فى نفوسهم هذه العقائد والعوائد والاخلاق التى ورثوها عن آبائهم واجدادهم واشربوا في قلوبهم حبها فكانت غايتهم التى يبتغونها من حياتهم بخوضهم تلك المعامع واندفاعهم فيها ان يعرفوا بين القوم بالشجاعة والفروسية وان يفتخروا بالاحساب والانساب ويتنابذوا بالالقاب ولم يكونوا على شيء من مكارم الاخلاق سوى ما كان يتعلق بالانفة والكبرياء والتحريض على الضرب والطعن بمنظوم اشعارهم ومنثور كلامهم كقول بعضهم لآخر

وما عابك ابن السابقين الى العلا تأخر اقوام وانت مقدم
ومالك لا تلقى بمهجتك القنا وانت من القوم الذين هم هم

ولما هم عليه من قوة الحجة فى البلاغة مما كانوا يرفعون به من يمدحون ويحطون قدر من يهجون ويخدعون الالباب ويذلون الصعاب

---

(١) كان يجتمع الرجلان والعشرة على امراة واحدة بعقد معها ويقسمون الزمن للتمتع بها ويقوم كل منهم بجزء من نفقاتها اللازمة لها (٢) يدفنون بناتهم صغارا احياء خشية العار والفقر قال تعالى (واذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت) ورد انه يؤتى يوم القيامة بالموءودة بين يدى الوائد ويسأل عن سبب وءدها ليكون ذلك اشد وقعا على الوائد حين تجيب بانها قتلت بلا ذنب

بما يأتونه من السحر الحلال اعتقدوا ان الكلام طوعهم والفصاحة طبعهم وما زالوا ينادون بذلك تفاخرا بينهم حتى ظهرت فيهم شمس النبوة وسطع عليهم نور الرسالة وتلألأت بينهم آيات القرآن المحكمة باسلوبها الحكيم

فبهرهم ماراوه من بلاغة تلك الآيات وفصاحتها مما اعجز بلغاءهم واخرس فصحاءهم سيما على لسان رسول امى جاء بتعاليم صالحة وسنن قويمة ليخرج الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم قال تعالى « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » فارشدهم الى ما فيه الخير لهم والسعادة وحذرهم عما فيه الشر عليهم والشقاوة فاخذ بيد ذوي العقول السليمة ممن صدق به وآمن وانقذهم مما كانوا فيه من دنايا الامور وقبيح الاعمال وبذاءة القول الي مكارم الاخلاق وجميل الافعال من كل فضيلة تصلح حالهم مع خالقهم وتنظم شأنهم مع بني جنسهم فقنن للناس اعدل القوانين وسن لهم احكم الشرائع فارتفع شأن من عمل بها واصبح المسلمون بتلك التعاليم الدينية ارفع الامم شأنا واعظمها قدرا اذ خضعوا لاحكام الدين الاسلامى وتمسكوا بعقائده عاضين عليها بنواجذهم جاعلين تلك الاحكام التى كفلت مصالحهم معاشا ومعادا نبراسا لهم فى حياتهم يسيرون عليه ويهتدون به يفعلون ما امروا به طائعين ويتركون مانهوا عنه غير نادمين

فتم لهم امر دينهم ودنياهم ونجز لهم ربهم ماوعدهم به فى قوله تعالى « وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم

من بعد خوفهم امنا » فاصبحوا خلفاء الارض آمنين مطمئنين ممكنين من دينهم الذى ارتضاه الله لهم مستمسكين بعروته الوثقى التى لا انفصام لها فاستقلوا بشئونهم وانتصروا على الظالم لهم فاستقام لهم الامر ووصلوا الى غايتهم التى كانوا يبتغونها من بلوغ المجد والسؤدد والسعادة والهناء

ولقد بلغت الامة الاسلامية عندئذ من التقدم والرقى وسعة الملك مالم تبلغه امة غيرها اذ اظهرهم الله تعالي على جزيرة العرب فافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على ممالك كثيرة مع عظمها وكثرة عددها ووفرة مالها وعددها وامتداد اطرافها خضعت لسلطانهم وعملت تحت لوائهم حتى خشيت الامم اذ ذاك على انفسها من صولة سلطانهم وقوة ايمانهم وخصوصا الغربيين حنقوا عليهم تغيظا منهم فنظروا اليهم بعين ملوءها الحقد والحسد على ما كان عليه المسلمون وقتئذ من عزة ومنعة وقوة وعظمة واخذوا يعملون على اخماد حمية الدين فى قلوب المسلمين تلك التى كانت مبعث الشر عليهم وظلوا يسعون فى ضعف سلطانهم بكل ماوسعهم من انواع العلاج فسلكوا الشدة احيانا واستعملوا اللين اطوارا فلم يفلحوا فى سعيهم

ذلك لأن نهضة المسلمين التى قاموا بها ووحدتهم التى كونوها كانت قائمة على اساس الدين المتين الأمر الذي جعل غيرها من الامم يرقبها فى حركاتها وسكناتها منافسا لها حتى جعله يضع لها فى سبيل رقيها وتقدمها

ما يعوقها ويؤخرها وهذا امر طبعى فى نفوس الأمم فان كل امة تود ان يكون لها من القوة والسلطان وسعة الملك ماليس لغيرها سنة الله فى خلقه « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

المبحث الثانى

« تقدم الامم وتأخرها على قدر تمسكها بدينها »

لو أنا تتبعنا الامم وبحثناها من وجهة تقدمها وتأخرها لوجدنا عزتها وذلتها وارتفاعها وانحطاطها يدور مع تمسكها بدينها واهمالها فيه واذن فالعلة فى تأخر الأمة الاسلامية الآن عن تقدمها والسبب الذي اقعدها عن رقيها وعن مضارعتها لمن ارتفع شأنهم من الامم لم يكن الا نبذها لأحكام دينها وعدم العمل بقوانينه وترك ارشاداته

فقد اضاع المسلمون وحدتهم التى دعاهم اليها قانوننا السماوى قال تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » فانفصمت عري تلك الرابطة بينهم وانقطعت روابط التعاون وانصرفت عزائم افراد الأمة عما يحفظ وجودها واخذ القنوط بما لهم وساءت احوالهم اخلاقا وضعفت عقائدهم دينا ونظر الرؤساء الى مصالحهم الشخصية وتمسكوا بالحزبية لذلك ذهب ما كان لهم من عز وقوة وسلطان وصولة «ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

فانت ترى ابناء هذا الدين شوهوا وجه حقيقته بجبهم المظاهر وتعلقهم بالعرض الزائل فقضوا على نتائج العلم وفضائل الحق تحت قيادة من ظهر دخيلا علي العلم وليس من أهله فسمى نفسه باسم العلماء ولبس تمويها زى الفقهاء واخذ يظهر دعايته فى قالب رشد « ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قلبه العذاب واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون »

هؤلاء تحركهم الآن يد اجنبية لبث روح الالحاد ونشر الاباحية التى يخشى منها على النشء ان تتأصل فى نفسه فتتغير عقيدته من التوحيد والتقديس الى اللادنية والاباحية المطلقة بواسطة من كانوا القضاء على الدين ومحاسنه والعلم ونتائجه فتراهم اظهروه لمن جهله فى صور خرافيه ورسوم خيالية وفات من غرروا بهم ان دين الاسلام دين المدنية الصادقة واساس العمران الصحيح « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

المقصد الاول

حفظ الله لدين الاسلام وادلة ذلك

ان هذا الدين القويم محفوظ بعنايه الله تعالى لا يطرأ عليه تغيير ولا تبديل حتى تقوم الساعة رغم دس الملحدين وتضاليل الأفاكين فلا الفليسوف رنان(١) ولا هانوتو(٢) فيما مضى

---

(١) هو ارنست رنان ولد في تريجية من اعمال فرنسا سنة ٨٢٦ افرنكية وفى عام ١٨٥٢ نشر كتابه (ابن رشد ومبادئه) كان موضوعه ان الاضطهاد الديني هو الذى اوقف فى الاندلس والعالم الاسلامى مسير التمدين ومنع الارتقاء العلمى والفلسفى الذى كان قريب الحدوث فيها وقد رد عليه كثير من فلاسفة الاسلام

٢ هانوتو كان وزير خارجية فرنسا وكتب فى جريدة الجرنال الباريسية مقالا في الاسلام ترجمته ايامها جريدة المؤيد ونشرته بالعربية سنة ١٣١٧ هجرية قال فيه الناس فريقان في مسألة القدر فريق يقول العبد مسير بقدرة الله لا عمل لارادته فى فعله وآخر يذهب الى ان الله وهبه اختيارا يتصرف به فله ما كسب وعليه ما اكتسب والرأى الاول يحط الانسان الى حضيض الضعف والثاني يرفعه الى ذروة القوة ثم وصل الاول بمذهب البوزيين القائلين بفناء الموجودات فى الوجود الازلى والحق الثانى بمذهب اليونانيين القدماء الذين يدينون بتشبيه الاله بالانسان فى اوصافه المادية وقال ان الاول قعد باهله والثانى ارتفع بمعتقديه الى مراتب الكمالات الانسانية ثم انصب على الديانة المسيحية والاسلامية قائلا انهما تماثلان ذينك المذهبين فى القدر وان الديانة المسيحية ربانية ورثت ما ترك الآريون

والثانية بشرية اخذت ما ترك الساميون وان الاؤلى ترقى بالانسان الى المقام الألهي والثانية تنزل به الى اسفل درك حيوانى الى ان قال ويظهر ميل كل من الدينين ظهورا بينا فى الاصل الذى بني عليه كل منهما فأصل الاول هو اتحاد الاله الاب للاله الابن حتى كان الها بشرا واتصال الآلهين بروح القدس وأصل الثانية

ولا ولز [١] ولا زويمر [٢] الآن واشياعهم امكنهم ولن يمكنهم انشاء الله تعالي ان يصلوا الي عبث به او تغيير فيه ذلك لانه يرجع الى كتاب الله الذي هو الاصل وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم التي جاءت مبينة له ودائرة حوله وراجعة اليه فى معانيها

يدل على حفظ دين الاسلام وعصمته من التغيير والتبديل امران

الاول يدل تصريحا او تلويحا فالتصريح كقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون. كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) فقد اخبر الله سبحانه وتعالى انه يحفظ آياته ويحكمها حتى لا يخالطها ولا يلحقها من يد العابثين تغيير ولا تبديل والتلويح كقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) من الظاهر ان اتمام النعمة على

تنزيه الاله عن البشرية وتقديسه الى حد تنقطع فيه النسبة بينه وبين الانسان الى غير ذلك مما خلط به فى مقاله وقد رد عليه في حينها الامام فيلسوف الاسلام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا رحمه الله ردا سارت بذكره الركبان

(١) الف كتابا طعن به على الدين الاسلامى والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد رد عليه صاحب الفضيلة استاذنا الشيخ يوسف الدجوى سنة ٩٢٣ افرنكية

(٢) هو امريكى نشر كتابا طعن به على الدين الاسلامى وعاب على المسلمين ودخل الازهر الشريف بمصر يجس نبض الازهريين فقوبل بالاهانة وقدحقره يومها صاحب الفضيلة الشيخ على الزنكلونى ورفع أمره الى قنصل امريكا بمصر فأمر بمغادرته بمصر فخرج خائبا سنة ٩٢٨

المسلمين باكمال دينهم والرضاء به لهم يستلزمان حفظه من يد المفسدين

الامر الثانى وقوع الحفظ فملا وحصوله فلا مرية فى ان الله تعالى حفظ دينه من يوم بعثة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الي وقتنا هذا وذلك بأن اعد الله للأمة الاسلامية ما يمكنها ان تذب به عن حياضها وتدافع عن كيانها وقت حروجتها

فقد قيض للقرآن الكريم اناسا يحفظونه عن ظهر قلوبهم بحيث لو زيد فيه حرف واحد لقام لاخراجه آلاف من الاطفال فضلا عن كبار الرجال من الحفظة

ووفق رجالا قاموا بضبط لغاته وتبيين كلماته ومعرفة مخارج حروفه وصفاتها وعددها وكلماته وآياته وسوره وسجداته وبيان ترتيله من كل مايرجع اليه ضبط القراءة بأنواعها حتى لاتخرج كيفيتها عما كانت عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما بيناه مفصلا فى المقصد الثانى وقيض للسنة المحمدية فريقا من اجلاء الأمة تتبعوا رواة الحديث ليختبروهم ويستقصوا احوالهم التى كانوا عليها فجابوا البلاد وقطعوا الفيافى ولم يثنهم عناء السفر ولا مشقته عن الوصول الي ذلك فميزوا اهل الثقة والعدل من اهل الكذب والضلال فعرفوا صحيح الاحاديث من ضعيفها وسموه بعلم الحديث وقسموه الى دراية (١) ورواية (٢)

---

(١) هو علم بقوانين يعرف بها احوال السند والمتن من صحة وحسن وضعف ورفع ووقف وقطع وعلو ونزول وكيفية التحمل والاداء وصفات الرجال وغير ذلك وموضوعه الراوى والمروى من حيث القبول والرد (٢) هو علم يشتمل

ثم وفق الله جماعة من العلماء فهموا ماصحت روايته عن الله ورسوله عني فريق منهم بفهم معاني خطابه تعالى فعرفوا حقيقة الكلام ومجازه فتكلموا في التخصيص والتعميم والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والامر والنهي والنسخ الي غير ذلك من انواع الاقيسة واستصحاب الحال والاستقراء ثم اصطلحوا على وضع قوانين اصولية دونوها لاخذ الاحكام الشرعية كقولهم الامر للوجوب والنهي للتحريم

كما اذا اريد الاستدلال على وجوب الصلاة مثلا بالدليل الاقتراني فيقال الصلاة مامور بها في قوله تعالى « واقيمو الصلاة » وكل مامور به واجب ينتج الصلاة واجبة

وكما لو اريد الاستدلال على حرمة القتل مثلا بالقياس الاستثنائي فيقال كلما كان القتل منهيا عنه كان محرما لكنه منهي عنه في قوله تعالى « ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » ينتج القتل محرم وهكذا فتراهم قد استنبطوا الاحكام الشرعية بعد ان فهموا معانيها من أغراض الشرع في الكتاب والسنة من نفس القول او من معناه او من علة الحكم فردوا ما لم يعلم حكمه الى ما علم امره فسهلوا الطريق لمن جاء بعدهم وبينوا للناس احكام ربهم وسموا هذا باصول [1] الفقه

على نقل ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا او تقريرا او صفة وموضوعه ذات النبي صلى الله عليه وسلم من حيث اقواله وافعاله وتقريراته

(١) هو الادلة الاجمالية فقط وذكرت المرجحات وصفات المجتهد في كتب الاصول لانهما طريقان الي الاصول التي هي القواعد الكلية الباحثة عن احوال الادلة الاجمالية وبالقواعد يتوصل الى استنباط الاحكام الفقهية عن ادلتها التفصيلية

ثم هدى جماعة منهم نظروا الى مافيه من الادلة العقلية والشواهد الاصلية والنظرية واستنبطوا منه العقائد الدينيـة كاستنباطهم الدليل على وحدانية الله تعالي ووجوده من قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » اى لو كان يدبر امر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذى فطرهما لخربتا لوجود التمانع وسموه بعلم (١) التوحيد

وانعمت النظر الصحيح طائفة من العلماء ودققت الفكر الصادق فيما ورد فيـه من الحـلال والحرام وسائر الاحكام وبحثوا أصوله بحثـا دقيقا واستنتجوا فروعها المترتبة عليها وسموه بعلم (٢) الفقه

ثم تتبع جماعة من الاجلاء الحوادث والوقائع ومعرفة زمانها ومكانها فميزوا ما نزل من القرآن بمكة وما نزل منه بالمدينة ودونوا سبب كل حادثة وواقعة

وموضوعه الادلة الاجمالية المبحوث عن احوالها من حيث الاثبات بهـا بطريق الاجتهاد بعد الترجيح عند التعارض بمعني ان المجتهد اذا اراد اثبات حكم من الاحكام الفقهية اتى بدليل من تلك الادلة متلبسا بحال من احواله المبحوث عنها وضمه الى الدليل التفصيلى المحمول عليه مفهوم الاجمالي بعد الترجيح عند التعارض اوضم ما يؤخذ منه كما تقدم فى الاستدلال على وجوب الصلاة ـ وحرمة القتل (١) هو علم يقتدر معه على اثبـات المقائد الدينيـة بايراد الحجج ودفع الشبه

وموضوعه المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينيه اى بان يكون المحمول عليه من الاعراض الذاتية له دخل فى اثبات العقائد الدينية

(٢) هو العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من ادلتها التفصيلية وموضوعه فعل المـكلف غالبا من حيث عروض الاحكام

فعرفوا ما نزل بمكة فى اهل المدينة وما نزل بالمدينة فى اهل مكة وكذا الآيات المكية فى السور المدنية والآيات المدنية فى السور المكية ورأو ان بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معاني القرآن فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب وقال ابن تيمية قولهم نزلت الآية فى كذا يراد به تارة انها سبب النزول ويراد به تارة ان ذلك داخل فى الآية وان لم يكن السبب كما تقول عنى بهذه الآية كذا

وقد تنازع العلماء فى قول الصحابي نزلت هذه الآية فى كذا هل تجرى مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذى انزلت لاجله أو يجري مجرى التفسير منه الذى ليس بمسند فالبخاري قال بالاول وغيره قال بالثانى

ثم قام جماعة من افاضل العلماء بجمع ما اثر عن الصحابه رضوان الله عليهم فى شرح معاني القرآن بطريق النقل الصادق والرواية الصحيحة كالذى اثر عن الخلفاء الاربعة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم كابى بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وابى موسي الاشعرى وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وانس بن مالك وابى هريرة وجابر وعبد الله بن عمرو بن العاص رضوان الله عليهم اجمعين

كذلك تتبع فريق من العلماء اقوال التابعين فيما يتعلق بشرحه وجمع بين اقوالهم واقوال الصحابة كالذى اثر عن سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وآدم ابن ابى اياس واسحاق ابن راهويه وروح ابن عبادة وعبد الله بن حميد وابى بكر ابن ابى شيبة

ثم نظروا لمعانى الفاظه فوجدوا لفظا يدل على معنى واحد ولفظا يدل على معنيين ولفظا يدل على جملة معان فاجروا الاول على معناه ورجحوا احد محتملات ذى المعنيين والمعانى وسموا ذلك بعلم [١] التفسير

ونظر بعضهم فى آيات المواريث وما ورد فيها من ذكر السهام والانصبة والثلثين والنصف والثلث والربع والسدس والثمن فاستنبطوا علم الفرائض وحسابها ومسائل العول وسموا ذلك بعلم (٢) الفرائض

ورأي بعض الاجلاء تغير الملكات بما توارد عليها من كلام الاعاجم المعرب عند ما اتسعت فتوحات الاسلام واختلط العرب بالاعاجم فخافوا فساد تلك الملكة راسا وتعطيل فهم القرآن وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فوضعوا قواعد لحفظ اللسان العربى من الاضمحلال والتلاشى كى يرجع الي تلك القواعد بما يختلف فيه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لانهما اصل الدين وذهاب اللغة التى انزلا بها يذهب بهما وذهابهما يذهب بالدين لذلك وضعوا تلك القواعد وسموها بعلم (٣) العربية

---

(١) هو علم يعرف به معاني كلام الله والفاظه بقدر الطاقة البشرية — وموضوعه القرآن من حيث ما ذكر ومعنى كونه موضوعا له انه يتعلق به البيان والايضاح لا بمعني انه مبحوث عن عوارضه الذاتية فيه كما هوموضوع الفنون لانه ليس بفن (٢) هو علم باصول يعرف به قسمة التركات ومستحقوها وأنصباؤهم منها — وموضوعه التركات الموروثة (٣) هى العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة الى معرفة احكام اجزائه التى ائتلف منها

ومضوعه الكلمات العربيه من حيث مايعرض لها من البناء الاصلى حالة الافراد والبناء العارض والاعراب حالة التركيب ومايتبع ذلك

قيل اول من الف كتابا فيه ذا ابواب وفصول ابو الأسود الدؤلى كتب فيه باشارة من الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه روى ان الامام عليا رضي الله عنه مر على رجل يقرا من سورة التوبة قوله تعالى « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بجر لفظ الرسول وهذا يفسد المعنى من حيث عطفه على المشركين فقال له الامام الله ورسوله برىء منك وامره بضم لفظ الرسول ثم تكلم فى ذلك كلمة تدور حول معنى الفاعل والعطف فنحى ابو الأسود الدؤلى فى كتابته نحو كلمة الامام وسمى بعلم النحو واستمر يكتب يساعده علي الكتابة حصول وقائع تبعثه عليها من ذلك ماروي انه كانت له ابنة

جلست معه ذات ليلة مقمرة فنظرت الى السماء وقالت مااحسن السماء بضم النون فقال لها نجومها قالت لم ارد الاستفهام وانما اردت التعجب فقال لها اذن افتحى فاك وكتب غيره رجال كثيرون اشتهروا فى هذا الفن بطول الباع

وقد جاء طائفة بعد ذلك فوضعوا قواعد يعرف بها المتكلمون كيف يؤدون ما يقصدونه من المعانى بكلامهم ويبينون بها الهيئات الزائدة على دلالة اللفظ مفردا ومركبا وسموا ذلك بعلم [١] البلاغة

---

(١) هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته هذا بالنسبة للكلام وبالنسبة للمتكلم هى ملكة يقتدر بها المتكلم على التعبير عن المقصود بكلام بليغ فى اى غرض كان

شروط الاجتهاد وتعريف المجتهد

تقدم إن كل علم من العلوم الشرعية او فن من الفنون التى لها تعلق بها قام بتدوينه جماعة من العلماء الاجلاء الامناء على العلم الثقةفيه ولحرصهم على امانة العلم وخشية ان يستنبط احد حكما آخذا برايه فيه من غير اهلية عنده قيدوا المستنبط بقيود وشروط دونت فى محالها فاذا ماتوفرت هذه الشروط لدى من اراد اخذ حكم من الاحكام بواسطة كتاب الله وسنة رسوله صلعم ساغ له الاخذ

لذلك قالوا الفقيه المجتهد هو البالغ العاقل ذو الدرجة الوسطي عربية واصولا ومتعلق الاحكام من كتاب وسنة شديد الفهم بالطبع لمقاصد الكلام العارف بالدليل العقلى

فتراهم شرطوا علمه بمتعلق الاحكام لانه المستنبط منه وعلمه بأصول الفقه لانه يعرف به كيفية الاستنباط لما يحتاج اليه وعلمه بالعربية لانه لا يفهم المراد من المستنبط منه الا بها لانه عربى بليغ

وهذا هو المجتهد المطلق ودونه مجتهد المذهب وهو المتمكن من تخريج الوجوه التى يبديها على نصوص امامه فى المسائل — ودون هذا مجتهد الفتيا وهو المتبحر فى مذهب امامه المتمكن من ترجيح قول له على آخر اطلقهما

من اجل ذلك كله لم يدخل فى شريعتنا الغراء ماليس منها كما لم ينقصها شيء فهى محفوظة بعناية الله تعالى ويقظة رجالها الذين قيضهم الله

للدين فى كل زمان ومكان واذا علمت طريق وصول تلك الشريعة الغراء الينا وشدة التحري والتدقيق فيه لتستبعدن كل البعد أى تغير أو تبديل فيها

بيان طريقة وصول الكتاب والسنة الينا

نزل الروح الامين بالقرآن الكريم من عند الله تعالى على قلبه صلعم لينذر الناس بلسان عربي مبين قال تعالى « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » وكان صلعم شديد الحرص على كيفية القراءة التى نزل بها امين الوحى مهتما بحفظ الآيات المنزلة فكان يحرك لسانه بالقراءة حين يقرأ سيدنا جبريل قال تعالى «لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قراناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه . ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما »

مضت مدة الرساله ثلاث وعشرون سنة نزل فيها القرآن انجما حسب الوقائع بين مكة والمدينة الى ان اتم الله نزوله قال تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »

كان يتخلل هذه المدة احاديث رسول الله صلعم التى كان ينطق بها حسب وجود حوادثها ليبين بها القرآن الكريم ويوضحه للناس — وبعد ان تلقى الرسول صلعم القرآن عن الحضرة القدسيه بكيفيته المبينة تلقاه عن الحضرة المحمدية اصحابه الاجلاء بهذه الكيفية التى نزل بها مع ضبط

ترتيله وما زال اصحابه يحافظون على طريقة التحمل والاداء حتى نقله عنهم الائمة التابعون ثم تابعوا التابعين فتحرى فى نقله ائمه لنا محققون وحفاظ ضابطون الى ان وصل الينا بهذه الطريقة المدونة بدون تبديل او تغير كما سيتضح ذلك فى المقصد الثانى ان شاء الله تعالى عند ذكر الشروط والقيود التى التزمت فى التحمل والاداء

فقد تبين بما تقدم حفظ الكتاب والسنة الى الآن من عبث العابثين وكيد الملحدين ومعلوم ان حفظ الدين بحفظهما وسيبقى محفوظا الى ماشاء الله يوم يكشف عن خبايا هؤلاء الملحدين المضلين فيفضحون ويقال لهم ذوقوا ما كنتم تعملون

الدين يحث على النظر للوصول الي الحق

النظر في تكوين النفس

قال تعالي « وفى انفسكم افلا تبصرون » لاتجد فى العالم شيئا الا وفى الأنفس ماعاثله ويدل دلالته سيما وقد انفرد مافى تلك النفوس بهيئات نافعة وتركيبات عجيبه ومناظر بهية وتمكن من أفعال بديعة وانشاء صنائع مختلفه واختراعات غريبة واستجماع كمالات متنوعة

ثم ان ما اودع فى النفوس من العقول المفكرة والالسن الناطقة وحاسة الذوق والسمع والبصر والاطراف وسائر الجوارح وما خلقت له وما سوى فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى وجعل الانسان مسوى الخلقة سالم الاعضاء مع تناسبها معتدلا فيها من غير تفاوت فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعضه اسود

وبعضه ابيض بل جعله معتدلا يمشى قائما ويتناول الاكل بيديه لا كالبهائم تكريما له فخلق يده على تركيب مبدع خاص واودع فيها قوة التناول وخلق رجله على تركيب خاص واودع فيها قوة المشى وكذا العين والاذن وباقى الاعضاء ثم ربط البعض بالبعض على وجوه يحصل من ارتباطها مجموع واحد هو الانسان ان هذا لاكبر شاهد على وجود مدبر حكيم لهذا العالم واجب الوجود فى ذاته وصفاته عالم بكل المعلومات وقادر على جميع المخلوقات هو الله سبحانه وتعالى

ومن تأمل فى النفس وتكوينها من ماء مهين خارج من بين الصلب والترائب الي ان يتكون انسانا كامل الخلقة تام الهيئة راي فيها من العجائب ما يدهش العقول ويحير الالباب ويبرهن على تمام كمال حكمة الصانع وقدرة الخالق العظيم قال تعالى (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب (١) والترائب (٢) انه على رجعه لقادر)

فالذى خلق الانسان من ماء دافق مائع لا تصوير فيه ولا تقدير للآلات التى يظهر فيها عمل الحياة كالاعضاء ونحوها ثم ينشىء هذا السائل خلقا آخر كاملا مملوءا بالحياة والعقل والادراك لقادر على ان يعيده مرة اخرى بعد فنائه

ولاغرابة فى ذلك فان رجوعه اسهل وايسر عقلا لسبق مثال الشخص وتقدم صورته فى الخلق الاول بخلاف تكوينه فى المرة الاولي من

---

(١) الصلب هو كل عظم من الظهر فيه فقار ويسمى فى عرف العامة بسلسلة الظهر (٢) هي عظام الصدر حيث تكون قلادة المرأة

ماء مذر لا انتفاع به ثم يوجد مبدع التركيب بعد تطوراته المدهشة التى مرت عليه من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم على اختلاف صوره مع تشابه اجزاء الماء الذى تكون منه ان فى هذا لدليلا على الاختيار المطلق والقدرة التامة لله سبحانه وتعالى (قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة (١) من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار (٢) مكين (٣) ثم خلقنا النطفة علقة (٤) فخلقنا العلقة مضغة (٥) فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين)

خلق الله آدم عليه السلام من تراب الارض فكان مظهرا عظيما من مظاهر قدرته تعالى ثم جعل بنيه من نطفة لأن آدم لم يصر نطفة قال تعالى فى آية أخري (وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين)

ونحن اذا نظرنا ان اصل غذاء بنى آدم نباتات وحيوانات وغذاء الحيوانات من النبات وهى مسلولة من طين وجدنا ان بنى آدم خلقوا من طين ذلك لان غذاء الابوين يتحول الى دم فيهما ومن الدم تتكون الحيوانات المنوية عند الرجل والبويضات عند الانثي وتخلق النطفة بالتلقيح (٦) بصب ماء الرجل

---

(١) سلالة الشيء ما استل منه والنطفة سلالة الانسان (٢) هو الرحم (٣) حصين (٤) هى جعل النطفة قطعة دم متجمد بعد ان كانت ماء ابيض (٥) هى قطعة لحم بقدر ما يمضغ (٦) هو ان يدخل الحيوان المنوى رأسه وجسمه فى البويضة ويسقط ذنبه خارج البويضة ثم تتحد رأسه بنواة البويضة ويكون اتحادهما نواة واحدة ويرى بعض الدكاترة ان حيوانا واحدا يكفى للتلقيح وبعضهم يقول لا بد من حيوانات منوية كثيرة لتلقيح بويضة واحدة

فى المهبل [١] حيث تسير الحيوانات المنوية الى الرحم [٢] بما فيه من قوة الامتصاص ثم منه الي البوقين [٣] وتبقى عدة اسابيع فاذا صادفت تلك الحيوانات بوضية من مبيض [٤] المرأة لقحتها واذا لم يلقحها الحيوان المنوي بعد خروجها من الحويصلة فانها تموت بعد بضعة ايام ومن نظر الي كيفية التلقيح وتطورات الجنين وتغذيته فى بطن امه وجد سرا عجيبا وصنعا دقيقا

تطورات الجنين

يقول الله تعالى (وقد خلقكم اطوارا) ويقول الرسول صلعم (ان احدكم

---

(١) المهبل عبارة عن انبوبة عضلية تصل من الفرج الى الرحم فوقها المثانة وفي اعلاها توجد فتحة البول الواصلة الى المثانة وتسمي بالصماخ ووظيفة المهبل انه مخرج لدم الحيض والجنين ومحل للجماع وهو قابل للتمدد (٢) الرحم عضل سميك اجوف كمثرى الشكل فمها الي أسفل تنقبض ولا تنحل الا عند الشهوة وله فتحتان فى المهبل وفتحتان اخريان لانبوبتين تسميان بوقى فللو بيوس بفتح الفاء وشد اللام (٣) البوقان انبوبتان متصلتان بالرحم من اعلاه تحملان البويضات اليه وهما مبطنتان بغشاء مخاطى له اهداب وطول كل بوق اربع بوصات (٤) المبيضان عبارة عن جسمين كالخصيتين وليسا مجوفين وبهما بويضات صغيرة جدا فى داخل حويصلات تسمى حويصلات جراف وهذه الحويصلات تقترب شيئا فشيئا من سطح المبيض حيث تنفجر وتخرج منها البويضة لتصل الى البوق واكثر الحويصلات تضمر وتتلاشى ولا تنفجر وكل حويصلة تحتوى على بويضة أو اثنتين وتارة ثلاث وبعض الاحيان يكون للبويضة نواتان وفى هذه الحالة يكون الحمل توءمين واصل حويصلات جراف من الغشاء المحيط بالمبيض اى من البريتون وهو غشاء مخاطي يغطى الاحشاء البطنية ومنه جزء كالمنديل يسمي الثرب يقى الامعاء من البرد بما فيه من الشحم ويسهل تحرك الامعاء تحركا دوريا وهو قابل للالتهاب بسرعة

يجمع خلقه فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه . وأجله . وعمله . وشقى أوسعيد فوالذى لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها

تدل الآية الكريمة والحديث الشريف على تطورات الجنين فقد قيل ان الاطوار خمسة (طور النطفة) وهو عبارة عن مدة التلقيح بكيفيته المتقدمة ويكون فى الشهر الاول واوائل الشهر الثانى (طور العلقة) وهو مدة انقسام النطفة الى عدة خلايا(١) صغيرة ويكون فى الشهر الثاني وأوائل الشهر الثالث (طور المضغة) وفيه تتميز بعض اجزائها فتظهر الاطراف العليا والاطراف السفلى عضاريف هى عظام المستقبل وذلك فى الشهر الثالث وأوائل الشهر الرابع (طور مدة الاتمام) وفيه تكسوا

---

(١) الخلايا جمع خلية بفتح الخاء وكسر اللام وتشديد الياء المفتوحة وهى تختلف وضعا ووظيفة بالنسبة لما تكونه من المنسوجات فتاره تكون منضودة بعضها فوق بعض وطورا تمتط وآونة تتغير بتغيرات خاصة ولا يكاد قطرها يبلغ $\frac{1}{1000}$ من البوصة ومن داخلها نقطة قاتمة اللون تسمي نواة وتحتوى على جميع العناصر والمركبات التى يتركب منها الانسان فهى انسان صغير فيها الماء والذلال والدهن والمواد النشوية وأملاح عديدة وبها كافة خواص الحياة كالتنفس والتغذى والاقرار والحركة

العضلات العظام وتتميز جميع الاعضاء فى الشهر الرابع وفيه يتم الخلق ويأمر الله تعالى بنفخ الروح[١] فيه كما تقدم فى الحديث

(طور الولادة) يولد الجنين بعد ان يمكث مدة الحمل فيخرج من بطن امه وهو لا يعقل شيئا وبعد ان يكبر ويتعلم الاشياء تدريجيا سواء اكان ذلك بكسب ام بالهام من الله تعالى يصبح وقد انشأه الله رجلا عاقلا مميزا فسبحان الخلاق الحكيم

دل الحديث الشريف على تطور الجنين كالآية الكريمة ثم دل على احكام اخرى وحكم فبين ان الله تعالى كفل عبده وهو فى بطن امه بالرزق وقدر له اجله وعمله وبين ان الرجل يعمل رياء وسمعة عمل اهل الجنة فيكون من اهل النار يؤيد هذا ماورد فى صحيح مسلم « ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من اهل النار »

ورد عن الله عز وجل (ياابن آدم جعلت لك قرارا فى بطن امك وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفزع من الرحم وجعلت وجهك الي ظهر امك لئلا يؤذيك رائحة الطعام وجعلت لك متكأ عن يمينك ومتكأ عن شمالك فاما الذى عن يمينك فالكبد واما الذى عن شمالك فالطحال وعلمتك القيام والقعود فى بطن امك فهل يقدر على ذلك احد غيرى فلما ان تمت مدة

---

(١) الروح قوة مودوعة فى الجسم يتحرك بها فهى سارية فيه ومشتبكة به اشتباك الماء بالعود ولا صحة للقول بانها الدم فان من الحيوانات ما لا دم له كالجراد ولا للقول بانها النفس الداخل الخارج لان من الحيوانات مالا يتنفس الا عند الموت كالسمك فالروح سر من اسراره تعالى لا يدرك كنهها الا هو تعالت قدرته

حملك أوحيت الي الملك الموكل بالارحام ان يخرجك فاخرجك على ريشة من جناحه لا لك سن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بهـا وانبعث لك عرقان رقيقان فى صدر امك يجريان لبنا خالصا حارا فى الشتاء باردا فى الصيف والقيت محبتك فى قلب ابويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد فلما قوى ظهرك واشتد ازرك بارزتنى بالمعاصى واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمـد على وتسترت ممن يراك وبارزتنى بالمعاصى فى خلوتك ولم تستح منى ومع هذا ان دعوتنى اجبتك وان سألتنى اعطيتك وان تبت الى قبلتك

كيف يتغذى الجنين فى بطن امه

بعد ان يلقح الحيوان[١] المنوى البويضة عقب خروجها من مبيض المرأة بطريقة التلقيح المتقدمة تسقط تلك البويضة فى الرحم ويحاط الجنين بغشاءين تابعين للبويضة من داخل الرحم المحيط به ثم تمتلىء تلك البويضه بسائل يحيط بالجنين ويسمى بالسائل الامينوس يعلق فيه الجنين بحبله[٢] السرى

اقل مدة الحمل ستة اشهر واكثرها احد عشر شهرا كما جاء بقرار لجنة الاطباء التى انتدبت سنة ٩٢٧ افرنكية لاخذ رايها فى وضع القانون الجديد للاحوال الشخصية اما اكثرها شرعا فعلومة فى كتب الفقه

(١) الحيوان المنوى هو خلية واحدة لها راس وجسم وذنب والراس هو نواتها وهذا الحيوان يشبه الدودة الصغيرة وهو سريع الحركه (٢) يحتوى الحبل السرى على شريان ووريد فالشريان يحمل الدم الصالح من الخلاص الى الجنين والوريد يحمل الدم الفاسد من الجنين الى الخـلاص فى مقر الرحم ثم ان مجري الدم بين

الملتصق بالمشيمة بجدار الرحم وتكون رأس الجنين غالبا الى اسفل وظهره الى الامام

وليس هناك اختلاط بين الدورة الدموية للجنين والدورة الدموية للام بل هما متجاورتان وانما الغذاء يصل من الام الي الجنين بطريق الاسموز(١) كذلك تخرج من الجنين المواد التى يفرزها ولا يتنفس فى بطن امه وأول تنفسه عند خرجه من المهل

قد يكون الحمل فى احد البوقين المتقدم ذكرهما أو فى خارج الرحم فى البطن وفى هذه الحالة قد تحمل الام جنينا ميتا عدة سنين ولا يستخرج الا بعملية

النظر فى الكائنات

لما كان مثل تعدد الاستدلال بالدلائل المتنوعة على المدلول الواحد كمثل تكرار الدرس الواحد فكما أن تكرار الدرس الواحد يفيد تأكد الحفظ كذلك تعدد الدلائل يفيد تثبيت العقيدة فى المدلول فالقلب قبل الاستدلال الاول يكون مظلما والاعتقاد المستفاد منه يذهب غالبا بظلمات القلب نوعا ما

فاذا حصل الاستدلال الثانى قوى الاعتقاد واشرق نور اليقين

الخلاص وغشاء الرحم يكون بواسطة الارتشاح والامتصاص ـ فالغشاء يرشح الدم الصالح فيمتصه الخلاص والخلاص يرشح الدم الفاسد فيمتصه الغشاء فسبحان من بيده الحركة والسكون (١) الاسموز هو الامتصاص والرشح

فتتلاشى الظلمات بنسبة قوة نور الدليل وهكذا تتمشى النسبة بين نور الدليل وظلمات الجهل

لذلك ترى بعد ان حثنا ديننا على ان ننظر فى أنفسنا وتكوينها من العدم وتطورات خلقتها العجيبة كما تقدم — نبهنا على النظر ايضا فى الكائنات قال تعالى « اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء » فننظر فى العالم العلوي والسفلي وما سوى فيه من العجائب الدالة على قدرة الصانع المبدع واتقان الحكيم المدبر « الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » وجعل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وجعل غلظ كل سماء كذلك واوجد فيها من العالم العلوى مالا يعلمه الا هو فسبحانه « خلق السموات بغير عمد ترونها والقى فى الأرض رواسى ان تميد بكم » فجعلها تدور منتظمة فى فراغ غير مرتكزة على شيء ولا معلقة به سوى قدرته تعالى فهي عمد السماء ومرتكز الارض « وبث فيها من كل دابة » فاوجد فيها حيوانات لا تحصى على اختلاف انواعها تحس وتدرك وتريد وتتحرك لا كالأنسان فترى بعضها يطير وبعضها يمشى متنوعا على رجلين وعلى أربع وعلى اكثر وعلى بطنه

الأمكنة الصالحة لوجودها فيها. بعضها يعيش فى الماء. وبعضها مسخرا فى الهواء قال تعالى « ألم يروا الي الطير مسخرات من جو السماء مايمسكهن الا الله » وآخر يعيش على سطح الغبراء. وغيره يتخذ البر والبحر مسكنا له.

آلات الأكل. منها مايتناول الاكل بفمه. وما يتناوله بمنقاره. وما

يتناوله بأنفه كالفيل وما يتناوله بلسانه كالحرباء التى تخطف الذباب بلسانها

احكام بنائها وتدبيرها . منها ماتبنى بيوتها بناء محكما بتدبير عجيب وطريقة هندسية وتنسيق جميل يأويها ويحفظ نفيسا لها فيه شفاء للناس كالنحل فأن فيه من العجائب والعبر مايبهر العقول قال تعالى « واوحي ربك الي النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »

فهى تبنى بيوتها لحسن تدبيرها على شكل هندسى مسدس لخاصية فيه لا يدركها الا كبار المهندسين المهرة ولا تبنى بيتا مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا

ونقول لبيان خاصية الشكل المسدس . معلوم ان الشكل المستدير اوسع الاشكال واحواها ونجد الشكل المربع تخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فتراه ترك المربع حتى لا تضيع تلك الزوايا فتبقى فارغة ولو بنى هذه الزوايا مستديرة لوجدت خارج البيوت فرجة ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة وانك لاتجد شكلا من الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الاالشكل المسدس فسبحان من الهم الحيوانات بحسن التدبير ومن العجيب ترى الجماعات الكثيرة من النحل تنصاع لواحد منها يدعى اميرها فهو يقيم العدل بين جميعها لافرق بين قريب له أو أجنبي منه ويهديها الى طيب الثمار لتجنيه

ويصدها عن خبثها حتى انه يقتل كل مايقع منها على نجاسة واغلب اكلها من الفواكه قال بعضهم

النحل لما جنى من كل فاكهة   حوى لنا جوهرين الشمع والعسلا
فالشمع نور مضيء يستضاء به   والشهد يبرى لنا الاسقام والعللا

كذلك للنمل تدبير عجيب فى طريقة ادخارها القوت فيتخذ مساكن تحت الارض فيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات يملؤها حبوبا وذخرا للشتاء واذا خاف التلف على ذخيرته بوجود رطوبة فى بيته اخرجها فوق الارض وجففها واكثر مايفعل ذلك ليلا فى ضوء القمر واذا خاف انبات حب مما احتكره كسره نصفين كى لاتنبت بخلاف الكسفرة فانه يقسمها اربعا لما الهم به من ان كل نصف منها ينبت حبة اخرى

فانظر كيف الهم الله النحل والنمل على صغرهما فلطفا بهما وعناية لوجودهما سهل لهما مايحتاجان اليه ليتم لهما هناء العيش . ومن تامل فى هذه النملة الصغيره راي فيها من عظمة الخالق وجلاله وكمال قدرته وابداع حكمته ماتذعن به القلوب)

تسخير الانعام لبنى الانسان لنا فيها منافع من لحومها والبانها وحملها اثقالنا وانتفاعنا بجلودها واصوافها واوبارها واشعارها وجعلها اكنانا لنا فى ظعننا واقامتنا ووجود بعضها للزينة وبعضها للركوب كل ذلك يدل على ان الله عليم قدير احاط علمه بجميع منافعها قبل خلقها فاوجدها غير مستعين بوزير او مستشار له « قال تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون

وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم . والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين »

حيوانات البحر عجائبها اكثر من حيوانات البر فان انواعها لاتحصى ولا يمكن ان تستقصى — منها ماله ناب يحمله فى سيره ويلقيه فى البر اذا اراد المرعى فيغوص فى الارض ويبقى هو منغمسا فى الماء . ومنه الكبير المستطيل الذى يبلغ خمسين مترا — ومنه الصغير جداً فتوجد عشرات الآلاف منه تسبح فى رطل ماء ذهابا وايابا كالبحيرة لغيرها من الكبير ومنها مايوجد على صورة بنى آدم تماما الى غير ذلك مما لايدخل تحت حصر وعلى الجملة فانك تجد فى الحشرة الصغيرة من العجائب مايبرهن على عظمة خالقها وقدرة موجدها وحكمة مصورها فما من حيوان صغر حجمه او كبر الا وفيه من العجائب مظاهر قدرته تعالي تتجلى فيه فهو قادر مختار لايحكم عليه ناموس في مخلوقاته ولم تلتزم قدرته المطلقة التصرف طريقا واحدا من طرق العمل حتى يلزمها بل الله يفعل مايشاء ويختار فينوع مصنوعاته كيفما يريد

النظر في الموت

بعد ان ساق الدين دليل النظر فى النفس ومبدأ تكوينها وثنى بدليل النظر فى ملكوت السموات والارض وما فيها من شيء ساق دليلا ثالثا

حتى لا يبقي فى القلب أثر للظلمة

هو ان يتذكر بنو آدم الموت فأنه اقرب من لمح البصر فاذا هم تذكروا سارعوا الى النظر للوصول الي الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب فيومنوا بالقرآن الكريم وما جاء به من الاحكام التى كفلت مصالحهم معاشا ومعادا

واذا لم يؤمنوا به فبأى حديث بعده يؤمنون وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة وتعاليم الدين الصالحة لبناء العمران الصحيح وتنظيم المجتمع الانساني

فترى ديننا انار الطريق ومهد السبيل لمن اراد الوقوف على محاسنه ومكارمه وحسن تعاليمه وارشاداته فحث ذوى العقول الناضجة والأفكار الثاقبة والاذواق السليمة على ان ينظروا فى آياته ويتدبروا مكنوناته ويتبعوا ارشاداته فاذا هم تأملوها فهموا منها جمال صنع الله فى آثار قدرته ووصلوا بذلك الى اعظم مدنية واحسن معاملة وعرفوا حقا ان دين الاسلام منبع الخيرات واس الفضائل وان جميع مايرجع بالأنسان الى ترقيته ويحسن بناء العمران لا يخرج عن ارشادات كتاب الله او هدى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

رجوع الاجانب الي تعاليم ديننا

ونبذ المسلمين لها

دين الاسلام هو مرجع المقننين ونبراس المشرعين بيدان الأجنبي

منه يتطفل على موائده فيشبع منها قوانينه ويصلح بها انظمته فأوربا وغيرها من الامم الاجنبية تعمل بكثير من احكامه وتسترشد بتعاليمه فيما تراه صالحا لها وخير هدى لبنى الانسان كرجوعها اليه فى تعدد الزوجات عند دواعيه الضرورية . وفى الطلاق عند ما يستحكم الخلاف ويشتد النزاع بين الزوجين وتسوء المعاشرة ولم يكن لاحدهما سبيل الى النجاة غيره بعد ان كان المنفذ قتل احدهما الآخر أو انتحار نفسه تخلصا من سوء حالة الزوجية بينهما

فقد قال الفيلسوف جوستاف الفرنسى فى كتابه حضارة العرب ان تعدد الزوجات على مثال ماشرعه الاسلام من افضل النظم وانهضها بأدب الأمة التى تذهب اليه وتعتصم به وأوثقها للاسرة عقدا واشدها الآصرتها ازرا وسبيله ان تكون المرأة المسلمة اسعد حالا وأوجه شأنا وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية انتهى كلامه

اما الطلاق فقد كثر عدد الذين يلجأون اليه من الامم الغربية حتى قلت به نسبة حوادث القتل والانتحار من وسائل التخلص التى كانوا يسلكونها عندهم

فتراهم عملوا بتعاليمه فيما كان داعيا لتنظيم الهيئة الاجتماعية فاستعملوا الصدق فى القول والاخلاص فى العمل وسلكوا طريق حسن المعاملة بينهم فى الاخذ والاعطاء. سئل فليسوف الاسلام المرحوم الشيخ محمد عبده بعد ايابه من أوربا عن معاملتهم ونسبتها لمعاملتنا فقال (معاملتهم كدينا ومعاملتنا كدينهم

ولقد نظر بعض دولهم فى احوال الأمــة نظرة حكيم مفكر حاذق شخص الداء ووصف الدواءفوجد اسوا داء ينخر فىعظام الأمة ويقوض دعائمها ويهدم صرحها اباحة البغاء بينهم وتعـاطى الخمر فحرمت الخمر بتاتا امريكا ومنع البغاء رأسا الانكليز ذلك لانه اودى بماليتهم وافسد صحتهم وقال نسلهم بينما معظمنا يسعي وراء تلك المهلـكات ويعمل على وجودها بيننا وتأصلها فينـا وولاة أمورنا يغضون الطرف عن درءها وهم يرون تدهور الاخلاق وفساد العائلات

سبقتنا تلك الامم الاجنبية فى الوصول الى تلك الفضائل والاخذ بتعاليم الدين الصالحة ووضعنا أنفسنا الآن فى مركز المتطفلين عليهمفى درء هذه المفاسد وجلب المصالح الناتجة من ابادتها وفاتنا ان نكون الاصلفيها فما بالنا ننبذ تعاليم ديننا وراءنا ظهريا وغيرنا يجنى ثمرهالطيب وصرنا نهدم عالي صرحه بمعول ما ندعوه بيننا بالمدنية الحديثة التى ظن اهلها انها الحق «ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون »

لا يختلف عاقلان فى مضار المسكرات والبغاء ماليا واخلاقياوصحيا ولا ينكر احد اثرها السيء بين الافراد والأسر فى جميع مرافق الحيـاة وطالما نادوا بمنع تلك المهلـكات رجال اجلاء قيضهم الله زعماء لاممهمفقام من كل امة كبار رجالها وقادةالرأي فيهامن اقتصاديين ومشرعين واجتماعيين على اختلاف صنوفهم حرصا على اصلاح امتهم ورقيها ولم يدخروا وسعا فى مكافحة المفاسد وخصوصا الخمر والبغاء حتى جعل ذلك هاتين المسألتين موضع بحث خليق بكل عناية وتمحيص عند الافراد والجماعاتفى مختلف

المدن والجهات

وكانت الامم التى تدرك داء ظهر فيها وتخشى رجوعه بالضرر عليها تقوم حكومتها بالهيمنة عليه بعدقيام خيرة رجالهابالارشادات الى ذلك فتتخذ طرقا عدة للوصول الى ابادة هذا الداء ولو كان يرجع اليهـا بالمنفعة المادية كما فعلت حكومة انكلترا فى منع البغاء الرسمى والمسكرات وقدنجحت فى الأول ولم توفق فى الثاني بعد ان قامت بها لجـان ثلاث اختيرت من اكفاء رجالها لتنظر فى قانون المسكرات وكادت ان تنجح لولا ان ظروف الحرب الكبرى عرقلت مسعاها

كذلك وفقت امريكا لوضع قانون منع المسكرات ونفذته فعلا فعم جميع الولايات الامريكية بغير استثناء فى شهر ديسمبر سنة ١٩١٧ فـكان موضع اعجاب واطراء

ولقدجاء فى التقارير الرسمية بامريكا ان الجنايات والمخالفات والجنح نقصت حوادثها بعد قانون المنع عما كانت عليـه قبله بمعدل خمسمائة الف حادثة فى السنة ونقصت كذلك مخالفات العمال فى اماكنهابمتوسط مائتين وخمسين الفا فى السنة ثم نقص عدد العـاطلين والمتسولين وقلت تعديات الاحداث بمقدار الثلث عما كانت عليه قبل فظهر اثر هذا القانون ظهورا بينا فى تحسين الحالة العمرانية من وجهتها الاخلاقية والمالية

فها هي انـكلترا وامريكا سبقتا العـالم كله فى منع البغـاء الرسمى والمسكرات منعا باتا فضربتا اعلى مثل فيهما لجميع العالم

فهل طاب لنا ان نقلدهما فى وسائل التقدم ونحذوا حذوهما سيما فى

منع البغاء والخمر حتى يصلح حالنا ويحسن مآلنا

ترك المصريين وسائل التقدم وأخذهم دنايا الامور عن الغربيين

غير خاف على احد ان الامم الحية الراقية لم تنل حظها العظيم من الحياة وقسطها الوافر الا بعد ما لاقت عناء شديدا وقاست متاعب شتى ونظرت الى الحياة نظرة عالية فاخذت فى اسباب رقيها وعرجت بأفرادها على منابر السعادة والتقدم

فماذا علينا لو سعينا وراء انفع الوسائل وانتج الاسباب اسوة بمن تقدم وارتقى من الامم كما قيل

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح

لكن ظن عشاق المدنية الواهمة وانصارها ان تقدم الامة ورقيها ومضارعتها لمن تقدم وارتقى من الامم يكون بنقل جميع عاداتهم واحوالهم والتشبة بهم فى كل اطوارهم حتى التى لا تلائم عاداتنا الشرقية ولا تتفق وتعاليمنا الدينية من غير ان ينظروا فى تلك الوسائل التى اتخذتها هذه الامم الراقية سلما فى تقدمها ومعارج لرقيها وحضارتها

وذلك كالعمل على رقى التعليم الصحيح المبنى على تثقيف العقول بعقائد الدين الاسلامى وكالاخذ فى تحسين المالية بتقدم الصناعة وتنمية التجارة والاعتناء بالزراعة والسعي وراء اصلاح نفوس الناشئة من الأمة

وتقويم اخلاقهـا حتي يعرف الـكل ما له وماعليه من الواجبات فى الهيئة الاجتماعية من افراد وهيئة حاكمة

هذه وسائل التقدم واسباب الرقى بل هي طرق الاستقلال التـام الذى ننشده الآن وسلكت سبله الامم المتحضرة

فـكل امة داخليتها غير منصلحة لا تتقدم قط ولا ينبغى لها ان تطالب باستقلال وعبثا تحاول امة استقـلالا او تقدما دون ايجـاد تلك الوسائل لديها

فانظر طريق الامم الراقية المتمدينة المستقلة بشئونها تجدها لم تصل الى ما وصلت اليه الا بعد ان بذلت من الجهود مستطاعها وذاقت من الحياة مريرها وضحت نفسها ونفيسها فى سبيل رقيها وتقدمها واستقلالها . وما اثناها عن طلب المعالي مسها بأس ولا تطرق الى نفوسهـا يوما يأس بل كانت تثابر كل المثابرة فى جهادها بنفس مطمئنة وجأش رابط قوى وكثيرا ما حيل بينها وبين غايتها التى تبتغيها وضالتها التى تنشدها بعد ان تـكون منها كقاب قوسين أو ادني فتعترضها ظروف تبعدها كل البعد عن أمنيتها فما اوهى عزيمتها ولا اضعف عقيدتها شيء من ذلك بل كان يحملها كل هذا على التفانى فى التمسك بحقها والمجاهدة فى سبيله جهاد المستميت

كانت هذه حالتهم استمروا عليها ازمانا ينتظرون فيها اصلاح شئونهم غير يائسين الي ان انقشعت عنهم سحائب الظلم وتبددت غيوم الاستبداد فظهرت لهم شمس المعارف والهدى واطلقت ايديهم من قيود الذل ونير الاستعباد فادركوا معنى الحرية التامة وتمتعوا بالحياة الحقيقية بعد طول ماقاسوه

من شديد العناء

لكننا والاسف يملأ نفوسنا حزنا معاشر المصريين اغتررنا بزخارف موهومة قد جعلها الاجانب من كمالياتهم فاتخذناها اساسا لرقينا وطريقا لمدنيتنا واعتبرناها من ضروريات الحياة لنا فتأنقنا فى ملبسنا وتفننا فى مأكلنا ومشربنا وتفاخرنا بمسكننا ومركبنا فاستوردنا الاقمشة للملابس من الخارج وكذلك الاساسات والرياش لمساكننا بأثمان فادحة بعد ان استصدرت منا بثمن بخس وكنا فيه من الزاهدين

ولم نفكر يوما ما فى ايجاد آلات ومصانع ترجع علينا بانتاج عظيم وخير عميم سوى تقليدنا لهم فى دنايا الامور تقليد الأعمي من غير ان ندرك لها معنى ـ فقدنا الكلاب فى غدواتنا وروحاتنا بسلاسل من فضة واطواق من ذهب وجهلنا ان الغرض من اقتنائها عندهم غير شريف . وتأبطنا اذرع السيدات فى الطريق متبرجات متهتكات وجلسنا بهن فى القهاوي ومحلات الملاهى واحتسيناممهن الخمر جهارا ولعبنا الميسر وشممنا الكوكيين والمورفين والأورين وقلناهذا هو الرقى والتقدم لنضارع به الغربى بينماهو يسخر من امورناويزدرى اعمالناوينظر الينا بعين ملؤهاالاحتقار

وفاتنا قبل ان نلهو ونلعب بهذه السفاسف والدنايا ان ننظر الى اولئك الغربيين ونفكر فى كيفية ايجادهم اسباب نعيمهم فى الحياة وتمتعهم بانواع الترف فنجدهم قد بحثوا فى قوة الطبيعة وفتشوا فى خباياها فتوصلوا الى كل شجاعة ممكنة وقدرة مستطاعة فى احداث كثيرمن مخترعات لهم كانت من خوارق العادت عندنا فانظر اليهم الآن وهم يجوبون الاراضى ويقطعون

الفيافى ويعبرون المحيطات فى سبيل اكتشاف علم جديد يثقفون به عقولهم وينيرون به افكارهم ليقدموا أمتهم ويفيدوا وطنهم بعد ان توصل بقوة عقله وثاقب فكره الاستاذ مركونى الايطالى الي انشاء التلغراف اللاسلكي واختراع النور الكهربائى . وأوجد الاستاذ جورج ستفنس الانجليزي السكة الحديدية من قبل ورأى بعضهم الآن ان امام العقل متسعا فى التفكير فاخذ يبحث فى سبيل الوصول الى القمر ليتصل بماله هناك فاعد قنبلة قابلة للسكنى وتقذف به الى العلو وقسم تلك القذيفة ثلاثه اقسام

اولا غرفة عليا فيها تلسكوب الملاحة والاجهزة المجددة للاوكسيجين

(ثانيا) غرفة وسطى سقفها يحمل المحرك الكهربائي الذي ينظم حركات القذيفة على محورها وعلى الجانبين غرف تحليل المادة واحداث قوة الدفع والقذف (ثالثا) غرفة فيها اقماع تحدث قوة كفيلة بتعديل مرمي القذيفة ـ ومساعدة لتتميم هذه الفكرة قد خصصت الجمعية الفلكيه الفرنسية جائزة سنوية قدرها خمسماية فرنك للحلول العلمية التى تعرض فى هذا الشأن وفى جملة المشتغلين الآن بهذا البحث المسيو روبير اينوبلرى ومن رأيه ان فى الوسع اجتياز المسافة التى تفصلنا عن القمر ومقدارها ثلثماية وأربعة وثمانون الفا من الكيلومترات وان المسئلة من الوجهة النظرية لا تتناقض ومقررات العلم الحديث وقد انحط راى الكثير على نجاح هذه القنبلة التى سموها (فوزية) باللغة الفرنسية ·

اساس هذه النظرية . هو استخدام قوة من قوى المادة فى الدفع

والقذف ولكن الحل العملى يتطلب تقدما فنيا فى معالجة المعادن وصناعتها لم يتم للآن

ومعنى هذا التقدم اصطناع القذيفة من مخاليط نهاية فى الخفة كما انه يتطلب تقدما ايضا فى الميكانيكا لضبط الاتجاهات واستحداث ما يمنع السقوط من غير وقاية ثم على الكيمياء بعد ذلك ان توجد وسيلة الاحتفاظ بجو صالح للتنفس فى داخل القذيفة وعلى الفسيولوجيا ان تدقق فى تعيين الظروف التى يحتمل فيها المجموع العضلي الانسانى تقلبات الضغط الجوى

ثم تأتى من بعد ذلك علوم الطبيعة لتقدم قوة الدفع اللازمة ووسائل الاتصال المستمر بالارض مدة سير القذيفة فى الجو صعدا وبالاختصار تري الكل هناك رجالا ونساء يعملون على تقدم أممهم ورقيها بكل مخترع مفيد وعلم جديد اما نحن فقد بعنا غالى حياتنا بشهواتنا ولذاتنا وكأننا نعيش لنأكل ونشرب لا ان نأكل ونشرب لنعيش عيشة راضية ونحيا حياة طيبة ودعونا تلك الملاذ من دنايا الامور وقبائحها بالمدنية بيننا فبئست هذه من مدنية تتلاشى امامها الفضائل والمكارم ولا حبذا ذاك من رقى يبعث على كل رذيلة ويدعو الى التأخر وسوء الحال

فالمدنية الصحيحة براء من تلك الضلالات المنسوبة اليها كذبا وزورا وما المدنية الحقة الا التى تأخذ بيد اهلها الي الرقى والتقدم على معارج الاخلاق والمكارم. وليست المدنية الحقة امرا حدث بيننا بواسطة الغربيين تطفلنا فيه عليهم كما فهمه بعضهم خطأ. بل المدنية حقا عريقة فى الامم وقديمة فيها ـ فمدنيات جميع الخلق منذ وجد آدم ابو البشر على ظهر

الارض قريبة التشابه لان مركز دائرتها واحد هو اتجاه انظار الامم الي ما يرقى بنى الانسان ويصلح بناء العمران ويقدم صاحبه ماديا وادبيا وذلك باتباع ارقى السنن العقلية التي تعود على الهيئة الاجتماعية بحسن النظام وتمام الكمال

فاقرأ معى ان شئت تحقيق القول صفحة من تاريخ الرمان والفرس وقدماء المصريين والعرب وغيرهم تجد مدنية الجميع راجعة الى بعضها فى السعى وراء التقدم والرقى وحسن الانظمة حسب توفيق كل امة الي ما وصلت اليه

بناء مجد الامم على الاخلاق الفاضلة

وانما الامم الاخلاق ما بقيت ... فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

اراد الله سبحانه وتعالى من خلقه فى حياتهم الدنيا حفظ نظام الهيئة الاجتماعية وتحسين بناء العمران وذلك لا يكون الا بترقية النفوس وتهذيب الاخلاق وكمال العقول البشرية

فشرع تعالى احكامه للناس حسب استعداد نفوسهم الفطري اذ ان بعضها يكفى لاصلاحه بث الاخلاق المرضية والصفات الحميدة وذلك لاستعداده الفطرى الى الكمال — وبعضها لايؤثر فيه بث الاخلاق ولا الترغيبات الى فعل الخير لما هو عليه من الاستعداد الفطرى الي الرذائل

لهذا جعل الله فى تشريعه مثل العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وجعل مثل الاخلاق الجميلة كالوفاء بالعهود وانجاز الوعود والصدق

فى القول والاخلاص فى العمل وحفظ الامانات الى غير ذلك مما يرقى النفوس ويهذب الاخلاق — وجعل مثل المعاملات والعقوبات وغيرها من كل ما يحفظ نظام هيئة المجتمع الانسانى

فالآداب الشرعية والاخلاق المرضية هى التى يبلغ بها الانسان اوج الكمال وينال سعادة الدارين . فهي المدنية الصحيحة لانها تدور على محور التعاليم الدينية

فالمدنية اخلاق فاضلة وآداب عالية وآراء سديدة واذواق سليمة من كل مايوصل الى السعادة الحقيقية والهناء التام — وليست المدنية كما فهما بعضهم التحلي بظواهر كل محدث من مظاهرا لفرنجة الكمالية لهم فيما قلدناهم فيه كما تقدم

فانظر معى رعاك الله الى اخلاقنا التى تدهورت وهوت بنا الي الدرك الاسفل من الانحطاط ولا ادل على صحة القول من انك لاتفتأ تسمع تألم الناس وبث شكايتهم من جراء فساد الاخلاق وسوء التربية

ومن العجيب أنك تسمع هذا التألم من المرتكبين انفسهم سيما عند مايؤلمهم صدع نتيجة ماعملوه بعد افاقتهم وان كان قد دفعهم تيار جارف من تلك الزخارف الكاذبة والمزاعم الواهمة والتقليد الاعمى

فالامة الاسلامية لاتستطيع الآن ان تعيد مجدها التالدوعزهاالمنيع وسلطانها القاهر الا اذا أقامت دعائم دينها وتمسكت بتعاليمه التى جاء بها لاصلاح النفوس وتنظيم المجتمع واتبعت ارشاداته حتى ينصلح حالها ويحسن مآلها فتكون فى مقدمة غيرها من الامم الراقيه

فاذا هى نبذت كل محدث ينافى الاخلاق المرضية ويعارض الآداب الدينيـة ثم رجعت الى ماورد من التعاليم القرآنية والسنة المحمدية وهما جـديران باصلاح النفوس وكفيلان للمدنية الحقـة والرقى الصحيح كان من السهل ان يرجع مجد الاسلام وتتجلي مظاهر وحدة المسلمين كما كانت بأجلى مظاهرهـا بين الامم لو انا طبقنا احكام هـذا القانون السماوى على اعمالنا وامورنا فى كل ماجاء به لتم لنا امرنا وفزنا حقا بين الامم بنجاح عظيم

دعاة الاجانب منا

اقول وقلبى يفيض من الاسف حزنا مابال قومنا نيام وساسة الغربيين وفلاسفتهم قاموا بنشر دعايتهم على يد منحطى الاخلاق بيننا لبث دعوتهم وترويج بضاعتهم بما دسوه لنا وموهوا به علينا ليفسدوا بذلك عقائدنا ويسيئوا اخلاقنا وقد جنح الى هؤلاء كثير منا بحجة ان عصرنا الحاضر لايتمشى مع القديم ولا التشديد فى الدين

وغريب ان يقوم باغراء الناس وايقاعهم فى شر التهلكة ويحرض على فساد الاخلاق قوم منا جعلوا انفسهم آلة فى يد الغير وهم اولى الناس بان يـكونوا قـدوة حسنـة للأمة فى الارشاد فتراهم عكسوا الامر وشوهوا وجه الحقائق فعوضا عن ان يجيبوا داعى الله ويقوموا بحث الناس على الصراط المستقيم ونشر الدين ومحاسنه وفضائله نادوا بهجر كل قديم حتى الفضائل المرضية والاخلاق الدينية وباتباع كل جديد محدث

ولو رذيلة فهم لا يألون جهد المستطيع فى تنفير الناس من دين الاسلام

تسخير الكائنات لبنى الانسان

ان الامم جميعها على اختلاف اجناسها تربطها وحدة الانسانية اولا وبالذات. والتعاون على الحياة لبناء العمران ثانيا « وخلق الانسان ضعيفا » فهو يتلمس الرزق من جميع جهاته ليسد به حاجاته مادية كانت كالطعام والشراب واللباس والمسكن او ادبية كتعلم العلوم والآداب والاخلاق

وهذه الحاجات تزداد شيئا فشيئا كلما تقدم العالم فى العمران وارتقى فى الحضارة . فتراه بعد ان كان فى حالته الأولى مخشوشنا فى معيشته لا يسعي الا وراء الضرورى من حاجاته التى يقيم بها اوده . اصبح منعما يتأنق فى ملبسه ويتفنن فى مسكنه ومركبه ومأكله . يري لزوم تعلمه فى حياته بعد ان كان لا يرى لذلك ضرورة . يركب الآلات البخارية والطيارات الهوائية اذا اراد الانتقال من جهة الي اخرى بعد ان كان يقطع الفيافى والوديان سيرا على اقدامه او على متن دابته وهكذا تزداد حاجات الانسان كلما ارتقى بناء العمران.

ومن فضل الله علينا وعلى الناس جميعا تسهيلا للحصول على تلك الحاجات خلق الله الكائنات وبث فيها كل مايحتاجه الانسان فى حياته من ماء وهواء ومعادن ونباتات وحيوانات الى غير ذلك مما خلقه وسخره لبنى الانسان « الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره

وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ماسالتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها. ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج. والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون

انتفاع الانسان بتلك النعم

اباح الله للانسان ان ينتفع بطيب تلك الخيرات ويستعملها فيما يفيده قال تعالى «ياأيها الذين امنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله» وبين لنا منافع اشياء كثيرة «وهدانا اليها وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله» قال تعالى « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال الحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون. وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا. هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات. وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما

طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون

هذه نعم كثيرة ومن عظيمة انعمها الله تعالى على بنى الانسان ليقيم بها اوده ويصلح حاله وينظم شأنه فى الهيئة الاجتماعية وكلفه بان يعمل ليحصل عليها

ضرورة العمل للحياة

معلوم ان استثمار هذه الاشياء للانتفاع بها يتطلب عملا ولو قليلا فى بعضها فلا بد للزرع من فلح الارض وبذر الحب وجنى الثمر . ولا بد للقمة الخبز من طحن وعجن وخبز . ومضغة اللحم من ذبح وطبخ. والثوب من غزل وخيط ونسج وهكذا فى سبيل الحصول على تلك الحاجيات

فالعمل من ضروريات الحياة لبناء العمران ولازم لكل حى موجود وان مثله بالنسبة لمواد الطبيعة التى هى ينابيع ثروتنا كمثل الدلو من البئر فى اغتراف الماء منها . وقد بين الله تعالى ضرورة العمل فكلفنا به حتى نحصل على مايقوم بحاجاتنا الضرورية قال تعالى « فابتغوا عند الله الرزق . فامشوا فى منا كبها وكلوا من رزقه واليه النشور . وان ليس للانسان الا ماسعى » ثم قال تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » فطلب من عبده بعد اداء ماوجب عليه من الصلاة ان ينتشر فى الارض ويجوب البلاد طولا وعرضا

رغبة فى ان يعمل لينتفع بما خلق الله له من نعم عظيمة وقد جعل الله لكل شيء سببا فقد امر تعالى السيدة مريم بنت عمران وقت مخاضها ان تهز جذع النخلة لتساقط عليها رطبا قال تعالى « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقري عينا » وهو قادر على ان يكفيها مؤونة هذا التعب فى وقت هى احوج الى الراحة فيه وماذاك الا لارشادها وحثها على العمل

ضرورة وجود قوة حاكمة بين الناس

الانسان مدنى بطبعه والاجتماع ضرورى له فى الحياة للوصول الى المنافع ولوجود المصالح المشتركة فى حياته المعيشية وهذا يستلزم ان يتعامل الناس فيما بينهم ومن ثم الى التنازع فالتقاضى — فاذا لم تنصلح النفوس وتهذب الاخلاق ويعرف كل فرد واجبه فى هذه الحياة ليقف عند حده لا تنتظم حالة لأمة قط

لهذا كان من الضرورى للعالم وجود قوة تهيمن عليهم فتدفع عدوان بعضهم على بعض «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض» فلولا ان الله تعالي يدفع الناس ببعضهم ويكف فسادهم بوجود القوى فيهم لغلب المفسدون على غيرهم من الصالحين وفسدت الارض وبطلت منافعها من الحرث والنسل وانهدم بناء العمران لاتباع اهوائهم « ولو اتبع الحق اهوائهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن »

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

من اجل ذلك وجدت الحكومات فى جميع الامم الراقية وكونت الهيئات السياسية لوضع القوانين العامة وسن اللوائح الداخلية وتنفيذ الاحكام فتأخذ بناصر المظلوم وتمنع الظالم من تعديه وتوقع القصاص عليه وبهذا ترتدع النفوس وتحسن المعاملات وتتوطد العلاقات بين افراد الأمة فتصل الحقوق الى ذويها فيسود النظام العام بين الجميع وينمو العالم فى هذا المجتمع ويتقدم فى شئونه واحواله

هيمنة القانون السماوى والوضعى والفرق بينهما

نعم توجد هذه القوانين الوضعية لتنظيم العلاقات بين الناس بصفتهم اعضاء هيئة اجتماعية . الا ان احكام هذه القوانين لا تتعلق الا باعمال الانسان الخارجية التى لها مساس فقط بالهيئة الاجتماعية لان الاعمال الداخلية الشخصية لا سلطان لاحد عليها . فالقانون الوضعى لا يعاقب ولا يثيب عليها بمجرد العزم فقط بل لا بد قانونا ان يصل التصميم فيها الى درجة الشروع فى العمل

فانت ترى مثلا صفة الحسد والحقد والكبر وعدم حبه الخير لاخيه كنفسه ونزع الشفقه من قلبة على بنى جنسه وما شاكل ذلك من كل صفة مرذولة ونية سيئة . أو عمل يكون بين الشخص ونفسه كقتله فى خلوة شخصه او بتره عضوا من اعضائه لادخل للقانون فى ذلك كله . كذلك نرى الانسان قد يجعل نفسه فى حل من ارتكاب الجريمة وفعل المعصية

امام ذلك القانون متى امن غائلته وطائلة عقابه بأيـــة وسيلة كالتحيل او الاختفاء عن الاعين

علم الله ذلك كله فاراد من الشخص ان يكون فى الهيئة الاجتماعية عضوا منها بالمعنى يتألم لتألم غيره من بنى جنسه فيكون مثله معهم كمثـل أعضاء جسمه اذا اشتكى عضو منها تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر فتتولد فيه العاطفة الاخوية والشفقة الانسانية والرحمة الآلهية ليحس باحساس بنى جنسه ويشعر بشعورهم

فجعل قانونا سماويا يرشدهم الى التخلق باخلاقه والتأدب بآدابه «كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» فاخذ هذا الـكتاب الكريم بمجامع قلوبهم فخضعوا له مذعنين بما فيه وبما أورثه فيهم من الرغبة والرهبة نحو الثواب والعقاب فى الحياة الآخرة . وسعه ان يردع الناس ويمنعهم من ان يخاطروا بانفسهم ويلقوا بايديهم الى التهلكة فولد فى قلوبهم الرحمة وحملهم على مكارم الاخلاق وفضائل الاعمال حتى التى بينهم وبين انفسهم ولا يكون للقوانين الوضعية دخل فيها

فبعثهم على اغاثة الملهوف واقراء الضيف وايواء ابن السبيل والعطف على الفقراء واوجد فى نفوسهم احساسا شريفا نحو بعضهم حتى جعلهم يتركون اكل بعض المباحات كريهة الرائحة مراعاة لآداب الاجتماع لمن اراد حضور مجتمع أو دخول مسجد

فالانسان فى سره وعلانيته تحت مراقبة هذا القانون السماوي يراه مهيمنا عليه اينما وجد وحيثما كان . ذلك لأنه يعتقد ان واضعه عالم حكيم

«لا يغرب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين» فسبحانه احاط علمه بجميع الكائنات « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والله يقضي بالحق » فلا فرق اذن بين ان يكون الانسان فى عواصم البلدان ترقبه اعين الحكام وبين ان يكون فى الاودية والفيافى حيث لا رقيب عليه هنالك

فالدين الاسلامى كفل مصالح الامم جميعها روحية كانت أوجسدية وصلح لذلك فى جميع الازمان والاماكن . فترى كلما تقدم الزمن وتطورت الامم وارتقت فى حضارتها ومدنيتها الحقة ظهر للناس ما يدل على ان الدين الاسلامى يتمشى مع جميع الامم فى كل زمان ومكان

فهو الذي يصلح النفوس حقا ويطهرها من ادرانها ويربيها على افضل الاخلاق ومحاسن العادات وذلك بخلاف القوانين الوضعية فليس لها سلطان ولا هيمنة على النفوس والضمائر

والشخص لا يكون انسانا بمعناه الا اذا تحققت فيه خاصية الانسانية باكمل معانيها وتجلت فيه باجلي مظاهرها من العطف والرحمة والشفقة نحو بنى جنسه ومحاسبته لضميره وخلوص نفسه من شوائبها وادراك لذة العالم الروحانى فانه متى اعطي الروح قسطها من ذلك ورتعت فى رياض جماله وانسه وشربت من صافى عذب مائه. ارتفعت به من حضيض الحيوانية الى اوج الانسانيه وكان جديرا بالحياة الحقيقية والعيشة المرضية ولا يتصف بهذا الكمال ولا يتجمل بذاك الجمال الا اذا تحلى بمدنية الدين وعمل بمقتضى تعاليمه وصار على قوانينه . ومن كان هذا شأنه انتظمت شئونه وصلحت احواله

فانت ترى هذا الدين لم يترك الانسان وشأنه يفعل ما بداله بمقتضى عقله بل هداه الي أقوم سبيل ينتظم به حاله اذا هوسلكه واتبعه . فرسم له الخطة التي يسير عليها مع نفسه واسرته وعشيرته وجيرانه وامته وجميع بنى جنسه فامره بكل ما فيه المصلحة له ونهاه عن كل مافيه المفسدة عليه «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين »

حكمة التشريع وقصد الشارع من الاحكام

وضعت الشرائع السماوية لمصالح العباد عاجلا وآجلا . فقد اتفقت الأمة الاسلامية بل وسائر الملل على ان الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس للحياة — وهي الدين . والنفس . والمال . والنسل . والعقل مراعى فى ذلك مصالح العباد

فمن ابتغى من تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقضها ومن ناقض الشريعة فعمله باطل لأن المشروعات انما وضعت لتحصيل المصالح ودرء المفاسد . فاذا هي خولفت لم يكن فى تلك الافعال التى خولفت بها جلب مصلحة ولا درء مفسدة ويكون ذلك المبتغي قد قبح ما حسنه الشارع وحسن ما قبحه وهذه مضادة

فالذى يقصد من الشرائع ارشاد الناس الى معرفة ربهم ودرك احكامه التي ينتظمون بها فى حياتهم فيعيشون آمنين مطمئنين متعاونين فى الوصول الي ضروريات الحياة . وان يعبدوه ويطيعوه ويتخلقوا باخلاق الدين الفاضلة وآدابه العالية فتتجلى مظاهر تلك الصفات باكمل معانيها فى الهيئة .

الأجتماعية وبذلك يسود النظام الجميل بين الجميع ويتم بناء العمران الصحيح وينتظم حالهم ويحسن مآلهم فتتم لهم السعادة فى الدنيا والآخرة

فقصد الشارع الحكيم بتشريعه الأحكام لخلقه اقامة المصالح الدنيوية والاخروية على وجه كامل لايختل به نظامها مع بنى الانسان فى حياته لاكلا ولا بعضا فقد اراد من هذه الامور التي كلف بها عباده ان يحفظ فيهم مقاصد شريعته الثلاثة الضرورية . الحاجية . التحسينية وهاك بيانها بالاختصار كى يتبين لعشاق المدنية الحديثة ان المدنية الصحيحة التى ترجع الى صاحبها بالمصلحة دينا ودنيا لم تخرج عن الدين الاسلامى فانه احرص على مصلحة الانسان واشفق عليه من نفسه « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »

المقاصد الضرورية

هى التي لا بد من وجودها فى قيام المصالح العامة المتعلقه بالدين والدنيا ذلك لان نظام العالم قائم عليها واحوال بنى الانسان لاتنتظم الا بها فاذا مافقدت تعطلت مصالح الدنيا وضاع ثواب الآخرة وهي تحفظ بخمسة امور . بالدين . والنفس . والنسل . والمال . والعقل . وكل واحد من هذه الخمسة يحفظ بامرين « احدهما » وجودي وهو مايوجد بوجوده المقصد وذلك ثلاثة . عبادات . وعادات . ومعاملات

فاصول العبادات كالايمان بالله تعالي والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج شرعت لحفظ الدين

والعادات شرعت لحفظ النفس والعقل كتناول المأكولات والمشروبات والملبوسات وكالمسكونات وغيرها لأن ترك هذه الاشياء فيه هلاك النفس واختلال العقل

والمعاملات وهى ماترجع الى مصلحة الانسان مع غيره كالبيع والاجارة والهبة والزواج . شرعت لحفظ النسل والمال بلاواسطة ولحفظ النفس والعقل بواسطة العادات المتقدمة « ثانى الامرين » عدمى وهو مايكون عدمه سببا فى وجود المقصد وهذا أمرواحد يتحقق فى الجنايات وهى الافعال المحرمة التى تحل بالنفوس او الاموال

ولما كانت هذه تعود على ماتقدم بالابطال جعل الله فى تشريعه ما يذهب بذلك الابطال ويحقق المصالح . فشرع القصاص والدية لحفظ النفس وشرع حد شرب الخمر لحفظ العقل وشرع التضمين لحفظ الاموال

المقاصد الحاجية

هي ما يحتاج اليها من حيث التوسعة على العباد ورفع الضيق عنهم المؤدى غالبا الى حرج ومشقة واذا لم تراع لحق المكلفين على الجملة ذلكما الحرج والمشقة وهي تجرى فيما جرت فيه الضروريه من عبادات وعادات ومعاملات وجنايات

فمثالها فى العبادات . الرخص المخففة التي تجرى فيها بسبب المرض او السفر دفعا للمشقة كقصر الصلاة واباحة الافطار للصائم — وفى العادات

كاباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال مأكلا ومشربا وملبسا ومسكنا ومركبا ألى غير ذلك — وفى المعاملات كالسلم (١) والمساقاة (٢) والغاء التوابع وقت العقد على المتبوعات. كثمر الشجر. ومال العبد عند بيعه. وفى الجنايات كالقسامة(٣) واللوث(٤) والتدمية وضرب من الدية[٥] على العاقلة(٦)

---

(١) هو بيع آجل بعاجل كبيع عشرة قناطير من القطن قبل اوان نضوجه بشرط بيان جنسه ونوعه وصفته وقدره واجله واقله شهر وقدر رأس مال السلم ومكان الايفاء (٢) هو دفع الشجر الى من يصلحه بجزء من ثمره بشرط ان يعين للعامل جزءا معلوما من الثمرة وان يخلى بينه وبين الشجر (٣) هى ان يحلف أولياء القتيل خمسين يمينا ان قاتله فلان (٤) هو أمر ينشأ عنه غلبة الظن بصدق المدعى ويتحقق اللوث بامور منها شهادة عدل واحد بالقتل وشهادة جماعة ولو غير عدول وشهادة عدلين على قول حر بالغ مسلم قتلنى فلان أو جرحني واستمر على اقراره الي ان مات وكان به جرح ظاهر ويسمي هذا بالتدمية الحمراء وهى شرط فى وجوب القسامة فى هذه الصورة حتى اذا شهد العدلان على اقرار القتيل ولم يكن به جرح فلا قسامة ومنها شهادة عدلين على معاينة فلان وهو يضرب القتيل أو وهو يجرحه مع تأخر موته عن الضرب أو الجرح ومنها شهادة عدل واحد أو اكثر بمعاينة القتيل يتخبط فى دمه ويضربه فلان وفى يده مدية ملوثة بالدم مثلا (٥) هى المال الذى يأخذه أولياء المقتول خطأ أو شبه عمد وهى ماية من الابل فى حق الرجل الحر قال صلعم فى النفس المؤمنة مائة من الابل. ودية المرأة على النصف من دية الرجل في النفس وما دونها (٦) عاقلة القاتل الحر هم اهل ديوانه ان كان من أهل الديوان وهم المقاتلة من الرجال الاحرار البالغين العاقلين والافهم عشيرته. تؤخذ الدية من عطاياهم وكانت على قبيلة القاتل قبل أن يضع سيدنا عمر رضى الله عنه ثانى خليفة رسول الله صلعم الدواوين ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين والرقيق لأنهم ليسوا من اهل النصرة. وحكمة ضمان العاقلة الدية مع القاتل الذى يدفع مثل احدهم لان حفظه واجب على عاقلته فاذا لم يحفظوا فقد فرطوا والتفريط ذنب ولان القاتل انما يقتل بظهر عشيرته فكانوا كالمشاركين له فى القتل

المقاصد التحسينية

هى لم تدع الى مشروعيتها ضرورة ولم يكن الناس فى حاجة اليها لدفع حرج ومشقة وانما روعيت للأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الاحوال المدنسات التى تألفها العقول الراجحات ويجمعها قسم مكارم الاخلاق التى بعث الرسول صلعم لاتمامها قال الله تعالى « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » وقال صلعم « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » وهى تجرى فيما جرت فيه الضرورية والحاجية فمثالها فى العبادات . الطهارة بجميع انواعها . وستر العورة وأخذ الزينة والتقرب بنوافل الخيرات من كل صدقة أو قربة

وفى العادات كآداب الأكل والشرب ومجانبة المآكل النجسة والمشارب المستخبثة . والاسراف والأقتار فى المتناولات

وفى المعاملات كالمنع من بيع النجس وفضل الماء والكلأ(١) وسلب العبد منصب الشهادة والامامة لكونه مستسخر المالك مشغولا بخدمة سيده . وكسلب المرأة الامامة وعدم تزويجها نفسها

وفى الجنايات كمنع قتل الحر بالعبد لعدم التماثل بينهما ومنع قتل النساء والصبيان والرهبان فى الجهاد لانهم ضعاف لا يقاتلون

وبالتأمل فيما سبق يعلم ان المقاصد الضرورية اصل للحاجية والتحسينية . فاختلال المقاصد الضرورية اختلالا كليا يستلزم اختلال

---

(١) الكلأ مهموز العشب رطبا كان او يابسا والجمع اكلاء

الحاجية والتحسينية اختلالا كليا وان كان لا يلزم من اختلالهما اختلالا كليا اختلال الضرورية اختلالا كليا

وعليه فينبغي المحافظة عليهما لاجل الضرورية

وجوب المحافظة على الكليات الخمسة

ظهر جليا مما تقدم ان مصالح الدين والدنيا لا تتحقق الا بالمحافظة على الكليات الخمسة سابقة الذكر التى هي اصول العبادات لانه اذا اختلت هذه الكليات لم تنتظم حال المكلف فى دنياه واخراه اذ لو انعدم الدين لم يضمن للناس ما يحقق سعادتهم ولم ينالوا ما يرتجى لهم فى الآخرة من الجزاء — كذلك لو انعدم الشخص المكلف او العقل لم يوجد من يتدين من الناس — ولو عدم النسل او المال لم يكن بحسب العادة بقاء للعالم وهذا معلوم لا يرتاب فيه من عرف احوال الدنيا وانها زاد للآخرة فهذه تعاليم الدين الاسلامى وتلك مدنيته الصادقة تناديكم ان الدين قد نظم الانسان فى دنياه وكفل سعادته فى اخراه فقد دعاه الى الخير وارشده الى كل فضيلة وساق الناس جميعا الى ما يوجب رفعتهم ويحقق سعادتهم وما يحسنون به معاملتهم مع خالقهم وبنى جنسهم « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربي وينهى عن الفحشاء و المنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون »

﴿ وجوب معرفة الله والحث على العبادة ومكارم الاخلاق ﴾

اوجب الله تعالى على الانسان اول كل شيء معرفته واوجب عليه ثانيا

عبادته حتى يعبد آلها واحدا واجب الوجود متصفا بكل كمال فيقر على نفسه بالعبودية ولسيده بالالوهية ويتقيه ما استطاع بفعل المامورات وترك المنهيات (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم) فان التقوى سبب فى رضوان الله عليه واحسانه اليه — ذلك لأنه تعالى هو الذي اوجده من العدم واغدق عليه جلائل نعمه ظاهرة وباطنة بارادة منه وقدرته

ثم قرن طاعة رسوله سيدنا محمد صلعم بطاعته تعالى فقال (يا أيها الذين آمنو اطيعوا الله واطيعوا الرسول) لأنه سبب فى هدايته والوصول الى سعادته فى الدنيا والآخرة باتباع سنته ونهج طريقته — وطلب منه بره بوالديه واحسانه اليهما قولا وفعلا فيلتزم لهما الطاعة ويقوم بالانفاق عليهما عند الحاجة لأنهما اصله وسبب فى خلقه فهما اقرب الناس اليه واشفقهما عليه .

طلب منه ان يصل رحمه واقاربه فيواسيهم ويبرهم لانهما اقرب الناس اليه بعد والديه فى نصرته والزود عن حياضه وحمايته قال تعالي (ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى)

طلب منه أن يرأف باليتيم ويشفق عليه ولا يقهره فيعطيه اذا سأل، ويلاطفه اذا حادثه لان موت ابويه او احدهما اورثه ذلا ومسكنة ولاسيما عند رؤية آباء غيره من امثاله. فحسن معاملته والعطف عليه مما يخفف آلامه ويطمئن باله قال تعالي (فاما اليتيم فلا تقهر)

طلب منه ان يعطف على ذوى الأعسار والفاقة من بنى جنسه فيمدهم

من نعم الله عليه بما يقوم ببعض حاجياتهم لان امتناعهم وهم اغنياء من مد يد المساعدة لهم وهم فقراء مما يثير عواطفهم ويزرع فى قلوبهم بغضهم لأغنيائهم وفى هذا اعظم خطر عليهم بل وعلى المجتمع الانسانى لانه يقوى مذهب الاشتراكيين قال تعالى (وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة

وصى على الجار بحسن المعاملة ولين الجانب له وعدم تتبع عوراته وان يواري سوآته ولا يحرمه من نعم انعمها الله عليه فقد كان بعض أصحاب رسول الله صلعم يؤثر صاحبه على نفسه وهو فى شدة الاحتياج الي ما آثره به قال تعالى (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) ثم يعوده اذا هو مرض ويزوره اذا صح قال صلعم (ما زال اخى جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه معى)

فاحترام الجوار وحفظ حرمات الجار امر محتوم قال ابن الوردي رحمه الله

دار جار الدار ان جار وان   لم تجد صبرا فما احلى النقل

وما احسن قول عنترة العبسى وهو جاهلي فى علو الهمة وكرم النفس مراعاة لحق الجوار

واغض طرفى عن كليلة جارتى   حتى يوارى جارتي مثواهـا

حث الدين على حسن المعاملة للصاحب مراعاة لحق الصحبة سواء اكان ذلك فى سفر ام حضر بسبب تعلم علم او اشتراك فى مهنة او مجالسة فى مجلس عادى او علمى. كذلك يعطف على الغريب والضيف فيأويه ويسامره بحلو الحديث ويقربه بان يبش فى وجهه ويسرع اليه بما عنده سئل اعربي

عن الكرم فقال « الكرم شيء هين وجه بشوش وكلام لين »

حثه على ان يستوصى خيرا بالعبيد و الاماء فلا يكلفهم فوق قدرتهم مالا يطيقون من العمل ولا يزدريهم ولا يستذلهم وان كانوا مقصورين على خدمته . فقد كان رسول الله صلعم يواسيهم ويلاطفهم فيجلسهم للاكل معه ويردفهم على دابته ويساعدهم فيما هم مكلفون بعمله لبيته فطلب الرحمة بهم والاشفاق عليهم وكان آخر كلمة تلجلج بها لسانه وخفت فيها كلامه » صلعم قوله « وماملكت ايمانكم لاتكلفوهم ما لا يطيقون » وروى انه قال صلعم « اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم واطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون و لاتكلفوهم من العمل مالا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولوشاء لملكهم اياكم »

هذا دين الاسلام وتلك معاملته لهؤلاء الانواع المتقدمة فتراه حث على الاحسان اليهم والانعام عليهم مراعاة لحقوق الانسانية ورابطة الاخوة

وان يكونوا مع هؤلاء فى نهاية الديمقراطية لتتحقق اخوتهم الانسانية وبنوتهم الآدمية فلا يستكبرون عليهم ولا يفخرون قال تعالي (واعبدا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب (١) والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من

---

(١) الذي جوراه بعيد

كان مختالا فخورا)

ارشد دين الاسلام الانسان الى كل هذه الفضائل والمكارم من حسن المعاشرة وجميل المعاملة ولين الجانب والتغاضي عن عيوب الناس والعمل على رضاهم حتى يحب بعضهم بعضا. ليتعاونوا على جلب الخير ودفع الشر فتتحد كلمتهم وتتألف جماعتهم فطلب العفو للمذنب والصفح عنه والاحسان اليه فى مقابلة الاساءة منه عملا بمكارم الاخلاق لتتآلف القلوب وتتحابب فيسود الوئام بين الجميع قال تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي احسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)

بين الله تعالى بهذه الآية الشريفة ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى انفسهما فيأخذ المرء بالحسنة التى هي احسن من اختها فيما اذا اجتمع لديه حسنتان فيدفع السيئة التي ترد عليه باحسنهما — بيان ذلك لو اساء رجل اليك اساءة فالحسنة هى ان تعفو عنه والتى هي احسن من اختها ان تحسن مكان اساءته مثل ان يذمك فتمدحه . وهى خصله عظيمة من اشرف الخصال لا يلقاها الا رجل تدرع الصبر فوفق لحظ من الخير عظيم

اراد الله تعالى العطف والرأفة والرحمة منا لبعضنا بل ولكل حيوان فامر بالاحسان منا فى كل فعل حتى فى القصاص الشرعي وفى ذبح الحيوان مباح الأكل ليقع الفعل على مقتضي الشرع والعقل فيما يتعلق بمعاش الفاعل او معاده فالذي يتعلق بمعاشه . سياسته مع نفسه وبدنه واهله واخوانه وملكه والناس . والذى يتعلق بمعاده . الايمان وهو عمل

القلب . والاسلام وهو عمل الجوارح

فان احسن الانسان فعله فى هذه الامور كلها بأن اتى به على وجهه المطلوب فقد حصل على كل خير وسلم من كل شر بخلاف ماكان عليه الناس قبل الاسلام فى جاهليتهم الأولى من تمثيلهم فى القصاص بجدع الأنف وقطع الايدى والارجل ومن ذبحهم الحيوانات [١] بالمدى [٢] الكالة والعظم والقصب ونحوه مما كانوا يعذبون به الحيوانات

لذلك قال صلعم (ان الله كتب الاحسان على كل شىء فاذا قتلتم فاحسنوا [٣] القتله واذا ذبحتم [٤] فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم [٥] شفرته [٦] وليرح ذبيحته) وقال صلعم (ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء)

حكمة الزواج واحكامه

اتينا بهذه الكلمة من رسالتنا (تعدد الزوجات فى الاسلام) التى قدمناها للجنة العامة فى امتحاننا النهائى بقسم تخصص القضاء الشرعى بمدرسة القضاء سنة ١٩٢٧ وهاك نصها

---

(١) جمع مدية وهى السكينة ونحوها . (٢) هى الغير الحادة (٣) بكسر القاف الهيئة والحالة التى يكون عليها المقتول وبفتحها الفعلة (٤) بكسر الذال هى الهيئة والحالة التى تكون عليها الذبيحة وبفتحها الفعله كما تقدم فى القتلة سواء بسواء (٥) بضم الشين وقد تفتح هى السكين العظيمة ومثلها كل ما يذبح به ولا صحة لما يقوله بعض العامة من عدم جواز الذبح بسكينة يدها غير مخروقة وليس بها مسمار (٦) بان يلقيها على الارض برفق ويسقيها قبل الذبح

لما كان الانسان نسخة العالم العلوى وسر الخليقة ومناط التكاليف الشرعية ومن اجله بعثت الرسل وشرعت الشرائع السماوية ودونت الاحكام الدينية والدنيوية وبنيت له الداران دار النعيم المقيم للحياة الأبدية والنشأة الاخروية ودار الشقاء الفانية هذه الحياة الدنيا. لهذا كانت عناية الحق تعالى به جلية لا تحتاج لبيان ولا اقامة برهان فخلقه على وجه اراد به حفظ نوعه وبقاء جنسه بان جعل منه الزوجين الذكر والانثى واودع في طبيعته قوة شهوية تدعوه الى الاقتران وتحمله على طلب الازدواج كسائر انواع الحيوانات ليدوم النتاج بالازدواج على اتم نظام الى الامد الذى شاءه تعالى وسبق به علمه القديم غير ان الانسان يفترق عن غيره من سائر الحيوانات فى طلب الازدواج فان ما اودع فى الانسان من قوة التمييز دعاه الي ان يطلب الجميل المحبوب من الازواج. وبما هو مفطور عليه من الحرص الذى يسمي غيرة لا يسمح لغيره ان يشاركه فى زوجته ولو ادى ذلك الى اراقة الدماء وازهاق النفوس وهذه حالة خاصة بالانسان دون غيره من الحيوانات فانها وان كان يغار ذكرها على انثاها وقت طلبه لها فهى لحيظات قليلة تنقضى بانقضاء شهوته. وفوق هذا ان الانسان فى حاجة الى التعاون فى اموره وخصوصا الداخلية منها فخير معين له زوجة تساعده على نوائب الدهر وتشاطره السراء والضراء وتعاونه على القيام باعباء الحياة. فتلد له اولادا يشدون ازره ويحتملون عنه نصيبا من مشاق الدنيا ومتاعبها فيحمون بيضته ويقوون شوكته

ومعلوم انه لو ترك الانسان يسير تابعا لهوى نفسه مسترسلا مع

شهواتها بدون تقييد لطرق استعمالها بقانون يحفظ ثمرتها ويكفل سلامة نتيجتها . وايضا لو ابيح لكل انثى ان تقترن بأي فرد من افراد الرجال فى كل وقت وابيح للرجال كذلك وترك الناس عبيدا لشهواتهم تسوقهم الى ما تشاء وكان الغرض قضاء الشهوة فقط للرجال والنساء . لأدى ذلك الى فساد هذا النظام الجميل وتقويض اركان سعادته وهنائه

لهذا كله قيد الدين الاسلامى الزواج بعقد صحيح ليكون كل من الزوجين مرتبطا بقوانينه لا يتعداها الى غيرها محاحظره على الانسان وحينئذ لا يكون الغرض منه مجرد قضاء الشهوة فقط لانها وسيلة للنسل المقصود الذي يبقى به النوع الانسانى بشرط ان تقوم الحياة الزوجية بينهما بأكمل معانيها على سكون الزوجين الى بعضهما وايناسهما وتوادهما وتراحمهما .

فالزواج شرع لهذا مراعى فيه احوال الشخص التى تتمشى معها مشروعيته — ومن هنا كانت تعتريه الاحكام الشرعية الخمسة فيتصف بها الزواج نظرا للظروف والاحوال التى تحيط بالشخص . فتراه يحرم على الانسان ان يتزوج فى ظروف تكون المصلحة المقصودة من مشروعية الزواج معدومة فيها وذلك عندما يتيقن الشخص عدم القيام بامور الزوجية

ثم يتحتم عليه ان يتزوج ويكون فرضا عليه الزواج اذا تحقق انه لولم يتزوج لوقع فى معصية الزنا

ويجب عليه وجوبا اقل من الفرض اذا اشتد شوقه الى التزوج وكان يخاف الوقوع فى الزنا لو لم يتزوج من غير ان يتحقق الوقوع فيه بالفعل

ويكره له ان يتزوج اذا خاف الجور فى حقوق الزوجية وكان لا يتحققه

ويكون سنة حال الاعتدال بأن لا يكون الشخص فى شدة الاشتياق الى التزوج ولا فى غاية الفتور عنه

وهذا كله مفروض فيمن يملك المهر والنفقة فان كان لا يملكهما ولا يمكنه التكسب ولم يجد من يساعده على ذلك فعليه بالصوم حينئذ لما روى (عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلعم يامعشر الشباب من استطاع منكم[1] الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له[2] وجاء يعنى رسول الله صلعم ان التزوج لمن يقدر على مؤن النكاح ونفقاته خير وسيلة لان يكف الانسان بصره ولا ينظر الى ما حرم الله فانه اقوي مانع وافضل محصن للانسان من الوقوع فى الحرام

ثم ارشد صلعم العاجز عن مؤن النكاح ونفقاته الي ان يصوم ويعالج نفسه بالصبر فانه كاسر للشهوة كما ان رض انثيي الفحل بالحجر ونحوه كاسر لشهوته

ومن هنا رؤى ان الديانة الاسلامية راعت الظروف وتأثيراتها فى مشروعية الزواج كما تقدم بيانه آنفا بخلاف الديانات الاخري فانها وان كانت مجمعة على ان الزواج امر مطلوب بالشرع والفطرة البشرية وعلى ان حكمة مشروعيته التناسل واستبقاء النوع الانسانى على الوجه الاكمل الا انها اختلفت فى وجهة طلبه . فالديانة اليهودية حتمته على الانسان تحتيما وشددت فى طلبه ونسبت الى من رغب عنه المعصية فى

---

(١) الباءة هى مؤن الزواج (٢) الوجاء هو رض انثيي الفحل بالحجر ونحوه كالطعن بسكين وهو كناية عن اذلال نفس الصائم بواسطة الصوم وكسر شهوته

جميع ظروفه

والديانة المسيحية تساهلت فيه ورغبت عنه الي حد نشأت عنه الرهبانية [١]

ارشادات الدين الى انتقاء الزوجة

راى الدين الاسلامى ان الزوجة اقرب شريك للرجل فى حياته فهى أول معين له فيها واولي له — ومن تامل رأي ان اول حجر وضع للانسان في أساس المدنية الصحيحة هو قبول الرجل والمرأة الاشتراك فى المعيشة الزوجية وتعاونهما على الفائدة والمصلحة فأنه كلما زادت عوامل الزوجية بارتباط المعيشة وانتظامها تزيد معها عوامل المدنية والارتقاء فى بناء العمران الصحيح فبالزوجة تتكون العائلة وبالعائلة تتكون الأسر وبالأسر تتكون الأمة

لهذا لم يترك الدين الرجل يسير وراء شهواته ولذاته النفسية فى اختياره زوجة تشاطرة الحياة الزوجية . فحثه على انتقاء الزوجة المتدينة طاهرة الاصل طيبة العنصر كريمة الاخلاق حسنة الادارة ليدوم هذا الزواج الشرعي مادام الرجل والمرأة على قيد الحياة حيث يشتركان فيه اشتراكا تاما ويتحدان اتحادا كاملا فى المعيشة الزوجية ويختلطان اختلاطا كليا فى جميع الامور والاحوال

---

(١) الرهبانية الانقطاع للعبادة فقط. يقال ترهب الراهب اذا انقطع للعبادة وترك الزواج وامور الدنيا

فسكون الزوجين وايناسهما وتمتعهما ببعضهما وما بينهما من التوادد والتراحم بسبب الزواج مما يحقق الحياة الزوجية باكمل معانيها المطلوبة شرعا قال تعالى (ومن آياته ان جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) يريد الله تعالى بالزواج الشرعى بهذه الطريقة نظاما جميلا فى السكون أساسه المودة والرحمة ليوصل الى سعادة الناس وهنائهم ويشير بهذه الآية الى ان الزواج نعمة عظيمة فانه دعامة التوادد والتراحم ومجلبة الالفة والمحبة والوفاق وان المرأة انما جعلت ليسكن اليها زوجها ويأنس بها فيجد منها مسليا لكروبه ومفرجا لهمومه ومعينا على تدبير منزله فى مسكنه فيقوم لها بما تتطلبه منه المعاشرة وتفرضه عليه المؤازرة والمروءة والمودة بينهما

واجبات الزوجة نحو الزوج

اوجب الله تعالى على الزوج جميع النفقات اللازمة لها من طعام وكسوة وسكنى واقامة العدل اذا كان معها غيرها. فترى هذا الدين استوصى بالزوجة خيرا . رفعها من وهدة انحطاطها فسوى بينها وبين الرجل فيما لها من الحقوق قال تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » وقد عول فيما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس فى معاشراتهم ومعاملاتهم لاهليهم فان ما يجرى عليه عرف الناس، هو تابع غالبا لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم

فهذه الآية الشريفة تعطي الرجل ميزانا عدلا يزن به معاملته لزوجته فى جميع الشئون والاحوال فاذا هم لمطالبتها بأمر من الامور تذكر انه يجب عليه مثله بازائه لهذا قال ابن عباس رضى الله عنه « انى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى بهذه الآية » يعنى آية ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف

وليس المراد بالمثل فى الآية المثل باعيان الاشياء واشخاصها وانما المراد ان الحقوق بينهما متبادلة وانهما اكفاء فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله ان لم يكن مثله فى شخصه فهو مثله فى جنسه فالمرأة والرجل متماثلان فى الحقوق والاعمال كما انهما متماثلان فى الذات والاحساس والشعور والعمل اى ان كلا منهما بشر تام له عقل يفكر به فى مصالحه وقلب يحب مايلائمه ويسر به ويكره مالا يلائمه وينفر منه . فلا ينبغي ان يتحكم احد الزوجين فى الآخر ويتخذه عبدا يستذله ويرهقه فى خدمة مصالحه بغير رضا منه خصوصا بعد عقدة الزوجية والدخول فى الحياة المشتركة بينهما التى لا تتحقق فيها سعادتهما وهناؤهما الا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه

هذه معاملة الدين الاسلامى للزوجة وتلك مدنيته الصادقة نحوها ولا ادل على صحتها من عطف الدين عليها وحمايته لها

واجبات الزوج نحو الزوجة

على المرأة ادارة المنزل فى شئونه الداخلية التى لا دخل لعمل الزوج فيها فهى تقوم بتنظيفه وترتيبه وطهي الطعام بواسطة خدمها ان تيسر

والا فبنفسها حسب طاقتها . ومن كما لها ان تكون على دراية بتفصيل ملابسها التى تزيد فى بعض الاحايين اضعافا على ثمنها لانه مفروض فيها مشاطرتها ومؤازرتها لزوجها فى حياتهما الزوجية واما قولهن « قصصيه والا فيطير » فمن مأثورات من جهلن حقيقة الحياة الزجيه لا يعتد به

فالزوجة خير معين للرجل على تدبر منزلها خير تدبير مربية لأولادهما احسن تربية ولرقة شعورها وكونها واسطة الاحساس بين صغر الطفل وكبره فهى الواسطة فى نقل الذكر بالتدريج الى استعداده للرجولية وفى جعل البنت كما يجب ان تكون من اللطف والدعة والتخلق بالأدب والاستعداد لعملها الطبعي

فالبيت مملكة صغرى ومجموع البيوت هو المملكة الكبرى

فللزوجة فى مملكتها ادارة وزارة الداخلية ووزارة المعارف العموميه وللزوج مع رئاسة جميع الوزارات ادارة وزارة الماليه ووزارة الاشغال العموميه ووزارة الحربيه ووزارة الخارجية

فوق هذا عليها ان تطيع زوجها ولا تعصاه فلا تستخف بحقوقه فان هى خالفته فيتبع تعاليم الدين فى هذا العصيان اولا يعظها بأن يخوفها عقوبة الله تعالى بكلام حكمي يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة فان لم تنفع معها تلك الموعظة فينذرها بالاهانة فان لم يجدي هذا الانذار نفعا فيهجر فراشها أو يوليها ظهره معها فى المرقد فان لم ينجع فيها الوعظ والهجران فيضربها ضربا غير مبرح فان اطاعته فلا يتعرض لها باذى واهانة

واذا لم تطعه بعد هذا كله وخيف لقيام الشقاق بينهما سوء النتيجة يقوم رجلان يصلحان للحكومة من اهلهما لان الاقارب اعرف

بواطن الاحوال واطلب للاصلاح ونفوس الزوجين اسكن اليهم فيبرزان مافى ضمائر هما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة ثم ان كانت نية المصلحين صحيحة فى قصدهما اصلاح ذات البين يبارك الله فى وساطتهما ويوقع بحسن سعيها بين الزوجين الالفة والوفاق ويلقى فى نفوسهما المودة والاتفاق

واذا لم يترتب على وساطة الحكمين صلح بان استحكم الخلاف بينهما واشتد النزاع وكانت المصلحة فى ان يفترقا لسوء الحالة الزوجية بينهما ويتفرقا فعلا فالله من فضله يرزق كل واحد من الزوجين زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه فقد وسع على الزوجين بتحليل النكاح بعد الاذن لهما بالسراح قال تعالى «وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما»

ارشاد الدين للوقوف على اخلاق الزوجة وجمالها

ان تعاليم الدين التى وضعتها الشريعة الاسلامية لمعرفة اخلاق الزوجة وجمالها قبل الزواج كفيلة بنظام الحياة الزوجية ـ منها قوله صلعم « تزوجوا الولود (١) الودود فاذا كانت الوفا لمن يعاشرها من اهلها وجيرانها تحسن معاشرتها لهم كثيرة العطف والاحسان على الفقراء والمحتاجين من اهلها محبوبة من هؤلاء كان ذلك دليلا على كرم اخلاقها وحسن طباعها

فاذا تبين ذلك منها بواسطة رسول امين او تلقاه من جيرانها اطمأنت نفسه لزواجها وتم دوام الالفة والوفاق بينهما . ولا يقال يمكنها ان تظهر

---

(١) ودود من الود وهو المحبة وتكون بمعنى فاعل او مفعول فعلى الاول هى محبه الوف لمن يعاشرها وعلى الثانى هى المحبوبة المألوفة من هؤلاء

بمكارم الاخلاق وهى سيئتها عند ما تشعر بالسؤال عليها لان اخلاقها التى تعودتها تكون طبعا لها لا يمكنها التخلى عنها قاطبة

ومهما يكن عند امريء من خليقة　　وان خالتها تخفى على الناس تعلم

ومنها قوله صلعم تخيروا لنطفكم وقوله اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء فى منبت السوء

ومنها فى رؤية الزوجة والوقوف علي جمالها ما ورد (عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلعم اذا خطب احدكم المرأة فان استطاع ان ينظر منها الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل (راوه ابو داود واحمد وله تتمة قال جابر (فخطبت جارية فكنت اتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني الى نكاحها فتزوجتها) وروى عنه ايضا انه قال (قال لى رسول الله صلعم وقد خطبت امرأة انظر اليها فأنه احرى ان «١» يؤدم بينكما انتهى — ولمسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه(ان النبى صلعم قال لرجل تزوج امرأة انظرت اليها قال لا قال اذهب فانظر اليها فأن فى أعين الأنصار شيئا)

فدلت هذه الاحاديث على جواز النظر الى من يراد التزوج بها واباحته فقد بين صلعم انه يترتب عليه الوئام والالفة والمحبة بين الزوجين فيقوم كل منهما بحقوق الآخر. ثم ان الزوج ينظر الى ما يرغبه من المرأة فى زواجه بها الا ما كان عورة منها لان الأحاديث التى وردت فى النظر لم تقيده بخصوص عضو ولم تتجه الي جميع البدن

هذه تعاليم الدين فى تبين اخلاق المرأة وحسن معاملتها ودرجة

---

(١) يؤدم يوفق يقال ادمت بين القوم ادما من باب ضرب اصلحت والفت

عقلها ورؤيتها للوقوف على جمالها ومعرفة من هي المرأة الطيبة الطاهرة التي تصلح لان تكون مشاطرة ومؤازرة لزوجها فى الحياة . ولو راى المشرع الحكيم تعالى ان هناك مصلحة للزوجين فى معاشرتهما وخلوتهما مدة الاختبار قبل الزواج كما يفعل الآن لأمر بها وحث عليها (ان الله لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين)

وليس يوجد فى القوانين السماوية بل والوضعية عقد زواج يصلح لتنظيم الحياة الزوجية ويحفظ كيانها ويقوي عرى رابطتها بين الزوجين سوى هذا العقد الصحيح الشرعى الاسلامى الذى شرعه آله حكيم مدبر ليكون صالحا لكل زمان ومكان. اماماجرى عليه الآن بعض الناس من التعاقد بين الزوجين مدة محدودة ليتمتع كل منهما بالآخر فيها وينتهى الزواج بانتهائها او تجعل تلك المدة لدرس اخلاق الزوجين ولاختبار بعضهما كالزواج الآن فى روسيا الحمراء بواسطة زعيمها البلشفى « زينوفييف » فهو ظاهر البطلان بين السفاد

• فأنه يتكون العقد عندهم من تعهدين على الزوجين يقوم كل منهما بتعهد على نفسه للآخر . صورة تعهد الزوج — انا فلان الفلاني المقيم ببلدة كذا اتعهد لفلانة الفلانية المقيمة ببلدة كذا ان تعيش فى منزلى واتعهد بحمايتها واحترامها الاحترام اللائق بالمرأة ويعمل بهذا العقد ابتداء من اليوم وينتهى بتاريخ كذا وعند انتهاء تلك المدة نحضر امام مدير المقاطعة اما لتجديد العقد نهائيا ومواصلة حياتنا الزوجية واما

لألغائه . صورة تعهد الزوجة . انا فلانه بنت فلان المقيمة ببلدة كذا اتعهد بالقيام بواجبات الزوجة الامينة لمدة كذا مع فلان الفلانى المقيم ببلدة كذا الخ كما فى تعهد الزوج

ويعيشان معا عيشة زوجية بمقتضى هذا العقد المذكور ومتى انتهت تلك المدة يتوجهان الى مدير المقاطعة او شيخ البلد لتجديد العقد اولألغائه حسبما تقضي به ظروفهما وفى الحالة الاخيرة يرجع كل منهما الى منزله

والغرض من هذا القانون عندهم ائتلاف الزوجين ببعضهما ودرس كل منهما اخلاق الآخر وهذا فيه ما فيه من الخطر الداهم على المجتمع الأنسانى . وحجتهم فيه كما ادلى الى بها بعض عشاق هذا القانون منا . هي ان الزوجة اذا رأت ان الغرض من وجودها فى يد الزوج تلك المدة هو اختبار اخلاقها وكيف تحسن معاشرتها ومعاملتها لزوجها فانها تجتهد فى توطيد العلاقة وتحسين المعاملة كى يجددا عقدهما ويسيرا فى حياتهما الاوجية وكذلك مثل الزوج معها . فقلت له ما رأيك فيما اذا لم تجد الزوجة منه تجملا وحسن معاملة وكرهت فى نفسها معاشرته ونوت ان تخلص منه عند انتهاء المدة وفيما اذا لم يجد الزوج كذلك . أليس من الجائز ان يبحث كل منهما عن زوج آخر ويتفق معه مبدئيا على تعاقد ثان اذا ما انتهت مدة التعاقد الأول ثم ما العمل اذا ولدلهما اولاد فى تلك المدة او تركها الزوج حاملا منه وتصور من امثالها كذلك . ايعقل مع هذه الهمجية والفوضى وجود نظام للهيئة الاجتماعية والعمر ان الصيح كلا . والذي ادهي من ذلك كله وجود فريق منا الآن يبيح معاشرة المرأة مدة

للأختبار من غير عقد معها

بيان بطلان هذه العقود في نظر الشرع

كل زواج مؤقت للأختبار او للمتعة باطل. اما زواج المتعة الذى اباحه صلعم فى حياته بضعة أيام وكان لضرورة اقتضته فى غزوة اشتد على الناس فيها العذوبة فقد نهى عنه صلعم بعد بضعة أيام وثبت ذلك النهى بطريق الاجماع الصحيح. ورد فى صحيح مسلم عن النبى صلعم « كنت اذنت لكم فى الاستمتاع بالنساء وقد حرم الله ذلك الى يوم القيامة

ومعنى المتعة ان يوجد الرجل عقدا على امرأة لا يراد به مقاصد عقد النكاح من القرار للولد وتربيته ويجعله الى مدة معينة ينتهى العقد بانتهائها أو مدة غير معينة بمعنى بقاء العقد مادمت معك الي ان انصرف عنك فلا عقد

وقد نسب الى ابن عباس رضي الله عنه القول بأباحتها بعد وفاة رسول الله صلعم وهو غير صحيح« فقد روي عن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال قلت لابن عباس لقد سارت بفتياك الركبان وقال فيها الشعراء قال وما قالوا قلت قالوا

قد قلت للشيخ لما طال محبسه يا صاح هل لك فى فتوي ابن عباس
هل لك فى[1] رخصة الاطراف آنسة تكون مثواك حتى يصدر الناس

فقال سبحان الله ما بهذا افتيت وما هى الا كالميتة والدم ولحم الخنزير لاتحل الا للمضطر » — ورسول الله صلعم لم يكن اباحها وهم فى بيوتهم

---

(١) الرخص الطرى الناعم

واوطانهم وانما اباحها لهم فى أوقات بحسب الضرورات وقد حرمها عليهم فى آخر سنيه فى حجة الوداع فكان تحريم تابيد لاخلاف فيه بين الأئمة وعلماء الامصار الا طائفة من الشيعة لا يعتد بخلافها

اغراض الناس من الزواج

اكثر النـاس فى زواجهم يقصدون المرأة لأغراض نفسية غير التى قصدها الشارع الحكيم من الزواج وحث عليهـا الدين الاسلامى وذلك كأن يطلب الرجل المرأة طمعا فى ثروتها أو (١) حسبها أو جمالها وقل أن يسأل عن تمسكها بدينها وتمدح الناس باخلاقها الفاضلة حتى قال صلعم فى ذلك « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالهـا ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »

بين الرسول صلعم بهذا ان مرغبات الناس فى الزواج امور اربعة اولها المال وآخرها عندهم الدين فحثهم على ان يكون الدين اول مرغب لهم فى الزواج لهذا قال فاظفر بذات الدين اى تزوج المتدينة وعد زواجك بها ظفرا وفوزا بخير ما يبتغي من الزواج ثم زادهم حثا وتحريضا على التزوج بذات الدين فقال تربت يداك . فشرف العائلات ومجد البيوت يرجع الي التمسك بالدين والاتصاف بتقوي الله « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وليس كما فهم بعضهم انه يرجع الى ان عميد العائلة فلان بك أو باشا او انه صاحب ثروة

---

(١) الحسب ما يعد من مآثر الشخص ومآثر آبائه

غفل الناس عن ذلك كله وفاتهم ان الزوجة المتدينة اعظم خير للرجل في حياته . فهي الأمينة على نفسها والقيمة على بيتهـا والمربية لاولادها فاذا ماكانت متدينة حفظت نفسها واصلحت بيتها وأنشأت أولادها نشأة صالحة فيشبون على الفضيلة متمسكين بدينهم ذوى اخلاق طاهرة مرضيه وآداب عالية وفي هذا سعادة الاسرة وفي سعادة الاسرة سعادة الأمة في الدنيا والاخرة

آداب الدين نحو الرجل

ارشدنا ذلك الدين القويم الى اكمل الآداب وافضل الاخلاق التى نتكمل بها وتنتظم شئوننا واحوالنا دينا ودنيـا اذا مانحن تأدبنا بآدابها وتخلقنا باخلاقها وخلعنا ثوب الرذيلة ونبذناه ظهريا وارتدينا جلباب الفضيلة وتحلينا بحليته وتمسكنا بكل الاداب الدينية وعملنا على صيانة الاعراض بأن يتحاشى الرجال النساء الاجنبيات منهم الافيما دعت اليه ضرورة تبيحه وذلك حفظا للانسان وصونا للنفوس من وقوعها في شرك الردى ومضارة الزنا . لذلك كله نهي الانسان مناعن ان ينظر ويجول بنظره فيما حرم عليه . وعن ان تحدثه نفسه بفعله ولا يقمعها وطلب منه ان يـكون على تقوى الله وحذر منه فان ذلك اطهر للمرء من دنس الرذيلة واطيب له من اتصافه بتلك النقيصة فيراقب ربه سرا وعلانية لانه خبير باحوالنا محيط بافعالنا « يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور»

وبما ان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والعصيان وكان طموح عين

الشخص بذور الفسق والضلال بدأ الله تعالي بالحث على غض البصر فقال (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) ومن هنا يقول شوقى بك امير الشعراء

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء

وقال بعضهم

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها ... فى اعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ماضر مهجته ... لامرحبا بسرور جاء بالضرر

علم ديننا المرأة كيف تصل بعفة نفسها وطهارة عرضها الى صون كيانها وحفظ مركز شرفها الاسمى الذي يمجد اسمها ويعلى قدرها دنيا ودينا فكلفها بغض البصر وعدم النظر الى اجنبي منها . كذلك حرم عليها ان تظهر زينتها له الا فيما قد دعت الحاجة الي اظهاره كيديها عند مزاولة شيء بهما ووجهها عند شهادة او مقاضاة او عند[١] خطبتها بشرط ان تتقنع لتستر صدرها ونحرها عن الاجانب منها

ولما علمه الله تعالي من المضرة المترتبة على ذلك شدد فى المنع حتى نهاها عن ان تضرب برجليها الارض ليعلم مايخفى من زينتها كخلخالها مثلا فانه داعية لفتنة الرجل بها . وبين ان سماع صوت حليها مجلبة للشر كاظهار زينتها سواء بسواء

---

(١) الخطبة بكسر الخاء مصدر خطب الرجل المرأة اذا تكلم فى زواجها

لكن المرأة عكست الأمر بتبرجها وخروجها حاسرة الرأس عارية الصدر والظهر مكشوفة الساعدين ظاهرة الابطين متأنقة الملبس ضيقته بحالة تجسم منها غليظ عورتها لمن يراها . ثم تلبس حذاء مرتفع الكعب ضرا بصحتها ليبرز من الخلف عجزها وتتحرك فلكاتها وتتثنى فى مشيتها ميمنة وميسرة. تصبغ وجهها ويديها وصدرها باحمر الالوان وابيضها ثم تضع من الروائح الزكية ماتعده للخروج فقط مما تتأثر به حاسة الشم ويثير عواطف الرجل ويلفت نظره اليها وجملة القول فهى تتعمد فعل كل شىء يدعو الى لفت نظر الرجل اليها وفتنته بها فتظهر زينتها لكل رجل اجنبيا كان منها او محرما

وقد قصر الله تعالى ابداء زينتها على نوع خاص من اهلها وملك يمينها وشيوخ صالحين وفقراء يصيبوا من فضل طعامها واطفال لم يظهروا على عورتها

قال تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن[1] على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او اباء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخوتهن او نسائهن او ماملكت ايمانهن او التابعين غير اولي[2] الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) ولما كان الانسان غير معصوم ولا يخلو من ذلة تصدر منه مهما حافظ على اوامر الله تعالى ونواهيه لضعفه وعجزه . بين الله تعالى ان باب التوبة مفتوح لمن يقع منه فعل من هذه المنهيات فعليه ان يبادر بالرجوع والانابة اليه تعالى ويقلع عن ذنبه ويتوب الى ربه فان فى التوبة فوزه

(١) الخمر بضم الخاء والميم جمع خمار وهو ثوب تغطى به المرأة راسها (٢) اولى الاربة اصحاب الحاجه

وفلاحه فقال تعالى (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون)

فلو انا اتبعنا تلك الارشادات الدينية وعملنا بمقتضاها ما وصلت حالتنا الاجتماعية الى الدرك الاسفل من الانحطاط فى اخلاقنا وآدابنا (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشد . ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم)

آداب الدين لنساء المؤمنين وامهاتهم

رسم لنا ديننا طريقا سويا لو سلكناها فى تربية بناتنا لنشأن على مبادىء الدين وقمن على احسن تربية فانه متى ثبتت عقيدتهن فى الدين وقويت عزيمتهن وتشبعن بالحياء واتصفن فى الصغر بأشرف الخصال واكمل الاحوال تذرعن فى كبرهن بدروعه وتجلببن بجلبابه وصار طبعهن وسجيتهن فاذا ما خرجن لضرورة دعتهن لا يلحقهن من الرجال اذي واهانة . ولما كان من الرجال اشرار ساءت نفوسهم يتعرضن لمن يعرفنها من النساء وقت خروجها قال تعالى لنبيه (يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين)

ثم بين لنا الدين ان التقوى اس كل فضيلة وجماع كل خير وهى المعول عليها عند الله فى الدرجات ولا تفاوت بين الناس عنده الا بها قال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقال صلعم (لافضل لعربي على عجمى

الا بالتقوى (فأنت ترى أمهات المؤمنين نساء سيدنا محمد صلعم وقد قمن بواجبهن وتمسكن بدينهن وحافظن على كل شرف وارتدين ثوب الحياء والأدب لا يمتزن على غيرهن ولا يفضلن سواهن من النساء الا بتقوى الله فاذا ما دعتهن ضرورة لمحادثة الرجال من وراء حجاب لا يخضعن فى كلامهن بان يجعلنه لينا خنثا ككلام المريبات حتى يطمع فيهن ذووا الريبة والفجور ممن لاخلاق لهم . فاوجب عليهن ان يجعلن كلامهن خشنا مع كونه حسنا واذا ما دعتهن حاجة الى الخروج لا يتبخترن فى مشيهن ولا يظهرن زينتهن كنساء الجاهلية الاولى فى تبرجهن قال تعالى (يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى

الحجاب ودواعيه

اراد منا الشرع الحكيم ان نكون شديدى الغيرة على الدين متمسكين به محافظين على كل كرامة لنا وشرف ذوى شهامة عربية وحمية دينية اشداء اقوياء على من يخل بالآداب الشرعية ويبيح مخالطة الرجل بالمرأة الاجنبية منه مؤتسين بسيد الانبياء وأصحابه الاجلاء

روي قبل آية الحجاب (ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان شديد الغيرة دخل على رسول الله صلعم فقال يارسول الله يدخل عليك البار والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله تعالى (واذا

سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن)

وروى في صحيح البخاري (عن أبي هريرة رضى الله عنه قال، بينا نحن عند رسول الله صلعم اذ قال بينا انا نائم رايتنى فى الجنة فاذا امرأة تتوضأ الي جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبرا فبكى عمر وقال عليك اغار يارسول الله)

وجود الانسان بين عاملين قويين

لعبت تلك المدنية الحديثة بألباب كثير منا فنزحوا تحت اعباء مازرعته فى قلوبهم من بدع وعادات وزخارف وخرافات لا تتفق وآدبنا الدينية وعوائدنا الشرقية. فاستبدلوا الخبيث بالطيب دون تحكيم العقول وتبصر فى عواقب الامور تابعين غيرهم مقلدين فاودوا بحقائق العلم وفضائل الحق من كل ماشوهوا به وجه الفضيلة وادموا قلب الانسانية

فتراهم اضاعوا ما اودع الله فى فطرتهم من نور العقل وقوة التمييز بين الخير والشر فلم يستطيعوا اختيار احد النوعين قال تعالى « وهديناه النجدين » فمنح الله تعالى النفوس قوة التمييز ووهبها قدرة الاختيار

فمن رجح طريق الهدى ونما نفسه حتى بلغت به اوج الكمال بما اودع فيها من تلك القوى العقلية والعملية وجنى من طيب ثمراتها له ولبنى جنسه . فهذا الذى قد افلح وفاز . ومن سلك سبيل الشر وانقاد لشهوة نفسه البهيمية واتبع هواه واطفأ نور تلك القوة العاقلة وانغمس فى ظلماته واختفى من بين العقلاء واذهب امتيازا عظيما له كرم الله به بنى الانسان

فهو لاشك فى انه قدخسر وخاب قال تعالى « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » ومن هنا يظهر القول بان الانسان بين عاملين قويين يتجاذبانه احدهما خير الى العالم الروحانى وثانيهما شر الى الانحطاط لدرجة الحيوانية . فاذا ماتغلب احد العاملين على الآخر حسب اختيار الشخص له وميله اليه . جنح به الي مركز دائرته فالانسان أما الى اعلى عليين بمخالفته لهواه وشهواته النفسية وأما الي اسفل سافلين بانقياده لتلك النفس ورغباتها

الحياء من الايمان

قال تعالى (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون)

كثر الفسق وعم الفجور وانتشر الزنا واللواط وشرب الخمر ولعب الميسر فلم ندع صغيرة ولا كبيرة الافعلناها غير مبالين ولا مستحيين

اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ماتشاء
فلا والله مافى العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

قال صلعم « ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت » فالحياء مما اتفقت عليه جميع الشرائع فهو ممدوح ومامور به فى كل شريعة والانسان منا اذا لم يمنعه الحياء يفعل مايشاء لان من لم يكن عنده حياء يمنعه ويحجزه عن محارم الله تعالى فسواء عليه فعل الصغائر وارتكاب الكبائر

والحياء من الله تعالى هو ان لا يري الانسان حيث نهاه ولا يفقده حيث امره قال صلعم لاصحابه « استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحي يا نبي الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء »

فالنفس الحيية هى الأبية الشريفة الحساسة التى تتحاشى الدنايا وتترفع عن فعل النقائص وعن التقرب من الرذائل ومن سفاسف الامور وتأبى الضيم فتندرأ كل ذل وعار فهى لا تقف موقف امتهان يخدش الشرف او يحط بالكرامة. فالحياء يحمل صاحبه الى كمال النفس وبلوغ المجد والسوددفهو اعظم درع حصين يحفظ شرفها ويدفع السوء عن كيان عفافها

والحياء ومدنية الدين امران متلازمان وهو والمدينة الحديثة ضدان لا يجتمعان فشتان بين من يدعو الى الكمال وبين من يبعث على التهتك فترى الكل يسعون الي محال الملاهى بنساء وعذارى متبرجات متهتكات ويجتمع الرجال بالنساء الأباعد منهن فيختلط الحابل بالنابل معهن وهناك يخلعن الغانيات ثوب الحشمة ويرفعن براقع الحياء لامتناع التكليف بين الجميع وحدث ولا حرج عن كثرة الضحك والتصفيق وتبادل الأشارات بين محب ورفيق وارتفاع صوت النساء قهقهة بلا حياء على صوت الرجال من دون مبالاة

جعل الحرية باعثا على الفجور

عكس الناس معنى الحرية واتخذوها سلاحا يتذرعون به الى المعاصي فكأن الحرية عند هؤلاء الخروج عن كل نظام من مخالفة الآداب وفساد الاخلاق ومتابعتهم في ذلك من دون مراعات حد او قانون . فالبنت اذا نهتها امها عن قبيح قالت لها (انا حرة في نفسي) والولد اذا لامه ابوه على مخالفة الاداب قال له (الدنيا حرية) والمرأة اذا انكر عليها الرجل كثرة الخروج مع التبرج قالت له (كل واحدة حرة في نفسها) واذا ابتلى من اخذته الحمية على الدين برؤية مشهد مرذول وانكر على من فيه سوء فعلهم وقبح قولهم (قال الجميع الناس احرار) وترى الكل يحملون عليه حملة شعواء ويسلقونه بألسنة حداد ويبكتونه ويرذلونه ويحتقرونه فيضيق صدره ولا ينطلق لسانه ويخرج من بين هذا الجمع حزين القلب سائل الدمع « فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » فالحرية لا تخرج عن حدود الآداب الدينية ودائرة القانون فكل عمل يتعدي هذا يكون فجورا وضلالا

نعم حرية الشخص مطلقة في الامور المباحة له التي لا تلحق بالفرد او الجماعة ضررا وذلك كأن يأكل عند الجوع ويشرب عند الظمأ وينام عند التعب . وكأن يتصرف في امواله بنحو بيع او مبادلة او رهن او اجارة او هبة او وصية الي غير ذلك مما هو مباح له فعله مع اننا نجد حرية الشخص في هذه الامور كلها مما ابيح له فعلها مقيدة في جميع مظاهرها

وان كانت تحت تصرفه . فمثلا تصرفه فيما يملك من امواله مقيد بأن لا يتعدى دائرة القانون لان سوء تصرفه بالبيع وغيره موجب للحجر عليه كذلك وصيته بأزيد من الثلث فى مرض موته ممنوعة

وبالنسبة للأكل مقيدة بما يلائم صحته وبالنسبة للملبس مقيدة بما يلائم الاجواء والعادات وهكذا كل فعل من افعاله الحر التصرف فيها

فلا يصح بعد هذا اقلب معنى الحرية او التوسع فيها حتى تتعدي دوائرها المحدودة . فان أقل ميل او ادني انحراف بالحرية عن حدودها يثير عواطف الهيئة الاجتماعية اذ فى الخروج عن تقاليدها وآدابها اكبر امتهان لكرامتها

فمن حق الهيئة الاجتماعية ان تردع كل من خرج على معنى الحرية وتعدي حدودها . وغير معقول ان الهيئة تجتمع بكامل افرادها وتنكر امرا من تلك الامور المخالفة لنظام المجتمع الانسانى المناقضة للتعاليم الدينية فان ذلك فى حيز المنع وكل مايمكن ان تعمله انابة افراد عنها من العاملين للمصلحة المحافظين على حدود الجماعة يرشدون الناس الى مافيه الاصلاح والخير لهم وبما اننا من الافراد المكونة للهيئة الاجتماعية ومفروض فينا العقل والتفكير فيتحتم والحالة هذه على كل فرد فرد ان يراقب نفسه اولا ثم غيره ثانيا فيرشده الى حد الآداب ومعنى الحرية ولا يوصف اذ ذاك بالتعدى على حرية الغير ومن فهم ان الناصح له متعد على حريته ففهمه خطأ واعتقاده فاسد .

تسويتنا الاجنبى من المرأة بمحرمها

سلبتنا تلك المدنية الواهمة صفة الشهامة العربية والحمية الدينية

واضعفت فينا قوة التمييز فجعلتنا نسوي بين الاجنبي من المرأة وبين محرمها . فنبيح للأول الاختلاط بها والمحادثة معها

ونختار لخدمة منازلنا جميل الصورة معتدل القوام ونسمح لهم بان يدخلوا بيوتنا ونساؤنا سافرات حاسرات بملابس النوم الشفافة وربما كن في المضاجع نوم

واغرب من هذا وذاك ان نسلمهن لهؤلاء تسليم المتاع بايدينا ليذهبوا بهن الى حدائق غناء ذات بهجة كي يتريضن ويستنشقن نقي الهواء ويمروا بهن على قصور مشيدة وفنادق متسعة اعدت للدنس « الرقص الافرنجي » فيرقصن ويسمعن فيها لذيذ المغني

وهناك في عرف اهل هذا الفن يباح رقص الرجل مع اي امرأة اجنبية منه ولو بدون سابقة معرفة بينهما وهذا ما يدعونه عندهم « بالتعارف العائلي » المطلوب وتنشده الحياة الاجتماعية فترى الرجل والمرأة يتحفزان للقيام بعد ان تناديهما الأوركستر « الآلة الموسيقية » بنغمة تهيج العواطف وتحرك الساكن فتحملهم على الدخول في معمعة الرقص - فاذا ما تسلطنت تلك النغمة على عشاقها بعثتهم على القيام فيضما الصدور على الصدور ويد احدهما على ظهر صاحبه والاخرى فوق كتفه ويدورا دورتهما عدة مرات بهذه الطريقة المخجلة . وبعد هذا كله يرجع بهن هؤلاء الخدام بعد شطر من الليل عظيم وبعولتهن وأولياؤهن في البيوت نائمون وان شئت فقل بمحلات اخر يتمتعون

واصبح الرجال والنساء يفخرون بصفة الرقص ويتسابقون فيه

فيقال (فلان) بك رقاص كبير (وفلانه) هانم رقاصه مجيدة . وما كان لنا ان نظهر رجالا ونساء بصورة كهذه تنافي آدبنا الدينية وتخالف عوائدنا الشرقية ولا بأس اذا اجرى هذا بين الزوجين في البيوت فقط خلافا للغربيين وعوائدهم

جاء في اخبار الصحف الانكليزية ان صاحب الجلالة البريطانية الملك جورج الخامس والملكة ماري اذنا للخدم والحشم في قصرهما بأن كنجهام باقامة حفلة رقص في قصرهما الريفي وقبل جلالتهما الدعوة فحضراها واشتركا في الرقص فيها فرقص جلالة الملك مع الخادمات ورقصت جلالة الملكة مع الخدم وقد علقت الجرائد ايامها فقالت ان هذا ابعد حد في دائرة نهاية الديمقراطية السامية القائمة على حقيقة الانسانية

آداب الدين للخدم ومن لم يبلغ من الاحرار

قال تعالى « ياايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض »

امر الدين بأن يستأذن العبيد والاماء والاولاد الذين لم يبلغوا الحلم من الاحرار اذا دخلوا علينا بيوتنا ونحن رجال وهم مكلفون بخدمتنا

يستأذنون في ثلاثة اوقات يغلب فيها ان الرجل يكون غير منتظم

فى ابا.ه . الاول من قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ماينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة. الثاني . وقت الظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقيلولة. الثالث . من بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة ولبس ثياب النوم . ثم بين أن بعد هذه الثلاثة الاوقات لاحرج عليهم في الدخول بغير استئذان. واذا بلغ الاطفال الحلم فليستأذنوا فى جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول بغير استئذان. هذه آداب الدين والناس عن هذا غافلون . قال ابن عباس رضي الله عنه « ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله. وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم. واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا»

آداب الدين للرجال فى دخول البيوت

منع الدين الرجل من الدخول فى بيت غيره حتى يستأذنه ويأذن له بخلاف بيوت غير مسكونة كالخانات وحوانيت التجار والفنادق فانها معدة لدخول كل من له حاجة فيها . فلا يجوز لانسان ان يدخل بيتا غير بيته الا اذا ابتدأ اهله بالسلام وثنى بالاستئذان فأن اذن له دخل والا رجع بعد تكرير الاستئذان ثلاث مرات ولا يقتصر على قوله انا بل يقول انا فلان حتى يعرفه صاحب البيت وبعد ذلك له الخيار فى ان يأذن له اولا يأذن. كان الرجل من الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل من غير اذن فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد او راى المرأة خالعة اوحاسرة وهذا ما تأباه المروءة

والآداب ومن هنا تظهر حكمة الاستئذان

قال تعالي « ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكي لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ماتبدون وما تكتمون »

ثم بين الله تعالى ان الشخص اذادخل بيتا سواء اكان له أم لغيره فيسلم على أهله الذين هم بمنزلة نفسه ان كان هذا البيت مسكونا أو علي نفسه حقيقة ان كان غير مسكون وتلك تحية مباركة شرعها الله لتطيب بها نفس من القيت اليه ولا يفوت احدنا استئذان أهل بيته قبل دخوله فانه ربما كان بزوجته من العيوب مالا يحب ان يراه منها فتستره . يؤيد هذا ماورد بمعناه ان رسول الله صلعم طلب من الصحابة اثر غزوة عند توجههم الى ديارهم الا يدخلوا بيوتهم على غرة من اهلهم وكان احدهم قد اشتد عليه توقان اللذة فدخل بيته فجأة فرأي من زوجه ماكان سببا فى كراهته لها فسبحان من شرع فأحكم قال تعالى « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من من عند الله مباركة طيبة »

تأثير المدنية الحديثة فى النساء

قضت هذه المدنية الفارغة على نسائنا بعدم التقوي والاستقامة وان من

تمسكت بدينها واتخذت الحياء رداءها ولباس التقوى شعارها عدت فى نظرهن غير متمدينة (تمدين الغربيات) وجعلت عندهن من طبقة البلديات ولقبت من بينهن بالشيخة استهزاء بها وسخرية فيحملنها على الاهمال فى امر دينها وترك طاعة ربها ويلجئنها الى مشاطرتهن فى كل مايفعلنه من امر المخالفة فى اجتماعهن من شرب الخمر وشم الكوكيين مما لايخفى على كل رب بيت حكيم

الا امرأة كانت آمنة مطمئنة خشيت ربها وخافت عقابه فاتقته مااستطاعت حتى رسخت قدمها فى الدين وازداد يقينها وقويت عقيدتها فلم تزل قدمها بعد ثبوتها وتحلت بمدنية الدين الاسلامى ولم ترحلية لها اجمل منه فمقتت كل ما يتنافى ومحاسنه وآدابه من عادات وبدع ولم تعبأ بزخارف تلك المدنية الواهمة فهي لم تضل الصراط المستقيم

مثل من تدين النساء

من ذلك ما حدث لسيدة ليلة زفافها رآها زوجها تصلى فكبر عليه تدينها وهو مسلم اذ كان ممن تشبع بتلك المدنية الكاذبة فنهاها عن الصلاة بحجة انه لم يتزوجها الا بزعم انها متمدينة راقية والصلاة تلحقها بالطبقة البلدية . وخشية ان تراها سيدة راقية وهي متلبسة بصلاتها فتنزل من قدرها ولن تعود الى زيارتها . فقالت له بعد حلم وروية ونفس مطمئنة ياهذا لم يكن رقى الامة ومدنيتها الصادقة فى عدم تمسكها بدينها وربما أشكل عليك الامر واختلط اذ اوربا غير مصر ونصيحتى لك ان تصلى اطاعة

لمولاك الذى خلقك فسواك وحذار ان تعصاه لئلا تحرم رضاه . عند ذلك زفر زفرة الغيظ وكاد يتميز من الغيظ ولما رآها قوية العزيمة ثابتة العقيدة علق طلاقها على صلاتها مرة أخري فكان ان صلت وانصرفت الي اهلها شاكرة لربها

ومن الغريب قد وجه اليها اللوم بعض صواحباتها فى عدم اطاعتها لزوجها محافظة على كيان الزوجية فقالت لهن كيف ذلك وقد قيل « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » والله سبحانه وتعالى نهى الولد عن ان يطيع والديه وهما اصل فى وجوده اذا هما جاهداه على ان يشرك بالله معهما قال تعالي « وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون »

وانه مهما كانت رابطة الزوجية من المتانة لاتبلغ شيئا من رابطة البنوة والأبوة فعدم اطاعة الزوج فى معصية الله تعالي اولى من عدم اطاعة الولد والديه فاقتنعن بحسن جوابها وسداد قولها

مثل لفرنجة النساء

وبضدها تتميز الاشياء — تزوج عالم دينى بسيدة مسلمة مصرية وفاته انها تربت بمدارس انكليزية سارت على مبادئها وتخلقت بعاداتها وتشبعت بدياناتها المسيحية فى حين ان هذا الزوج كان على جانب عظيم من الاخلاق الدينية اذ كان مدرسا لعلم الديانة والاخلاق باحدي المدارس العالية واغلب

اوقاته يتصفح هذا الكتاب الذي كان له خير جلس واعظم سمير ففي يوم كمادته وكان متفرغا لفهم معانيه وادراك مادون فيه واذا بصاحبته تسائله ما هذا الكتاب الذى تفرغ له جل ازمانك ولاتكاد تخرجه من بين احضانك فقال لها كتاب نفيس وسفر جليل قد اشتمل على اخلاق مرضية لسيدنا محمد خير البرية من تخلق باخلاق الله وحاز من الكمال منتهاه فاستأذنته لتراه فكان اول مارأته مامعناه « من وداعة رسول الله صلعم ومكارمه العالية كان يحمل بنفسه ما يحتاجه بيته ويخصف(١) نعله بيده وينام على حصير تؤثر فى جنبه ويتوسد وسادة(٢) من ليف تملم فى خده ويأكل مع خادمه ويردفه خلفه على ظهر دابته » فلم تطق الصبر على ماراته وسراعاما انكرته وقالت اهذه تكون صفات محمد بنى المسلمين فقال لها أو انت غير مسلمة فقالت طبعا مسلمة « ولكن كنت اعتقد ان الرسول محمدا صلعم آل فرنكه » فاخذيقوم اخلاقها بكل ما وسعه من انواع العلاج فلم يفلح معها ولما لم ينجع فيها دواء فارقها غير آسف عليها

تأثير المدنية الحديثة في الاخلاق

قضت هذه المدنية على كثير منا ان يجنح لها نزولا على ارادتها واستسلاما لقضائها فنظر اليها بعين ملؤها التقديس والتعظيم زعما منه آنها المدنية الراقية فاحتقر مدينة الدين الحقة ورماها بالهمجية والوحشية ذلك لانها خالفت اهواء نفسه ورغباتها

غر زخرفها الموهوم صغار العقول ممن اطلقوا للنفس عنانها وسارت بهم

«١» خصف النعل رقعه «٢» الوسادة المخده

حيث رغباتها فتركوا ذلكم الدين القويم ومدنيته الصادقة وتدينوا بعادات الفرنجة واتخذوها احسن مدنية وهي منافية للدين. فتراهم أهملوا قانونا سماويا جاء تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولم يسيروا على تعاليمه فضلوا عن طريق الهدى ورموا كل من تمسك بدينه بالغلظ والشدة ووصفوا من تدين بتلك العادات وتظاهر بالموبقات بمنتهى الرقة والمدنية وجهلوا ان المدنية الصادقة التي يجب ان تتحلى بها الأمة وتتذدان بها الخاصة والعامة لم تخرج عن التمسك بالدين والعمل بشرع رب العالمين . جعلت هؤلاء تلك المدنية الزائفة ان يكرهوا الحق ويمقتوه ويالفوا الباطل ويحبوه ويتخذوا الهزل والسخرية ديدنهم ويجعلوا ما يشغلهم من لهو ولعب رائدهم وما لاءم طبعهم ووافق غرضهم مالت اليه نفوسهم وارتاحت له قلوبهم ولو خالف الشرع والذى خالف اهواءهم وجاء مضادا لرغباتهم اشمأزت منه افئدتهم ونفرت منه قلوبهم وان وافق الشرع

فاللهم قد استفحل الداء وعز الدواء وعجز الطبيب عن مداواة المريض فاليك وحدك نضرع طالبين منك السلامة لنا واللطف فيما حل بنا من مصيبة كبرى عمت بلواها وفشت فينا عدواها فجرت فى عروقنا مجرى الدم فى اجسامنا

المجاملة في المحرمات

هناك فئة ضالة مضلة من شياطين الانس يوحي بعضهم الي بعض

زخرف القول غرورا زينت لضعاف العقول مايدعونه بالمدنية من بدع وعادات مسترذلة فارتكبوا الدنايا والرذائل وانخرطوا معهم فى سلك المعصية فاصطبغوا بصبغة مدنيتهم الكاذبة ليؤدوا لهم واجب المجاملة فى افعال محرمة قال تعالى « وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين »

من ذلك ترى فريقا منهم يا كل ما تعافه نفسه ويمجه طبعه ويشرب مايحرق احشاءه ويقطع امعاءه ويفتلذ كبده لايالوا جهد المستطيع فى ان يقتحم طرق الغواية فينشر الوية الفساد على ربوع الاحياء ويسعى سعي المجد فى نيل امنيته متوسلا بكل مالديه من مال أو نشب وان اصبح من المعدمين

يتلون بصنوف العادات المستقبحة مجاراة لغيره فيضحك مخالفا لضميره لما من شأنه البكاء ويبكي تصنعا لما يستوجب الضحك يبتغى بذلك مرضاة شياطين اخلاء وحفظالود اخدان(١) جهلاء

ماعاشر الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

فلا تصحب اخا الجهل وایاك واياه

فكم من جاهل اردي حليما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه

---

(١) اخدان . اصدقاء ومفرده خدن بكسر الخاء وسكون الدال وهو صديق

وللشيء من الشيء مقاييس واشبـــاه
وللقلب على القلب دليل حين تلقاه

سريان المدنية الحديثة فى النفوس

سرى هذا الداء الدفين فينا وفشت بيننا تلك العدوى فاهتزت وربت هذه العادات المسترذلة فى نفوسنا وجرت فينا مع الروح حتى صار من المتعسر علينا الاقلاع عنها بل كاد يكون من المتعذر لاسيما بعد ان تشبعت بها نفوس طائفة دنيئة زائغة عن الحق جرتها الينا بويلها وجلبتها علينا بخيلها ورجلها مدنية كاذبة ظن اهلها انها الحق « ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون »

وقعت هذه المدينة الحديثة عند ذويها موقع استحسان اذ صادفت هوى فى نفوسهم فجنحوا لها وانكبوا على فعلهـا غـير مبالين ولا مستحيين « استحوذ عليهم الشيطـان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون » فتراهم يعمهون فى غيهم وضلالهم يحاربون كل فضيلة بعدوانهم « لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون » بعد ان سمعوا بآذانهم وادركوا بافهامهم « ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين »

ومن العجيب بعد هذا الانذار السماوي تأخذهم العزة بالاثم عن ان يستقيموا والانفة من ان يطيعوا مستكبرين عن عبادته تعنتا منهم وقد « كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوى عزيز »

فهم لا يعبئون بارشاد دينى ولا يسمعون لقول ناصح فينشرون على الملأ الوية الرذائل ويميتون روح الفضائل ونحن لا نفتأ نتغاضى عنهم فلا نزجرهم عما يفعلون ولا نردعهم عما يرتكبون ونتقرب منهم ونتوادد اليهم لانهم اهلونا وأحباؤنا « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم » فالمؤمنون حقا لا يمارون ولا يجارون ولا يخشون فى الله لومة لائم يتجنبون اعداء الدين ويحترزون عن مخالطتهم وينكرون عليهم سوء فعالهم ولو كانوا اقرب الناس اليهم « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون »

المسئولون عن الاصلاح

يتبين ذلك ببيان السلطات الحاكمة واختصاص كل منها

السلطة العمومية

هى قسمان (الاول) القوة المنشئة بكسر الشين (الثانى) القوة المنشأة بفتح الشين فالأولى وتسمى عادة الجمعية الوطنية وهى الجماعة المؤلفة من ذوى الكفاءة والخبرة تنتخبهم الامة بصفة موقتة لوضع قانون يشمل نظام الهيئة الحاكمة على وجه يكفل حقوق الافراد ويدرأ عنهم الظلم والحيف

كما حصل فى ابتداء استقلال مصر حينما انتخبت الجمعية الوطنية المصرية التى الفت من ثلاثين رجلا من اكفاء ابناء مصر وخيرتها لوضع (١) دستور المملكة المصرية الذى منح الامة المصرية به صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الاول حفظه الله فى يوم ٢٣ من شهر رمضان سنة ١٣٤١ هـ الموافق ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ م

وهذه الجمعية تخصص لكل من الحكام سلطته وتبين له حدوده وعند ماتتم الدستور تنحل هذه الجمعية ولا تعود خوفا من بقاء سلطانها ونفوذها فربما تتذرع به الى تغيير أو تبديل تشاؤه تحت قناع هذا القانون

والدساتير المنشأة بهذه الطريقة تكفل مصالح الأمم لان وجود ضمانات تحيط بانشاء الدستور بواسطة جمعية وطنية تحرت وضعه يبعد وقوع تغييره وتبديله اللهم الا ان يكون ذلك التغيير لمصلحة عامة

الثانية من اقسام السلطة العامة « القوة المنشأة » وهى ماينشأ من الاثر عن اعمال الأولى فتتحمل كل مسؤلية فى جميع شئون البلد داخلا وخارجا لان عليها تدبير الامور جميعها وتسييرها وتنقسم ثلاثة اقسام (تشريعية) (تنفيذية) (قضائية)

---

(١) الدستور عبارة عن مجموع قوانين عليها نظام الدولة من جهة كونها ملكية أو جمهورية وهو المصدر الذى تستمد منه السلطات العامة القائمة بشئون البلاد من تشريعية وتنفيذية وقضائية مالها من الحقوق وبه تعرف كل منها حدود اختصاصها وهذا الدستور يتضمن بيان حقوق الانسان الملخصه فى ثمانية امور وهى المساواة . الحرية الشخصية. احترام الملكية . حرية الاديان والتعليم . احترام المسكن. حرية العمل والصناعة والتجارة . حرية الاجتماع والصحافة . حرية التعليم والتعلم

السلطة التشريعية

هي التى تقوم بوضع القوانين[1] واللوائح العمومية التى تحتاج لوضعها البلد وتوجد هذه السلطة بحكم وظيفتها فى كل الممالك المتمدينة . وهي تختلف بحسب نظام البلاد ففى البلاد الدستورية تعمل قوانينها بواسطة رئيس البلاد مع هيئة نيابية من مجلس واحدا ومن مجلسين ففى انكلترا تسن القوانين بواسطة الملك فى مجلس العموم ومجلس اللوردات . وفى فرنسا بواسطة مجلسى النواب والشيوخ وفى مصر توجد القوانين بواسطة جلالة الملك بالاشتراك مع مجلسى النواب والشيوخ من تاريخ منح الأمة المصريه دستورها سنة ٩٢٣

السلطة التنفيذية

تطلق على الحاكم الأعلى سواءا كان ملكا ام سلطانا ام امبراطورا وعلى الوزراء ونوابهم اياكانوا فى الدواوين الرئيسية منهم او في الاقاليم كالمديرين ومامورى المراكز . ومعاونيهم وملاحظيهم وعساكرهم وعمد ومشايخ البلاد وخفرائهم . وهذه القوة تقوم بتنفيذ اوامر وقوانين السلطة التشريعية وما تصدره ايضا السلطة القضائية من احكامها وهى التى تنظر فى حل المسائل السياسية والشئون الداخلية وكل مايتعلق بها

---

(١) القوانين جميع قانون وهو عبارة عن مجموع القواعد والاوامر والنواهى التى يسير عليها الناس في الهيئة الاجتماعية فتوقف كلا عند حده ويعرف بها المرء ماله من الحقوق وما عليه من الواجبات

السلطة القضائية

هى التى تطبق القوانين الداخلية على الحوادث وتقضى بين الناس جميعها من رفيع ووضيع والكل امامها سواء فتفصل فى الخصومات بين الافراد وبينهم وبين الحكومة

وهى مستقلة تمام الاستقلال عن السلطة التنفيذية وليست جزءا منها كما فهم بعضهم لأنها تطبق اللوائح والقوانين حتى فيما يختص بالسلطة التنفيذية

وهذه السلطات الثلاث تعمل بمقتضى قوانين تسير عليها

القانون قسمان . خاص . وعام . (فالخاص) هو الذي ينظم علاقة الفرد بالفرد كالقانون (١) المدنى (٢) والتجاري (٣) والمرافعات (والعام) هو

---

(١) القانون المدنى هو الذى يبحث عن احكام الاسرة والاموال وطرق التصرف فيها لانه خاص بعلاقة الاشخاص مع بعضهم بوجه عام بصفتهم اعضاء هيئة اجتماعية وقانون المرافعات جزء منه (٢) القانون التجارى هو ما يبحث فيه عن احكام الافراد الخاصة بالاعمال التجارية كالكمبيالات والتفاليس والسماسرة والوكلاء بالعمولة واثر العقود التجارية كالشركات التجارية والرهن والنقل فعمل هذا القانون لمصلحة التجار بقصد تسهيل اعمالهم ومنع التدليس الذى يرتكب عليهم (٣) قانون المرافعات من القوانين المنفذة للحقوق وهو خاص بالاجراءات التي تتبع للمحافظة على الحقوق واحترامها وتوجد في مصر مجموعة قانون واحد للمرافعات فى المواد المدنية والتجارية وحصلت فيه تعديلات كثيرة منذ عمل ولا زال فى احتياج الى تغييرات لوجود عيوب كثيرة به

ويوجد مثل هذا القانون للمحاكم المختلطة الا ان عيوبه قليلة . اما المحاكم

الذى ينظم علاقة الفرد بالمجموع او علاقة المجموع بالمجموع وهو نوعان (قانون [١] اهلى عام) ويقال له قانون داخلى (وقانون [٢] دولى عام)

وهذه القوانين بعد اقرارها من السلطة التشريعية تعرض على جلالة الملك ليرى التصديق عليها حتى تصير نافذة المفعول ليعمل بها

ولما كان الحكم يقتضى مسئولية وكان الملك غير مسئول لانه لا يتولاه بالذات مباشرة لذلك كان الوزراء هم الذين يتولونه بالفعل وهم المسئولين عن السياسية العامة للدولة وكل واحد منهم مسئول عن اعمال وزارته وحسن السير فيها ومجلس الوزراء هو المهيمن على مصالح الدولة جميعها

الشرعية فتسير على لائحة اجراءات خاصة وكذلك محاكم الاخطاط (١) القانون الاهلى العام هو الذى ينظم علاقة الفرد بالمجموع كالقانون الدستوري الذى يضع القواعد الاساسية لتنظم الدولة التي يبنى عليها نظام الحكم فيها . وكالقانون الادارى الذى يحدد سلطة الادارة مع الافراد فيبين واجبات الفرد نحو الحكومة وسلطة الحكومة على الفرد . وقانون العقوبات الذى يعين الجرائم المعاقب عليها والعقوبة المقررة لكل نوع منها . وقانون الجنايات الذى ينظم طرق الوصول الى معرفة مرتكبي الجرائم ويضع احكام التحقيقات وما تستلزمه فى المواد الجنائية وكيفية رفع الدعوى العمومية واختصاص المحاكم وطرق المرافعة والمدافعة وهذان الأخيران اعتبرا من القوانين العامة لأخلال المجرم بالامن العام ويرى البعض أنهما من القوانين الخاصة لان معظم الجرائم تقع على الافراد مباشرة لا على الحكومة والراى الاول اوجه (٢) القانون الدولى العام هو الذى ينظم علاقة مجموع بمجموع او علاقة الدول ببعضها كالمعاهدات والعلاقات السياسية وغيرها والحرب والسلم والحياد . فهو عبارة عن القواعد التى تتبعها الامم الحديثة المتمدينة باعتبار أنها قواعد ملزمة لها فى علاقاتها مع بعضها

هذه هى السلطات العامة وقوانينها وتلك اعمالها وكثيرا مانرى بعض الافراد ينحي باللائمة على العلماء اهل الدين ناسبا اليهم كل تقصير فى اصلاح فساد احوالنا ماديا وادبيا. نعم لو اعطوا مقاليد الامور كما كانوا قبل لأمكنهم ان يصلحوا اما فسد منا ويقوموا معوج اخلاقنا ولكن ماالحيلة وهم عزل من جميع السلطات وان كان بضع رجال منهم فى التشريعية فليس عليهم مما يطالبون به سوى انكار هذه الموبقات بالسنتهم او بقلوبهم قال صلعم « من راى منكم منكرا فليزله بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا اضعف مراتب الايمان

سلطة المحاكم الشرعية قبل سنة ١٨٥٦ م

كان علماء الشرع فيما مضى رجال التشريع والقضاء والكل فى الكل فالمحاكم الشرعية من نشأة الدولة الاسلامية كانت الوحيدة فى البلاد فهي التى كانت تفصل فى المسائل المدنية ومواد القصاص والتعزير فى المعاملات على اختلاف انواعها

ولما دخلت الدولة العثمانية فى دور جديد للتنظيمات سنة ١٨٥٦ م اقتضى الحال ان تشكل فى مصر محاكم جديدة على النسق الاوربى بصفتها ايالة عثمانية لتحكم بين الرعايا العثمانيين على اختلاف اديانهم . وصارت المحاكم الشرعية من وقتها مقصورة على الفصل فى مسائل الاحوال الشخصية ثم انشئت وقتئذ محاكم دعيت بالمجالس المحلية سارت مع المحاكم الشرعية وبعد تطور من التعديل الذى توالى عليها غيرت بالمحاكم الاهلية

التي انشئت سنة ١٨٨٣ م في عهد المغفور له توفيق باشا خديوى مصر كان يقصد بها ان تضارع المحاكم المختلطة التي كانت أنشئت سنة ١٨٧٦ م لمداواة الفوضي القضائية الناشئة من اتساع دائرة اختصاص القناصل بين الاجانب في مختلف المنازعات وكان انشاؤها بفضل مساعى المغفور له اسماعيل باشا خديوي مصر الاسبق الذى بذل عناية عظيمة حتى حصل على رضاء الدول بانشائها اذ كان أوفد وزير خارجيته وقتئذ نوبار باشا للمفاوضة معهم حتى تم الاتفاق

وقد صارت المحاكم الشرعية الى الآن مقصورة على بعض المسائل الدينية فقط لا تنظر سواها

ولنرجع الى رجلي التشريع والتنفيذ فهما المسئولان عن اصلاح الامة يطالبان ازاء هذه المنهيات التي تنتهك علنا والمامورات المتروكة عمدا بان يبين الاول مضارها الدينية والدنيوية وما يترتب على فعلها من اخلال النظام بين المجتمع الانسانى وفساد الاخلاق ويضع الاصلاحات التي تتفق والاخلاق المرضية وتتمشى والآداب العالية وتتلاءم وعوائدنا الشرقية وتعاليمنا الدينية ثم يقوم الثاني بتنفيذها . وبهذا يكون رجلا التشريع والتنفيذ متضامنين متآزرين في منع المفاسد وجلب المصالح التي تعود على الامة بالاصلاح النافع والرقى العظيم

فاذا صلاح الامة متوقف عليهما وفى يديهما يطالبان به ويؤاخذان عليه الى ان يقوما باداء ما قد وجب عليهما اداؤه ويؤديان ما قدم

ائتمنا عليه الى اهله فان هما فعلا ذلك خرجا من العهدة والا فقد حملا تبعة هذا كله أمام الله تعالى

ومما تضيق له النفس ذرعا انك ترى اذا ماقام رجل حركته الغيرة الدينية وهزته العاطفة الاخوية واخذته الشفقة على بنى جنسه واحب لهم من الهداية مايحبه لنفسه وكتب فى ذلك بعامل الدين وارضاء الضمير نسبه البعض الى التطفل على الكتابة ورموه بالشذوذ والتعصب

فالى سادتي العلماء ارجع القول واكرر الرجاء . انتم قدوة العامة بفعلكم يقتدي وبعلمكم يهتدى داووا مرضى النفوس بتعاليم الدين فهى أنجع دواء لتهذيب الاخلاق وتربية النشء. فياورثة الانبياء الصالحين اصدعوا باوامر الله واعرضوا عن المخالفين وارفعوا اصواتكم احتجاجا على كل هذه المنكرات التى تنافى ديننا وآدابنا وشددوا النكير على العاصين فلعل حكومتنا الاسلامية تعمل على ازالة هذه المفاسد وابادة تلك الجراثيم الفتاكة التى تنخر عظام الامة فتسيء أخلاقها وتقوض دعائم دينها وبهذا تلقون التبعة عن عاتقكم الى كاهل غيركم ممن فى يدهم مقاليد الامور (والامر يومئذ لله)

نعم لا ننكر أن بعضا من العلماء مريدى الاصلاح يقوم احيانا بطلب الاصلاحات بباعث دينى ووجدان حي ولكن لا ننسى ان بعضا آخر يقوم بوضع عراقيل امامه حسدا منه او حبا فى المفسدة وكلنا يعلم ذلك فالغرض الذي ارمي اليه الآن وتحتمه المصلحة العامة هو اجماع

الكامة فى المطالبة باصلاح فسادنا لاأن نطالب فرادى فان هذا لا يأتى بالغرض المطلوب والا فكيف أنتم امام هذه الحوات المؤلمة والفعال المحزنة التى تنفطر من هولها القلوب وتذوب عليها النفس حسرة وتألما

ها انتم ترون باعينكم وتسمعون بآذانكم وتلمسون بايديكم من يتظاهرون بشر الموبقات يزنون ويلوطون ويلعبون الميسر ويشهدون الزور ويشربون الخمر ويشمون الكوكايين ويسبون الدين علنا ويلعنون الشرع جهارا بكل جرأة ووقاحة

هاهي نساؤنا وبناتنا امام الكل متهتكات متبرجات يقلدن فى الدنايا والتسفل الغربيات

هؤلاء شبابنا يهزءون بالدين ويجحدونه ويحتقرون أهله فيرمونهم بما يسمونه بالرجعية ويصفونهم بالوحشية وغلظ القلوب وجفاء الطباع ويعملون علي عدم احترامهم « فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم »

العلم بالمقاصد يقتضى وضع الوسائل

للناس كبير الأمل فى علماء الدين ان يقوموا بواجب الدعاية لأصلاح ماساء من الاخلاق وفسد من التربية وان يعملوا على ايجاد كل مايليق بمركز العلم من التجلة والاحترام حتى يكونوا فى المنزلة الرفيعة التى كان عليها علماء السلف الصالح فيهتدي بهديهم العامة ويرجع اليهم اولياء الامور فى اخذ الاحكام والتعاليم الدينية الواردة فى اصلاح الهيئة

الاجتماعية وأن يعنوا بامر التعليم فأن المعاهد الدينية ينقصها تنقيح الكتب وتعديل برامج التعليم بواسطة لجنة تنتخب ممن لهم مقدرة وكفاءة فى تهذيب الكتب حتى تخلص من التشويش المخل والتطويل الممل فترتكز على ذلك دعائم الاصلاح للعلم والعلماء وخصوصا الناشئة الازهرية بادخال المبادىء القويمة والتعاليم الحديثة المجدية على مناهج التعليم بما يرفع مستوى العلوم الازهرية ويرقى الازهريين . ولا يفوتهم العمل لعلاج الحالة الخلقية فى الأمة سيما وقد وضع اكبر حجر لاساسها فضيلة شيخ الجامع الازهر فاختار علماء نابهين فى الوعظ والارشاد معروفين بين القوم بالتقوى ليتم المقصود من الاصلاحات بتلك النهضة الحازمة والحركة المباركة وتتحقق امنية المسلمين بارتفاع شأن العلوم الدينية سيما بعد تمحيصها وبيان حكمة مشروعية الاحكام واسرارها البديعة والرجوع فى اخذها بواسطة الكتاب والسنة حتى يعلو شان العلم ويقوى نفوذ العلماء الذى تلاشى بسبب الحزبية التي تعمل على اضاعة مكانة الدين ومركز العلماء من نفوس الأمة او ينقادون الى منزاعم فاسدة ومشارب باطلة مما كان سببا فى تأخر البلد وتدهور الاخلاق وباعثا على تفكك عرى الروابط بين العائلات والجماعات

نعم اراد ان يتقدم شيخ الجامع الازهر بمشروعه رجاء الاصلاح فقبل الاضطلاع بامر اصلاح هذه المعاهد الدينية وواصل سعيه لدى ولاة الامور للبحث فى شئون الازهريين ومصالحهم حتى تم مسعاه بالنجاح فأنتج مشروعا حاويا لكثير من وجوه الاصلاح فكان فيه

مزايا لا يستهان بها غير ان مشروعه رأي فى بعضه فريق تعديلا فطلب الغاء الكل وكان من الحكمة ان تقوم مداولاته معه على طلب الاصلح واختيار الانفع ورفض ماعدا ذلك وان يتوخى الرفق والروية بطريق لا يشوبها تعصب وانحراف . فليس من الحكمة بقاء المناهج العقيمة وتدريس الكتب المشوشة الآن كما انه لم يكن من المصلحة التمسك بعمل مالا يلائم تطورات الزمن من مسائل استنبطها من تقدم من العلماء كانوا رأوها ملاءمة لزمانهم ثم جاءت غير ملاءمة لزمان غيرهم . اما لانهم لم ينظروا فى تطبيقها الى زمان غيرهم واما لانهم كانوا اخطأوا فهم المراد من الآيات فاخذوا منها حسب اجتهادهم وهم يعلمون ان المجتهد لا حرج عليه متى بذل وسعه فى استنباط الدليل واعتقد صحته وصحة فهمه

وليس على العلماء فى ذلك من حرج فقد تحدث للناس اقضية بقدر مايحدثون من الفجور جاء فى كتاب معين الحكام ماملخصه . ان الاحكام تتغير بتغير العادة والعرف وذلك اجماع وليس ذلك تجديدا للاجتهاد بل هذه قاعدة اجتهد فيها العلماء واجمعوا عليها الى ان قال وينبغى للمفتى اذا ورد عليه مستفت لا يعلم انه من أهل البلد الذى فيه يفتى فلا يفتيه بما عادته يفتى به حتى يسأله عن بلده وهل حدث عرف فى ذلك البلد فى هذا اللفظ اللغوى أو لا وان كان اللفظ عرفيا فهل عرف ذلك البلد موافق لهذا البلد فى عرفه أو لا وهذا امر متعين واجب لا يختلف فيه العلماء »

وليس هذا يوجب تغييرا فى دين الله كما يزعم بعضهم فانظر مثلا لأحكام

التى كانت تتعلق بدار الحرب ودار الاسلام تجدها تغيرت بتغير الزمن ذلك لان ما كان هناك لا يتمشى هنا الآن

ولقد كان المسلمون فى حياة الرسول صلعم يرجعون فى تدبير شئونهم وترتيب مصالحهم الي كتاب الله وسنة رسوله صلعم واذا ماحدث فيهم ماليس له أصل فى الكتاب والسنة وتعذر عليهم رجوعهم فيه الى رسول الله صلعم

اجتهدوا رأيهم وعملوا به والرسول صلعم كان يمهد لهم سبل الاجتهاد ولم يلم مجتهدا يوما ما على اجتهاده

وغير خاف على احد ان المعاملات بين الناس التى تتطلبها الحياة ويقتضيها بناء العمران تختلف باختلاف الزمان والمكان وحيث وجد فى القانون السماوى « القرآن » قواعد كلية وكذلك فى السنة وجب أن يرجع اليها فى العمل ويأخذ بها اهل كل زمان فيطبقون عليها مصالحهم فى كل احوالهم

فلو ان المسلمين اتبعوا سبيل علماء السلف فى العصر الاول واجتهدوا عقولهم فى فهم المقصود من قواعد الشريعة واستخرجوا للناس منها الاحكام التى تقتضيها المصالح وتوافق روح العصر ولا تخالف اصول الدين وجعلوا لهم فى كل عصر جماعة من العلماء العاملين ذوى الرأى السديد والتبحر فى الفقه فيستنبطون مقتضيات الازمان ويطبقونها عليها بشرط ان لا تخالف اصول الدين وروح التشريع

لو أنهم فعلوا ذلك لعمت التعاليم الدينية جميع الممالك الاسلامية

اما وان المسلمين يكونون مقيدين فى عصرهم بما رأوه أهل عصر مضي من استنباط احكام طبقت على احوالهم ولم تلاءم احوال غيرهم فليس هذا التقييد من الدين فى شيء

فانت ترى قفل باب الاستنباط فيما يتعلق بشئون الحياة لم يكن من مصلحة المسلمين اذ اصبح كثير من الممالك الاسلاميه تطبق عليها قوانين أجنبية اغلب احكامها لا تتفق وتعاليمنا الدينية وقد جعل هذا الوقوف بعض الناس يفهمون ان هذه الآراء من قواعد الدين فنفروا منه وفاتهم ان الدين يتمشى مع الناس فى كل زمان ومكان فهو نظام سماوي جاء لاصلاح الهيئة الاجتماعية وبناء العمران والحث على الاخذ فى وسائل التقدم والرقى الصحيح حتى تصل الأمة بانظمته وارشاداته الى اوج الكمال والسعادة الحقيقية

منشا احتقار الشرقى لأخيه

انا نجد الغربى وان كان يتسفل فى كثير من اعماله وعاداته الا انه مع هذا يعمل على احترام نفسه وبنى وطنه فترى مظاهر الاحترام تتجلى منه فى وجه كل فرد من امته بخلافنا نحن معاشر الشرقيين فانا نعمل على احتقار بعضنا بعضا ويسر أحدنا ان يطأطىء له الاخر رأسه ويحنى امامه ظهره اجلالا وتعظيما

فانت ترى قد تشعبت فى ارضنا هذه الرذيلة الممقوته وتأصلت فى نفوسنا تلك العادة المذمومة التى جاءتنا خليطا من « كبر الترك وشهامة

العرب » وقد ساعد على انتشارها بيننا ووراثتنا لها عدم التعلم الصحيح المهذب لنفوسنا . وفساد التربية لكثرة ماانتابها من عوامل وتقاليد اذ تجاهلنا حقيقة العلوم النفسية كعلم الاخلاق والتربية وغيرها مما يهيء النفوس لقبول اصلح الاعمال وجميل الصفات المرضية فان تمهيد النفوس واصلاحها جماع كل فضيلة لبني الانسان وبها يصل الى اوج الكمال حيث يجد الشخص اذ ذاك من نفسه مراقبا شديد البطش يزجره على فعل القبيح ويبعثه على الحسن الجميل

والنفس كالطفل ان تهمله شب على   حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

فلا ينبغي للانسان ان يسترسل فى شهواته ويكون اسير لذاته بل الواجب عليه ان يحكم عقله ويقدمه على هواه فالعقل لاتنشأ عنه الشهوات لانها تنشأ عن حس نفسي والنفس أمارة بالسوء فيمكن ارشادها بمعالجتها بالطرق الحكيمة وبذلك تنتقل به من القبيح الي الحسن بسهولة حتي يصير طبعا لها لا تتكلفه

مقارنات بين المغاني الادبية والهزلية

«نبذة فى فضل المغانى العربية» لاشك فى ان المغاني العربية ذات المعانى البديعة المركبة من الحان (١) ونغمات موسيقية (٢) هى ضرب من ضروب

(١) الالحان واحدة لحن وهو الطرب يقال لحن فى قراءته من باب قطع اذا طرب بها وغرد بتشديد الراء (٢) أصل موسيقى. موزيكا يشبه الرميوزا آله الغناء عندهم وهى كلمة يونانيـة الاصل . وعلم الموسيقى. هو ما يبحث فيـه عدا حقائق الاصوات وكيفية اخراجها وترتيبها ترتيبا تطرب له الأذن

العلم[١] الروحانى. فهى لغة الارواح ومنها تتغذى النفوس وتخلص بها من شوائبها فتصفو وتتصل بمالها الاعلى فترتع فى حياض ملكوت ربها وجمال انسه وتتولد فى نفس صاحبها العواطف الشريفة فتبعثه على المكارم والفضائل متى كانت المغانى ذات معانى قيمة مراعى فيها البيئة والعادات الحسنة والآداب العالية والاخلاق المرضية

اما وقد انحطت بنا الاغاني وفسدت فينا الاخلاق بواسطة من اتخذوه طريقا للارتزاق من الادعياء الذين لاخلاق لهم ممن لم ينظروا فيه الا لجمع المال فقط بأى طريق كانت. فتراهم قصروا تلحينهم على مايسمونه بالطقاطيق[٢] الهزلية سقيمة المعنى ركيكة المغنى مما يحمر له وجه الانسانية خجلا عند سماعها وناهيك بتوقيعها بين السيدات او منهن على مافيها من التهتك والخلاعة فانك تجدها خرجت بفضل واضعيها وملحنيها على الادب والفن فأفسدت محاسنه وقضت على معالمه

فساءت الاخلاق وتسرب التدهور الى العائلات وعمت البلوى وفشت فينا العدوى. فاذا نظرت الآن الى رجالنا وشباننا ونسائنا وبناتنا تجدهم لايتغنون الا بالهزليات ولا يترنمون الا بالمنلوجات[٣] المنحطة مما لايتفق والآداب والاخلاق تراهم ولعوا بأناشيدها فى المجامع والاندية

(١) العلم الروحانى بضم الراء هو المنسوب الى الروح والجمع روحانيون والالف والنون زائدتان

(٢) جمع طقطوقة وهى قطعة غنائية ذات تلحين خاص

(٣) جمع منلوج وهى كلمة فرنسية معناها قطعه فكاهيـة يلقيها فرد فى مشهد مسرحى حافل

والبيوت والطرقات وهجروا كل ما استحسنه الادباء من الادبيات ومادون في كتب العلم من الحكميات . وابتذلوا ماوضعه شعراء العرب والفلاسفة مما اشتمل على الصفات الحميدة والخصال الجميلة من كل مايبعث في النفوس الفضائل ويبث فيها روح الوطنية ويحقق فينا صفة الرجولية من الحماسة والشجاعة والمروءة والكرم فيورثهم حب الدفاع عن الاوطان والزود عن الأعراض والتخلق بمكارم الاخلاق. فان اغاني كل امة مقياس لاخلاقها

ادبيات في حب الوطن والحماسة والحكمة والاخلاق

قال ابن الرومي في حب الوطن وبيان العلة في الحنين اليه المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية

ولي وطن(١) آليت(٢) ان لا ابيعه ... وان لا ارى غيري له الدهر مالكا
(٣)عمرت به(٤)شرخ الشباب منعما ... بصحبة قوم اصبحوا في(٥)ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم ... مآرب(٦)قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
فقد الفته النفس حتى كانه ... لها جسد ان بان(٧)غودر(٨)هالكا

(١) الوطن محل توطن الانسان واقامته (٢) آليت . اقسمت (٣) عمر الرجل من باب فهم عاش زمنا طويلا (٤) شرخ جمع شارخ كصحب جمع صاحب والشارخ . الشاب وشرخ الشباب اوله
(٥) ظلالكا. نعمتك (٦) مآرب جمع مأرب والمأرب المطلب (٧) بان. انفصل
(٨) غودر . ترك

وقال الزعيم الراحل المغفور له مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٩٠٨

بلادي وحبي أن اقول بلادى فيدرك عشاق الكمال مرادى
مواطن اجلال وان خالها العدي مواطن اذلال ودار فساد
احن اليها (١) والمنون(٢) بمرصد فيحيا (٣)حنيني فى سبيل بلادى
وهبت لها عهد الشباب فان(٤)ذوي وهبت مشيبي فى سبيل بلادى

فى الحماسة والفخر

قال صفى الدين المتوفى سنة ٧٤٠ ه

سل الرماح(٥)العوالى عن معالينا واستشهد البيض(٦)هل خاب الرجا فينا
لقد سعينا فلم تضعف عزائمنا عما نروم ولا خابت مساعينا
قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة يوما وان حكموا كانوا موازينا
اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة وان دعوا قالت الايام آمينا
انا لقوم ابت اخلاقنا شرفا ان نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
بيض (٧)صنائعنا سود(٨)وقائعنا خضر(٩)مرابعنا حمر(١٠)مواضينا

---

(١) المنون . الموت
(٢) بمرصد . يترقبه ولا يفوته
(٣) الحنين . الشوق وتوقان النفس
(٤) ذوى بفتح الواو . ذبل واضمحل
(٥) العوالى جمع عالية وهي المركبة فيها الاسنة المشرعة
(٦) البيض . السيوف
(٧) الصنائع جمع صنيعة وهى الاحسان
(٨) الوقائع جمع وقيعة وهى اشتباك المتحاربين فتكون الوقائع سودا على العدو
(٩) المرابع جمع مربع وهي الارض التى يرتع فيها (١٠) مواضينا . سيوفنا

لا يظهر العجز منا دون نيل منى ولو رأينا (١) المنايا فى (٢) امانينا

قال ابن دريد فى الحكم والاخلاق الكريمة المتوفى سنة ٣٢١ هـ

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما راح به الواعظ يوما (٣) أو غدا
من لم تفده عبرا ايامه كان العمى أولى به من (٤) الهدى
من قاس مالم يره بما يرى اراه (٥) ما يدنو اليه (٦) ما نأى
من عارض الاطماع باليأس رنت اليه عين العز من حيث رنا (٧)
وللفتى من ماله ما قدمت يداه قبل موته لاما اقتنى (٨)
وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن (٩) وعى

١ المنايا جمع منية بكسر النون وتشديد الياء المفتوحة وهى الموت
٢ الامانى جمع امنية وهى مايتمناه الانسان
٣ من لم يعتبر بحوادث الدهر فليس للواعظ فيه حيلة
٤ من لم يستفد من الامور التى تحدث فى الايام مايعتبر به كان الضلال أولى به من الرشد
٥ يدنو يقرب
٦ نأى . بعد يعنى يرى البعيد بواسطة القريب
٧ رنا اليه ادام النظر يعنى ان من تحدثه نفسه بالحرص فيقابل ذلك بانقطاع الامل ادام العز نظره اليه حيثما يلتفت
٨ يعني لايعتبر من مال الانسان الا ماينفعه في فعل الخير فى حياته لاما يجمعه
٩ يعني ان الانسان مآله الموت ولم يبق له غير ذكره بخير أو شر واذا كان كذلك فاجتهد ان تكون سيرتك حميدة يحفظها الناس لك

قال الامام على كرم الله وجهه فى الحكم والاخلاق المتوفى سنة ٤٠ هـ

(١)صن النفس واحملها على(٢) مايزينها
تعش سالما والقول فيك جميل

ولا ترين الناس الا تجملا
(٣) نبا بك دهر او جفاك(٤) خليل

وان ضاق رزق اليوم فاصبر الي غد
عسى (٥) نكبات الدهر عنك تزول

يعز غنى النفس ان قل ماله
ويغنى غنى المال وهو ذليل

ولا خير فى ود امرىء (٦) متلون
اذا الريح مالت مال حيث تميل

جواد (٧) اذا استغنيت عن اخذ ماله
وعند احتمال الفقر عنك بخيل

فما أكثر الاخوان حين تعدهم
ولكنهم فى (٨) النائبات قليل

---

١ صن . احفظ

٢ يزينها بفتح الياء . يجملها

٣ نبا بك دهر اى لم يساعدك ٤ جفاك . هجرك ٥ نكبات جمع نكبة وهى حوادث الدهر ٦ ملتون . متقلب ٧ جواد . كريم ٨ النائبات الشدائد

تأثير المغانى الهزلية في الاخلاق

نبذنا تلك الادبيات العالية وتشبثنا بالمغانى الهزلية جميعا لافرق بين عالم وجهول وكبير وصغير وامير وحقير ورجل وامرأة

فربما تجد احتفالا كبيرا يجمع تلك الطبقات يقوم باحيائه اشهر المغنيين فتراه وهو رجل يقول كلاما خنثا كـكلام المربيات نحو «انا خفه انا دحه انا حلوه انا بطه على عينك ياتاجر» ومن الغريب انك تجد الجميع يستحسنون منه هذا الاختيار السخيف ويصفقون له اعجابا

ذلك لأنا تعشقنا الهزليات المنحطة واتخذناها سلوة لنا فى خلوتنا وجلوتنا وفاتنا انها اول داع الى التهتك واكبر باعث على الفجور فاماتت فينا روح الفضائل وقضت على المكارم والآداب فتسرب التدهور فى الاخلاق ودب الفساد فى العائلات وتمزق ثوب الشرف وتقطع جلباب العفاف

فترى البنت تتوسل بتلك الهزليات الركيكة الى مغازلة الشبان والام لجهلها تساعدها على فجورها وضلالها فتذلل لهـا الصعاب وتمهد امامها السبل لتفوز ببغيتها التى من نتائجها الخسران المبين . فتقضى على رب البيت المهمل باحضار اسطوانات للمغنى محتوية على ضروب العشق وملاقات الاحبـة فتظهر البنت امام والديها بمـا تشتهيه من الفجور والبغى ذلك لانه يسمعها من المغانى المستقبحة مايكون حربا عوانا عليه وعلى الانسانية كالآتي منها « انا لما استلطف ما يهمنى بابا —

انا فى الدلع واخده عشرة على عشرة ولا لى كاسر ولا كاسره »

الى غير ذلك مما يندى له جبين الانسانية ويكلم القلب حزنا

فانظر هذه السخافات مع مافيها من الانحطاط النفسي وفساد الاخلاق ولم الناس بها ولوعا حرضهم على الفجور ودعاهم الى ارتكاب المحظور . فالكل يستحسنون هذه الالفاظ البذيئة والمعانى السخيفة . فترى الرجل فى عمله والمرأة فى بيتها والولد فى مدرسته والبنت فى مشغلها يترنمون ويتغنون بقبيح تلك الكلمات المنحطة المعاني فلا رقيب عليهم ولا زاجر لهم من انفسهم قال صلعم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

فيا ايها الاولياء راقبوا من وليتم امرهم واحسنوا آدابهم وهذبوا اخلاقهم ولا تدعوهم فى الحياة يعبثون بالشرف ويسيئون الاخلاق فالشرف عماد ثروتنا والاخلاق قوام حياتنا وان لم تفعلوا فالى أى هاوية تدفعون اولادكم وفى اى بؤرة تلقون بناتكم بايديكم

فتبا لأم جاهلة تزرع فى نفس ابنتها الطفلة ماينشأ معها غذاء لروحها وتشب عليه فى كبرها فهى تجنى على شرف البنت بيدها وتقضى على حياتها بنفسها . وسحقا لأب أهمل تربية بنيه فاودى بهم الى الموت الادبي . راقب ابناءك وبناتك فى كل الاحوال فانت المسئول ولا تدعهم تحت رعاية ام جهلت قيمة الحياة فأفضت بهم الى التهلكة . وكن مع اسرتك كالراعي مع غنمه فى الفلاة لا يغفل عنها لحظة والا وجد الذئب منه فرصة لاغتنام فريسته ولا تركن الي ان القيام بهذا الواجب عبؤه ثقيل يشغلك عن ضروريات الحياة فان عنايتك باولادك ورعايتك بحسن تربيتهم أمر محتوم وواجب عليك على ان هذه العناية بهم والرعاية لهم لا تشغلك اكثر من

مدة طفوليتهم ولم يلبثوا بعدها يسيرا حتى تثبت لهم الفضائل وتوجد عندهم المكارم غرائز وسجايا فتصبح آمنا على اسرتك مطمئنا مستريح البال منتظم الحال

فساد التربية وطرق اصلاحها

ان سوء التربية المبدئية وفساد المدرسة الاولية واعنى بها ابوي الشخص واسرته هي اس مانحن فيه من الانحطاط الاخلاقى والتسفل. فالولد يتبع والديه واسرته فى طباعهم واخلاقهم وعاداتهم وآدابهم فيشب معتادا على ماتغذى به وغرس فى نفسه وهى خلو قابلة للتكييف والانفعال بما يلقى عليها من تلك الدروس الاولية فيعتادها ويتطبعها فان نفس الطفل كقطعة العجينة قابلة لان تصور بأى صورة اوشكل . وكثيرا مانرى المعلم يحاول تأديب بعض التلامذة ويحمله على التخلق بكريم الاخلاق وجميل الصفات فلم يفلح وهذا يرجع لامرين « الاول »

اما لان نفس التلميذ قد تشبعت بفاسد الاخلاق وقبيح العادات فى مدرسته الاولية « بيت العائلة » لسوء ماهم عليه فصارت طبعا له لا يقوى على التخلص منه (الثانى) يرجع الي معلمه اذا لم يكن عنده من القدرة والحكمة ما يسلك به مع تلميذه خير الانظمة واحسن الطرق واقربها لغرس بذور الآداب والاخلاق فى نفسه بعد ابادة ما يكون بها من جراثيم فتاكة وميكروبات قتالة بخير علاج وانجع دواء حتى يعتاد ذلك التلميذ ويتطبعه فان العادة كما قيل طبع ثان متى وافقت رغبات النفس وتهيأت هى لقبولها

المربي القدير

هو من يعرف اميال التلميذ ويقف على حقيقـة مداركه ليسلك به خير طريق تكفل نجاحه . فتري التلميذ وهو طفل صغير تتطلع نفسه وتتجه امياله دائما نحو كل مايلمس بالحواس الظاهرية ويسأم ذات المعنى الدقيق مما يحتاج الى اجهاد النفس وتفكيرها فمثل المعلم معه كمثل الطبيب مع المريض يهيء نفسه اولا لقبوله العلاج ولا يعطيه الدواء الا بقدر الداء سيما وانه وديعة فى يد معلمه فيربي روحه على مبادى الاخلاق الفاضلة ويهذبها بالآداب العالية ويثقفها بالعلوم المنتجة النافعة حتى تصير غذاء له وقواما لحياته

فالمربى حقا من يزن قوى التلميذ العقلية والخلقية والجسمية ويقارن بينها ويعطيه من كل قدرا مناسبا لا يتجاوز طاقته ولا يرجع به الى درجة الأهمال ذلك لان تربية القوي العقلية وتقويمها فى حين ان قواه الجسمية لم تتكامل ، مضعف له ومضر به فالمعلم القدير والحكيم الحاذق هو من يسلك فى القائه الدرس طرق التشويق الى الاصغاء والاستماع ليتنبه ويدرك مايلقى عليه من العلوم والنصائح ثم يتنزل معه فى المحادثة الى المنزلة التى تناسبه وتليق به حتى يدرك قوة فهم التلميذ فيعطيه ما يتناسب معه من العلوم

ومن العدل والانصاف ان يدرس المعلم شئونه النفسيـة فى شخصه اولا ثم يتطلبها فى نفس التلميذ ثانيا فيراقبه فى احواله المستطاعة

له وقت الدراسة ووقت التريض فى المدرسة خفية منه وخلسة له ليطلع على مكنون سره وقوة عقله ودرجة نفسيته وامياله وطباعه . وينبغى للمربي الا يسلك طريقا واحدا فى تعليمه وتاديبه فأن لكل نفس شئونا معنوية وبيئة مميزة واستعدادا خلقيا

فيلزم المعلم ان يحيط علما ولو على طريق الاجمال بما تمس اليه حاجة المعلمين كوقوفه على طباع التلميذ الوراثية ودرجة اخلاقه وعقليته ونفسيته حتى يسلك معه خير طريق لتقويمه بعد تهيئة نفسه لقبولها وتشويقه اليها فان نصائح المعلم وعظاته اذا لم تصادف قبولا من التلميذ وارتياحا، لا تؤثر عنده فكم من اوامر ونواهى للمربى ذهبت بها الرياح هباء منثورا

باعث التلميذ

التلميذ فى طريق تحصيله العلوم بين باعثين : الرغبة والرهبة ولا ثالث لهما فأذا انعدمت الرغبة لا مناص من الثانية ولكن تضييق وزارة المعارف طرق التأديب وحظرها على المعلمين ما تراه ناجعا فى تهذيب اخلاق المتعلمين جعل لبعض المدرسين الاكفاء شبه عذر اذ قضت مادة ٨٨ بعقاب كل معلم يستعمل الضرب فى تأديبه ولو خفيفا وهذا قريب من نظرية فاسدة لرسو الفرنسى قائلة يترك الانسان للطبيعة من تعليم وارشاد . الامر الذى جعل التلميذ وهو فى القسم الابتدائي عندما يرى الشدة فى وجه معلمه يفتح سبابته وابهامه من كلتا يديه لتكون احداهما على هيئة زاوية حادة أو مثلث متساوى الساقين اشارة الى المادة

لينذر بها معلمه بينما اوربا الآن وهى فى عصر الحضارة والرقى تعد فى كلياتها آلات من حديد توضع فى ارجل التلاميذ واسواطا من جلد تضرب بها. رؤى هذا وشوهد فى رحله جلالة مولانا الملك فؤاد الاول سنة ١٩٢٧ باوربا وقد نقلته الجرائد الرسمية اليومية الينا

فلو ان وزارة المعارف افسحت المجال للمعلم فى طرق التعليم واطلقت له يد التأديب فى حد القانون كان خيرا لها واقوم للتلميذ. وليس على من يتحرى القول الا ان يقارن بين درجة اخلاق التلميذ وآدابه وقوة افهامه قبل وضع المادة وبعدها فيجد بوناشاسعا وفرقا عظيما

اصبح التلميذ لا يلتفت الى دروسه اكثر من تأنقه فى ملبسه من تسوية رباط الرقبة الهفاف وتخيره موقع الطربوش من رأسه وتضييق السروال المجسم لما يوجب الدين والحياء ستره فلا يخرج من المنزل الا بعد ان يقضى امام المرآة ساعات صارفا ثمين وقته فى فرق رأسه وحلق شاربه يعمل ذلك وهو شاب طلب منه ان يخشوشن ليستطيع ان يقوم بما يلقى على كاهله فيما بعد من اعباء تكاليف الحياة وجملة القول فهو يجتهد فى تحسين شكله وتصقيل وجهه وترجيج حاجبيه حتى انه يخيل الى الرائى لولا جذور شعرات شاربه انه عروس قد زفت وفاته ان المرء باصالة رأيه لا بحسن زيه

فاذا ماوصل المدرسة بين خيلائه وعجبه دخلها متأبطا جملة جرائد سياسية وروايات غرامية الامر الذى اصبح شغله الشاغل حتى داخل المدرسة فى حجرة الدرس فترى بينما المعلم يشرح نظرية هندسية مثلا اذا بتلميذ يقاطعه قائلا رأيت اليوم بالتلغرافات الخصوصية خلافا بين مجلس العموم

ومجاس اللوردات فى انكلترا . وآخر يقول اليوم قد انتحرت مدام ماري تخلصا من غرامها . فما للنظرية الهندسية ومالمجاس العموم واللوردات او التخاص من شرك الغرام واى مناسبة بينهما ؟

فالتلميذ يجب عليه ان يحقق معنى التلمذة فى السعي وراء تحصيل العلوم والتفرغ لدراستها وتحسين مبادئها للحصول على نتائجها ليحوز درجة عليا ومركزا اسمي . يجب عليه ان يدأب على المواظبة والمثابرة وان يهتم بجزئيات العلوم وكلياتها وان لا يقعده الكسل او اشتغاله بأمر لا يعنيه الى ان يؤخر واجبه المدرسي وقد قيل

ولا اؤخر شغل اليوم عن كسل الى غد ان يوم العاجزين غد

يجب عليه أن لا يألو جهد المستطيع فى ادراك العلوم وقبول النصائح حتى يجتاز بسلام عقبات ادوار التعليم واذا ماتفتحت امامه ادوار الحياة العملية سلك منها أى طريق شاء حسب استعداده لذلك

المرأتان الشرقية والغربية فى التدبير

تقدم ان اول حجر وضع لبنى الانسان فى اساس بناء العمران الصحيح وتشييد صرح المدنية الحقة هو قبول الرجل والمرأة الاشتراك فى الحياة الزوجية وتعاونهما على الفائدة والمصلحة لهما . فخير معين للرجل زوجه تساعده على نوائب الدهر وتشاطره السراء والضراء وتتحمل معه (١) اعباء الحياة وهذا اسمى غرض من مقاصد الحياة الزوجية بعد تكثير النسل يؤيد هذا ماورد بمعناه فى حادثة الرجل الذي اشتكى الفقر الى رسول الله صلعم فامره بالزواج فتزوج فاستمر معه الفقر فشكى اليه مرة ثانية فامره الرسول صلعم بالزواج فتزوج ثانية ولما لم يذهب فقره معها شكى مرة ثالثة الى الرسول صلعم فقال له تزوج فتزوج الثالثة

فلما دخلت البيت على ضرتيها ولم تجد شيئا فى المنزل تدير شئونه ووجدتهما جالستين على فروة صوف جذتها وطلبت منهما غزل صوفها وسرعان ما عملت لهما مغازل فغزل جميعهن الصوف فتلا ولما حضر الزوج اعطاته الفتل ليبيعها ويحضر من ثمنها بعضا آخر من الصوف وبالباقى مايلزم من الطعام واستمرت معهما على هذا المنوال حتى ادخر الرجل مالا اشتري به (٢) شياها فما لبث ان صار عنده قطيع من الغنم وهذا ماكان يشير اليه الرسول الحكيم صلعم

---

(١) اعباء جمع عبء بكسر العين مثل الثقل وزنا ومعني (٢) الشياه جمع شاة وهى من الغنم تؤنث وتذكر

ومعلوم ان حالات المرأة الطبيعية تغاير حالات الرجل فعملها فى ادوار حياتها منزلى اكثر مما هو خارجى اذ كان عليها اداء امور حيوية يتوقف عليها نظام الهيئة الاجتماعية وبناء العمران الصحيح . فتري اوجب الدين على زوجها جميع النفقات التى تتطلبها حياتها الزوجية وان كانت ذات يسار

ذلك لانها تقوم بتدبير نفسها ومنزلها واولادها ومن هنا لزمها ان تحيط بقواعد الصحة ولو اجماليا لتقف على وظائف الاعضاء وارشادات تدبير الحمل وتغذية الطفل وتعليمه وتهذيب نفسه بالآداب والاخلاق وطرق الاسعافات لبعض الامراض الكثيرة الوقوع وترشيح الماء وتنقية الهواء والخبرة بانواع المطعومات وما يناسب الاولاد للغذاء

كما لزمهـا ان تكون عالمة بالتدبير المنزلي من امر الطباخة وخياطة الملابس وكيها وغير ذلك مما يتعلق بادارة المنزل مهما كان لديها من الخادمات لتكون رقيبا بصيرا عليهن فلا يقصرن فى عملهن . على انه ليس من العـار على المرأة ان تقوم مباشرة بتدبير منزلها سيما اذا لم يكن فى وسع الزوج اعداد خادمات لها حيث فرض فيها المشاطرة فى الحياة الزوجية لما تقدم فتعمل معه على الاقتصاد المالى من كل ماينفعها واولادها

الا ان المرأة الشرقية من الطبقة العالية والمتوسطة تأنف عمل بيتها الضرورى ومراقبتها لاعمال خادماتها وتعد ذلك اهانة لها لجهلها بقيمة الحياة الزوجية وهذا فضلا عما تطلبه من غالى الملابس وفداحة اجرتها . اما فى الطبقات المعوزة فالمرأة تقوم بعمل منزلها علي جهل منها مما يستوجب الاسراف والتبذير حتى فى النفقات الضرورية ويودي بمالية الزوج الضئيلة

فالمرأة الغربية وان كانت قد سبقت اختها الشرقية فى ذلك كله اذ قامت بتدبير منزلها ونفسها واولادها خير قيام ولا سيما مشاطرتها العمل لزوجها فى شئونه التى تتطلب المعاونة والمساعدة حتى أصبح الرجل وقد انضم الي يده فى العمل ساعد معين واشترك معه فى الرأى قوة اخرى مفكرة فهى قد تحملت بذلك معه نصيبا عظيما من اعباء الحياة ؛ ومع هذا فلنا عظيم الامل فى المرأة الشرقية ان تضارع المرأة الغربية فى ميدان الحياة بل وتتفوق عليها قريبا انشاء الله اذا هي اعارت امر التدبير المنزلى والتربية الصحيحة جانب اهتمام لما اودع فيها من قوة الزكاء الفطري والقدرة على العمل

عطف الدين الاسلامى على المرأة

جاء الدين بتعاليمه الصالحة لنظام الهيئة الاجتماعية كما تقدم ولا سيما نظام العائلة وبيان معنى الحياة الزوجية الحقيقية فأخذ المسلمون رجالا ونساء بهذه التعاليم التى كفلت مصالحهم معاشا ومعادا فاستقام لهم امر دينهم ودنياهم بعد ان كانوا يعمهون فى ضلالاتهم ويتيهون فى همجيتهم ووحشيتهم عشرات الآلاف من السنين

كان النوع الانساني فى مبدأ امره يعيش فى حالة اباحية تامة لا يعرف للحياة معنى ولا للزواج المشروع الآن اسما كان يقترن الرجال بالنساء والنساء بالرجال كما شاء الهوى والميل لهم ولهن فكان ينتقل الرجل من امرأة لأخري كما تنتقل هى من رجل لآخر بلا اكتراث ولا حياء وما عرف الناس الحياء ونظام الحياة الا بعد مضى الآلاف من

السنين من دورهم الاول كانت تماقد المرأة من الحرائر مع الرجل والعشرة كما كان الرجل يجمع بين العشرة والعشرين منهن والماية والمايتين من الجوارى لان الزواج عندهم الذي يقضى بتقييد المرأة مع الزوج لم يكن الاعبارة عن قيد الجواري بالرق بخلاف الحرائر فانهن كن مطلقات الحرية فى التماقد وجملة القول كانت حالة النساء مما يرثى لها سواء اكان ذلك فى حياة الزوج أم بعد وفاته أما فى حياته فكانت بعد التماقد مع الرجل مهضومة الحق فى بيته حيث لا تستطيع ان تتلمس العدل منه مع غيرها واما بعد وفاته فكان يحرم عليها ان ترثه وفضلا عن ذلك تكون ارثا ومالا لابن زوجها فلة ان يتزوجها رغم انفها وله ان يزوجها غيره لمن يشاء وله ان يبقيها من غير زوج مدة حياتها وذلك حسب عاداتهم الهجمية فى كل جهة

كان الزواج فى كالدونيا الجديدة عبارة عن استرقاق النساء واستخدامهن لان أهل هذه الجهة كانوا لا يعرفون استرقاق الرجال واستخدامهم فكان الرق عندهم مخصوص بالنساء فقط

وفى جزائر الاقيانوس والمجاورين لها كان الغرض من الزواج عندهم حيازة الرجل لعدد عظيم من النساء للخدمة اماقضاء الشهوة فكان عندهم امر ثانوى اذاعتادوا على اكرام الضيوف بتقديم اعراض النساء لهم

وفى اهل افريقيا الشماليه كان من تزوج بامرأة حلت له جميع اخواتها فكانوا فى اباحة مطلقة لا يعرفون تحريم امرأة من النساء مهما اشتدت قرابتها. فالنساء عندهم حق مشاع للرجال حسب التراضى

استمر هذا الدور الاباحى اجيالاً كثيرة وكان كلما ارتقى الانسان يشعر بضرر هذا الشيوع والاختلاط فيميل الى الاختصاص ؛ فكان أول اختصاص قصر نساء القبيلة على رجالها دون رجال غيرها من القبائل وما زالوا يرتقون حتى وصلوا الى اختصاص الرجل الواحد بعدة نساء كيفما يشتهى

جاء الاسلام والناس يتخبطون فى حياتهم الوحشية فصدع رسول الله صلعم بالامر ونادى بعبادة الله واتباع أوامره فنظمهم فى حياتهم ولاسيما الزوجية لينتظم بها المجتمع الانساني ونادى بضرورة ازالة تلك العادات الهمجية والاعمال الوحشية « فحصحص الحق وبطل ما كانوا يعملون » فمنع الرجل من التعدد فوق الاربع زوجات ولم يبح له التمتع الى اربع الا بشروطه ومقتضياته من اقامة العدل بينهن ووجود ضرورة تدعو الى التعدد

عطف الدين على المرأة لما كانت عليه من الانحطاط والامتهان وهضم حقها وتركها بلا اعتناء لاعضد لها ولا ناصر ، فوجه الى الناس عبارات اللوم والزجر وحثهم على احترام المرأة والمحافظة على حقوقها ولا سيما اليتيمات منهن وأوعد بالعقاب من خالف أمره وعرفهم ان الرجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة وانهما متساويان فى اصل الخلقة ومسئولان عما يفعلانه أمام الله تعالى فانه رقيب عليهم حفيظ

قال الله تعا « يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » ثم سوي بين المرأة والرجل فيما لهما

من الحقوق وما عليهما وبين واجب كل نحو صاحبه فعرف كلاهما واجبه (قال تعالى) « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » فاوجب لهن حقوقا على الرجال كاستحقاقهن المهر ووجوب النفقة وحسن المعاشرة وترك المضارة لهن مثل التى أوجبها للرجال عليهن بالمعروف من الامر والنهى والطاعة على الوجه الذى لا ينكره الشرع ولا تأباه العادة المتبعة بين الناس فلا يطلب أحد الزوجين من صاحبه ماليس من حقه

وهذا لاينافى ان للرجال زيادة فى الحق وفضيلة فى القيام بامرهن فيفضلون عليهن بغزارة العقل وحزم الرأي والقوة والجهاد وكمال الصوم والصلاة بخلاف المرأة فاغلب زمانها حائض، ويمتازون بالنبوة فانها خاصة بالرجال والخلافة والامامة والخطبة والجمعة والشهادة فى الحدود والقصاص فانها خاصة بالرجال وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق واليهم الانتساب وهم أهل اللحى والعمائم . هذا معنى درجة الرجال عليهن ويفسرها قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم » ثم بين ان النساء الصالحات المطيعات القائمات بحقوق أزواجهن كلها الحافظات عليها حتى فى غير حضور الازواج بتوفيق الله لهن وعصمته اياهن ، هؤلاء قد قمن بواجبهن خير قيام ، اما اللاتى يعصين أزواجهن وترفعن عن طاعتهم واستخففن بحقوقهم لم يقمن باداء ماوجب عليهن من حقوق الزوجية، فهؤلاء يوعظن ويهجرن فى المضاجع ويضربن ضربا خفيفا حتى يرجعن عن عصيانهن أو يجعل الله لهن سبيلا قال تعالى « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع

واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا »
أما إن خيف الشقاق بينهما فقد بينا فيما تقدم الطريقة التى تتبع ، وبهذه التعاليم المنظمة للعائلة تنتظم الهيئة الاجتماعيه فان بانتظام الزوجين تنتظم العائلات التى بها تنتظم الهيئة الاجتماعية

فواجب جماعة النساء ان تعمل على القيام بواجب المرأة المنزلي بحسن التدبير ومعرفة طرق التربية الصحيحة لاولادها وحسن المعاشرة لزوجها وان تقوم بما له من الحقوق عليها ازاء ما يقوم هو بحقوقها عليه ، وان تعد البنت بكل الوسائل لان تكون من أمهات المستقبل حتى تنظم بيتها وتربى أولادها وتقوم بحقوق زوجها فتتم لهما سعادة الحياة الزوجية

نصيحة اعرابية لابنتها عند زفافها

قالت لها أي بنيتي انك فارقت بيتك الذي منه خرجت وعشك الذى فيه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة يكن لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا . الاولى والثانيـة . الخشوع له بالقناعة . وحسن السمع والطاعة . الثالثة والرابعة . التفقد لموقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا اطيب ريح
الخامسة والسادسة الاحتراس بمـا له والارعواء على حشمه وعياله وليكن ملاك الامر فى المال حسن التقتير وفى العيال حسن التدبير . السابعة والثامنة التفقد لوقت منامه وطعامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة . التاسعة والعاشرة لا تعصى له أمرا ولا تفشي له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لن تأمنى غدره ثم اياك

والفرح بين يديه ان كان مغتما والكآبة ان كان فرحا

حديث ام زرع

عن عائشة رضى الله عنها قالت « جلس احدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار ازواجهن شيئا قالت الاولى زوجي لحم جمل غث [1] على رأس جبل [2] لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل . قالت الثانية. زوجى لا ابث [3] خبره انى اخاف ان لا اذره [4] ان اذكره اذكر عجره [5] وبجره قالت الثالثة . زوجى العشنق [6] ان انطق اطلق وان اسكت اعلق [7] . قالت الرابعة زوجى كليل تهامة [8] لاحر ولا قر [9] ولا مخافة ولا سآمة قالت الخامسة زوجى ان دخل فهد [10] وان خرج أسد ولا يسأل عما عهد

قالت السادسة زوجي ان أكل [11] لف وان شرب [12] اشتف وان

---

(١) الغث الردىء شديد الهزال تريد قلة نفعه (٢) تريد أنه كالجبل الذي يصعب ارتقاؤه لسوء خلقه وتكبره لا ينال منه خير الا بغاية المشقة (٣) أبث اظهر (٤) اذره . اتركه (٥) عجره وبجره تريد عيوبه الظاهرة والباطنة تخاف من ذكرها ان يطلقها فاكتفت بالاشارة الى معايبه بما التزمته من الصدق (٦) العشنق بفتح العين والشين والنون المشددة هو الطويل النحيف وهذا الوصف يدل غالبا على سوء الخلق والسفه (٧) اعلق بضم أوله وفتح ثانيه وثالثه مع تشديده والمعلقة هى التى لا زوج لها ولا مطلقة (٨) تهامة ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز (٩) القر بفتح القاف وتشديد الراء هو البرد (١٠) فهد بفتح الفاء وكسر الهاء . وثب عليها وثوب الفهد وهو حيوان معروف سريع القفزات واسعها

(١١) لف لم يترك شيئا من الاكل (١٢) اشتف . استقصى ما فى الاناء

اضطجع [١] التف ولا يولج [٢] الكف ليعلم [٣] البث قالت السابعة زوجى غياياء [٤] أو عياياء [٥] طباقاء كل داء [٦] له دواء شجك [٧] أو فلك أو جمع كلالك قالت الثامنة زوجى المس مس ارنب والريح ريح زرنب [٨] قالت التاسعة زوجي رفيع العماد [٩] طويل النجاد [١٠] عظيم الرماد [١١] قريب البيت من الناد [١٢] قالت العاشرة زوجى مالك وما مالك مالك خير من ذلك له ابل كثيرات المبارك قليلات المسارح واذا سمعن صوت المزهر [١٣] ايقن انهن هوالك قالت الحادية عشر زوجى ابوزرع وما ابو زرع اناس [١٤] من حلى اذنى وملأ من شحم عضدى وبجحنى [١٥] فبجحت الى نفسى وجدني فى أهل غنيمة بشق [١٦] فجعلنى فى أهل صهيل [١٧] واطيط [١٨] ودائس [١٩] ومنق [٢٠] فمنده اقول فلا اقبح

( ) التف تريد دخل في ردائه وحده (٢) يولج . يدخل (٣) البث . الحزن (٤) غياياء من الغى الذى هو الضلال والخيبة (٥) عياياء من العى وهو العجز تريد انه جمع كل (٦) داء من العيوب (٧) شجك . جرحك . وفلك . كسرك (٨) الزرنب هو الطيب أو شجر طيب الرائحة (٩) العماد يطلق على ما يسند به وعلى الابنية الرفيعة ١٠ النجاد حمالة السيف كناية عن طول القامة ١١ كثير الرماد لكثرة احتراق الوقود بسبب كثرة الاكالين وهذا كناية عن الكرم ١٢ . قريب من الناد . يغيث الملهوف ١٣ المزهر بكسر الميم وسكون الزاى العود من آلات الطرب ١٤ اناس . حرك ١٥ بجحني . عظمني ١٦ بشق بفتح . الشين عند أهل اللغة وبكسرها عند أهل الحديث فعلى الاول اسم موضع وعلى الثانى بمعنى المشقة ١٧ الصهيل . صوت الخيل ١٨ الاطيط . صوت الابل ١٩ الدائس . مايدرس الزرع فى بيدره ليخرج الحب من السنبل ٢٠ منق بضم الميم وفتح النون وكسر القاف المشددة مزيل لما يختلط بالطعام من قشر ونحوه تريدان ان ابا زرع نقلها من اهل قلة ومشقة الى أهل ثروة وكثرة لكونهم أصحاب خيل وابل وسعة عظيمة

وأرقد فأتصبح وأشرب فاتقنح ، أم أبى زرع فما أم أبى زرع [١] عكومها رداح [٢] وبيتها فساح ابن أبى زرع فما أبن أبي زرع مضجعه كمسل شطبة [٣] ويشبعه ذراع [٤] الجفرة بنت أبى زرع فما بنت ابى زرع طوع ابيها وطوع امها وملء كسائها وغيظ جارتها، جارية ابى زرع فما جارية ابى زرع لا تبث حديثنا ولا [٥] تنقث [٦] ميرتنا تنقيثا ولا تملأ بيتنا تعشيشا قالت خرج ابو زرع [٧] والاوطاب [٨] تمخض فلقى امرأة معها ولدان كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقنى ونكحها فنكحت بعده رجلا سريا [٩] ركب شريا [١٠] واخذ خطيا واراح على نعما [١١] ثريا واعطانى من كل رائحة زوجا وقال كلى أم زرع [١٢] وميرى أهلك قالت فلو جمعت كل شيء اعطانيه ما بلغ اصغر آنية أبي زرع قالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلعم كنت لك كأبى زرع لام زرع »

---

١ عكومها جمع عكم بكسر العين وسكون الكاف وهو عدل بكسر العين يوضع فيه المتاع وقيل نمط تجعل فيه النساء ذخائرهن ٢ رداح. عظيمة ثقلية ٣ الشطبة. سعفة النخل الخضراء أى كمسلول سعفة خضراء تريدانه خفيف اللحم دقيق الخصر ٤ الجفرة بسكون الفاء . الانثى من ولد المعز ٥ تنقث بتشديد القاف المكسورة تفسد ٦ ميرتنا . طعامنا ٧ الاوطاب . زقاق اللبن ٨ تمخض بضم التاء وسكون الميم وفتح الخاء . تحرك لاستخراج الزبد ٩ سريا. رئيسا ١٠ شريا بفتح الشين وكسر الراء وتشديد الياء . فرس يمضى بلا فتور

الحلال بين والحرام بين

ترى كثيرا من الناس يتغاضون عن التعاليم الدينية والآداب المطلوبة مع الله ثم مع الخلق ، فمالى ارى القوم قد طغوا وبغوا وعثوا فى الارض فسادا وضلوا واضلوا لا جهلا منهم فان الحلال بين والحرام ظاهر بل عنادا منهم لاتباع اهوائهم ورغبات انفسهم وحبهم مظاهر مكذوبة وزخارف موهومة افضت بهم الى التهلكة فوقعوا فى خسران مبين وضلال كبير

يقول رسول الله صلعم (ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن رتع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه ، الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب)

فالحلال بين ظاهر والحرام يعرفه كل واحد من الناس وهناك امور ليست ظاهرة الحل او الحرمة تخفى على كثير منا ، فمن ترك هذه الامور وتحاشاها احتياطا منه فقد حفظ دينه مما يشينه وصان عرضه عما يذم به شرعا أو عقلا ومن لم يتركها بأن فعلها وقع فى المحرم المحض لان فعلها يجره اليه

فالسارق يسرق البيضة فتقطع يده لانها تجره الى سرقة مافيه القطع اذ بالتدريج يسرق الجمل . ثم بين ان مثل من يفعل هذه الامور التى لم يظهر

حلها ولم تعلم حرمتها كمثل من يرعى غنما فى ارض مباحة الرعى حول ارض محمية للملك منع الرعى فيها فيوشك ان تقع غنم ذلك الراعي فى ارض الملك المحمية

وحمى الله تعالى عبارة عن محارمه فلا يصح ان تنتهك بفعلها مباشرة أو بواسطة هذه الامور المشتبهات

وهذا مثل محسوس ضربه النبى صلعم لتتفطن به نفس الانسان فيتأدب مع الله تعالى رب الارباب وملك الملوك . واذا كان الملك فى الارض حمى يحميه من الناس ويمنعهم من دخولهم فيه ويحل عقابه على من خالف امره منهم . فالرب جل جلاله قد حمى محارمه التى حرمها وأوعد بالعقاب الشديد من خالفها واتبع نفسه فى غيها وضلالها . وكيف يطيع انسان عاقل عدواله مبينا هو من الد أعدائه يكره له الخير ويود له الشر فلا يامره الا بالفحشاء قال تعالى « الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم »

من اعمالكم سلط عليكم

قال صلعم « كما تكونوا يولى عليكم » فلو انا استقمنا ما انتقمنا ، نبذنا تعاليم ديننا بمخالفة أوامر الله تعالى ونواهيه وحاربناه بقبيح افعالنا وسوء اخلاقنا سرا وعلانية ثم نطلب منه المعونة لنا فى دفع يد الباغى علينا ونستمنحه استقلالنا بشؤوننا وتمتعنا بحريتنا وان لا ينزل بنا من الوباء ما نزل بغيرنا « ولو يؤخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمي » ما أجرأ الانسان على ربه وما اقل حياءه مع

سيده يفيض عليه نعمه ظاهرة وباطنة فيزداد طغيانا وتمردا « يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز » فلا يغرنكم حلمه تعالى « ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته يأخذه اخذ عزيز مقتدر قال تعالى « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدى متين »

واعلموا أن ما اصابكم فى انفسكم واموالكم واختلال شئونكم مرجعه عدم الاستقامة وترك الامتثال لله بالطاعة (ورد عن ابن عمر رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلعم فقال كيف انتم اذا وقعت فيكم خمس واعوذ بالله ان تكون فيكم أو تدركوهن. ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط يعمل بها فيهم علانية الا ظهر فيهم الطاعون(١) والاوجاع التى لم تكن فى اسلافهم وما منع قوم الزكاة الا منعوا القطر من السماء ولو لا البهائم لم يمطروا. وما بخس [٢] قوم المكيال والميزان الا اخذوا بالسنين [٣] وشدة المؤنة وجور السلطان. ولا حكم أمراؤهم بغير ما انزل الله الا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا [٤] بعض ما فى ايديهم. وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه الا جعل الله بأسهم [٥] بينهم « وورد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلعم اذا فعلت أمتى خمس عشر خصلة حل بها البلاء قيل ما هن يارسول

---

١ الطاعون. الموت بسبب الوباء ٢ بخس الكيل. نقصه ٣ اخذوا بالسنين أى بالجدب يقال ارض سنهاء اصابتها السنة وهى الجدب وفى الحديث اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف ٤ استنقذوا . استخلصوا ونقذ من باب تعب ٥ البأس. العذاب وهو ايضا الشدة في الحرب يقال رجل بئيس شجاع وعذاب بئيس شديد

الله قال اذا كان المغنم دولا[١] والامانة مغنما[٢] والزكاة مغرما[٣] واطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا اباه وارتفعت الاصوات فى المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات[٤] والمعازف[٥] ولعن آخر هذه الامة اولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا[٦] أو مسخا[٧] »وكل ذلك فعلناه عمدا غير آسفين ولا نادمين

وقال صلعم «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم »

« فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون . ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون . ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين »وقد رأينا ان نختم هذا المقصد بكلمة فى الاتحاد

---

١ دول جمع دولة بضم الدال وهى فى المال يقال صار الفيء دولة بينهم يكون مرة لهذا ومرة لهذا ٢ المغنم والغنيمة بمعنى واحد وتغنم الشيء واغتنمه عده غنيمة ٣ المغرم بفتح الميم الدين الذى يلزم اداؤه يعني ان الزكاة تجب على الانسان ولا يخرجها فتصير دينا عليه ٤ القينات جمع قينة وهى الامة البيضاء مغنية كانت أو غير مغنية وقيل مختصة بمن تغنى ٥ المعازف آلات يضرب عليها فى المغني ومفردها معزف بكسر الميم كالعود ونحوه ٦ خسف المكان عبارة عن غوره فى الارض ٧ المسخ التغيير والتحويل يقال مسخه الله . حول صورته التى كان عليها الى غيرها

الاتحاد

هو قوة معنوية فوق كل قوة مادية فانه سلاح الضعيف الاعزل اذ من مقتضياته تعاون الجميع على العمل للمصلحة العامة قال تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» فواجب على افراد الهيئة الاجتماعية أن يعملوا جميعا على انتظامها مما يحقق كمال المجتمع الانساني فيردعوا كل من خرج على الجماعة فى نظامهم وآدابهم وسعى بالتفرقة بينهم والا فيشتركون معهم فى اجرامهم قال تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »

فيا أيها المسلمون امامكم رابطتكم الدينية فاعتصموا بحبلها المتين فهى العروة الوثقى لا انفصام لها ومركز دائرة المسلمين جميعا فى أنحاء الارض على اختلاف أجناسهم فالمسلم الافغانى مثلا يشاطر اخاه المسلم المصرى السراء والضراء مع بعد السفر بينهما قال صلعم «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتواطئهم كمثل الجسد اذا اشتكي عضو منه تداعي[1] له سائر الجسد بالحمي والسهر »

فوحدة الدين وهي الصلة المتينة والرابطة القوية نعمة كبرى ومنة عظمى من الرحمن لكم فاعملوا جهدكم على تقويتها فان فيها سعادتكم دينا ودنيا وأعلموا أن هذه الرابطة لا تقوى الا باتباعكم التعاليم الدينية وانصياعكم للاوامر السماوية فتقيموا العدل والاحسان بينكم وبين جميع بنى آدم لا فرق فى ذلك بين مسلم وبين مسيحي أو يهودى لتتحقق التسوية بين الجميع

---

١ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر اى تصدع ومرض بسبب تألم هذا العضو وهذا كناية عن شدة الرابطة بين المؤمنين فى تبادل الشعور والاحساس

فى الحقوق والمعاملات حتى يجد الكل راحة وطمأنينة فى نفسه، ولا تكن رابطة الدين داعية لبغى بعضكم على بعض وباعثة على اضرام نار العداوة والبغضاء بينكم ولا يضيرنكم هذا التسامح فى تمسككم بالدين ونشر تعاليمه بين الناس وبث فضائله واقامة دعائمه حيث كان من تعاليمه الحث على حسن المعاملة وايجاد العدل والاحسان بين جميع بنى الانسان ليتحقق تمام النظام بين المجتمع الانسانى ويقوم بناء العمران الصحيح فقد أوصى الدين باهل الكتاب خيرا فجعل « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وقال صلعم من أذى ذميا كنت خصمه يوم القيامة »

لهذا كانت مدنية الدين الاسلامى مشتملة على (١) ناموس الرقى البشرى من علم وعمل ففيها سعادة الانسان فى الدنيا والآخرة

فعليكم ايها المسلمون جميعا ان تتمسكوا بالقرآن الكريم فهو حبل الله المتين من اعتصم به نجا ومن تركه من جبار قصمه [٢] الله، ولا تتفرقوا عن الحق فتكونوا شيعا واحزابا تحت تأثير المناصب والدرجات واعتبروا بمن فشل قبلكم

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة

فيها أمير المؤمنين ومنبر

ولقد ضرب لنا ما نتج من الخلاف الحزبى اكبر مثل كان حرى ان اعتبر، فقد تجنى يد الغاصب لنا من خلافنا ما لا تجنيه من وراء جيوشها

---

١ ناموس الرقى طرقه وقوانينه ٢ قصمه الله . يريد اذله واهانه

واساطيلها ، ولا يغيب عنا تاريخ الاوس (١) والخزرج وما نشب بينهما من الحروب مئات السنين حتى جاء الاسلام فربطتهم وحدته بعد التفرقة وقذف فى قلوبهم المحبة الصادقة والاخوة الاسلامية فتحابوا فى الله وصاروا اخوانا بعد العداوة التى كادوا يهلكون بها

فاشكروا ربكم على نعمة الاسلام وحافظوا على تعاليم الدين ولتقم طائفة منكم امتثالا لاوامر الله فتأمر بالهدى وتنهى عن الضلال ومن يفعل ذلك فقد خص نفسه بالفلاح والفوز المبين قال صلعم « من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه »

فحافظوا على اوامر الله ونواهيه وادعوا الي سبيله تعالى بالحكمة

---

(١) الاوس والخزرج قبيلتان من الانصار كانتا تقطنان مدينة يثرب بين مكة والشام احداهما من ولد الاوس والثانية من ولد الخزرج وهما اخوان كان بين أولادهما من العداوة ما يجعلهم فى حرب دائم مئات السنين وكان آخر يوم اقتتلوا فيه بعاث قتل اكثر رؤسائهم ولم يبق منهم الا عبد الله بن ابى بن سلول من رؤساء الخزرج وابو عامر الراهب من رؤساء الاوس وكان الظفر فيه لقبيلته وقد من الله عليهم بالاسلام فحلت المحبة الصادقة محل العداوة المستحكمة وقد ساء هذا الاتحاد مرشاس ابن قيس اليهودى حينما مر على نفر من الاوس والخزرج يتجاذبون بينهم حديث السمر فبعث اليهم رجلا من اليهود يذكرهم بيوم بعاث ووقعته فثار القوم وهم بعضهم بالقتال فاتاهم الرسول صلعم وقال لهم اندعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام والف بينكم فعرفوا انها نزغة شيطانية فتعانقوا باكين فانزل الله فيهم قوله « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »

والموعظة الحسنة وكونوا عباد الله اخوانا « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون »

المقصد الثانى

يحتوى على جملة مواضع تتعلق بالاجتماعات والقرآن الكريم
الدين يأمر بالمصلحة وينهى عن المفسدة

اعلم وفقنى الله واياك لهدايته والتمسك بطاعته ان من فضل الله تعالى على عباده ولطفه ورأفته بهم اقتضت حكمته تعالى وهو العليم الحكيم انه لم يامر بنى الانسان الا بما فيه الخير لهم والسعادة ولم ينههم الا عما فيه الشر عليهم والشقاوة

وقد امرنا تعالى بفعل المأمورات ونهانا عن قربان المنهيات فهو لم يامر بفعل قبيح ولا شر انما يامر بالحسن وفعل الخير « ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله مالا تعلمون . قل امر ربى بالقسط . ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى

يعظكم لعلكم تذكرون »

وضح ذلك و بينه فى قانونه السماوى (القرآن) كتاب كريم وضعه بارادته وقدرته بعد ان تعلق علمه القديم بما كان وما سيكون لنأتمر باوامره وننتهي بنواهيه فهو أصل ثابت لا يتغير وان تغير الحدثان (١) ولا تعتوره (٢) زيادة ولا نقصان « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » من تادب بادابه واهتدي بهديه كان من الفائزين

روى عن على كرم الله وجهه « قال سمعت رسول الله صلعم يقول ستكون فتن قلت فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار [٣] قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » وروى عنه كرم الله وجهه انه قال « اعملوا بالقرآن قبل ان يعمل به غيركم »

فما بال قوم سلكوا سبل الضلالة بعد ما تبين لهم الهدى واتبعوا غير سبيل المهتدين بدلوا مكان السيئة الحسنة فجعلوا آداب القرآن واحترامه تحقيرا واهانة وترتيله وتحكيمه الحانا تمثل لحن اهل الفسق والضلال ونغمات لا تتفق وقانون احكام القرآن اذ توقعه توقيع المغنى وتخرجه عن حد التدبر بالمعنى مما يتنافى وآدابه من هتك حرمته واهمال واجبه وعدم احترامه فى الحفلات والمجتمعات ولا سيما المآتم والافراح التى من

مقتضياتها ان يقوم المحتفل بها والمجتمع فيها مأزورا لامأجورا مما اشتملت عليه من فعل مانهي الله عنه كما سيتضح قريبا ان شاء الله عند التكلم على القراء والسامعين

طلب العمل والمحافظة على الثروة

كل امة تعمل على اقتصادها المالي فانه قوام حياتها ومركز دائرة تقدمها فعليها ان تربي ثروتها وتنمي ماليتها . لهذا كان الناس فى حاجة الى وضع قواعد طبيعية تنطبق على كيفية احداث ثروة المجتمع وكيفية مبادلتها بين الافراد وادارة شئون الامة بواسطة عميدها السياسي الذى يدير دفتها ويدبر احوالها ويحثهم على السعى وراء الكسب لتحقق هذا الغرض بحسب مايلائم احوالهم وعاداتهم وجو بلادهم شأن رئيس الاسرة الرءوف بها الساعي فى رقيها

فالامم تتقدم بثروتها وتحسين ماليتها بواسطة تلك القواعد وهذا مايدعونه بعلم (١) الاقتصاد السياسى وقد وردت به التعاليم الدينية فطلب الدين من الانسان أن يعمل حتي يحصل على المال قال تعالى «فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه . فامشوا فى مناكبها (٢) وكلوا من رزقه واليه النشور»

---

١ علم الاقتصاد هو علم يبحث فيه عن علاقات الناس بعضهم ببعض من حيث الانتاج وبذل الجهود . والاستبدال . والتوزيع والاستهلاك وهذا حسب ماقرره باستيا الاقتصادى الفرنساوى فى القرن التاسع عشر من ان دائرة بحث الاقتصاد السياسى ثلاثة الحاجات . الجهود . الاشباع ٢ مناكب الارض . جوانبها . اوجبالها . اواطرافها

لحثهم على العمل حتى يحصلوا على حاجاتهم التى بها قوام حياتهم ويتكون ، لديهم من المال مايكفى لاصلاح حالهم وتدبير شئونهم وحذرهم من ان يكون السعى وراء الارتزاق داعية الاهمال فى طاعة الله تعالى فقرن طلب الرزق فى الآية الاولى بعبادته واعقب السعي وراء تحصيل مواد الحياة بالبعث والنشور فى الآية الثانية ليبين انه المرجع يوم القيامة فهو سائلنا لا محالة عن اداء ماوجب علينا من شكره وذلك بان نصرف جميع ما انعم الله به علينا فيما خلق لاجله حتى نكون من الشاكرين.

فالدين لم يترك الشخص متفرغا للعمل وراء احداهما دون الاخرى قال تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » فالانسان يطلب الآخرة ويرجو الثواب بعمله الخيرى وانفاق ما آتاه الله من الاموال والنعم فيما خلقت له ومع هذا لاينسى نصيبه من دنياه فيعمل لتحصيلها فى حين انه يتزود لآخرته منها

وقد ورد « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » فتبين من هنا ان المرء فى تحصيله الرزق يلزمه ان يسعى بجد واجتهاد حتى لايكون عالة على غيره ، وانه فى عمله للآخرة يجب عليه ان يخلص فيه لوجه الله لينال درجة القبول عنده تعالى ، وبعد ان حث بنى ادم على العمل للدنيا والاخرة وان لايتجاوزوا الحد فى تحصيل احداهما . نظمهم فى انفاق ماجمع لديهم من الاموال سواء فى ذلك ماينفقونه فى طرق الخير ابتغاء مرضاته تعالي وما يقيمون به اودهم فامرهم بان يقصدوا [1] فى امورهم بحسن النفقات المعتدلة الخالية من التبذير والتقتير

(١) قصد فى الامر قصدا . اي توسط وطلب الاسد بتشديد الدال المهملة ولم يجاوز الحد

فتكون فى حد الوسط « قال تعالي ولا تجعل يدك مغلولة [١] الي عنقك ولا تبسطها [٢] كل البسط فتقعد ملوما [٣] محسورا [٤]
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا [٥] ولم يقتروا [٦] وكان بين ذلك قواما [٧] » وجاء فى صحيح الاحاديث انه روي عن سعيد بن ابي وقاص رضى الله عنه » قال قلت يارسول الله انا ذو مال ولا يرثنى الا ابنة لي واحدة وفى رواية اورث كلالة [٨] افا تصدق بثلثي مالى قال لا قلت افا تصدق بشطر مالى قال لاقلت افا تصدق بثلثه قال الثلث [٩] والثلث كثير انك ان تذر [١٠] ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة [١١] يتكففون [١٢] الناس « —

---

(١) مغلولة . ممسوكة عن الانفاق كل المسك ٢ بسط يده . مدها منشورة و بسطها فى الانفاق جاوز القصد ٣ ملوما . من الغير على الامساك يقال لامه لوما من باب قال . عذله فهوملوم ٤ محسورا. منقطعا لاشيء عنده روى أن سبب نزول قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الآية) انه أتى رسول الله صلعم بز وكان جوادا كريما فقسمه بين الناس فاتاه قوم فوجدوه قدفرغ منه فانزل الله هذه الاية .البز بفتح الباء وتشديد الزاى . نوع من الثياب وقيل الثياب خاصة من أمتعة البيت وقيل أمتعة التاجر من الثياب ورجل بزاز والحرفة البزازة بكسر الباء

(٥) يسرفوا. يتجاوزوا الحد في الانفاق (٦) يقتروا. يضيقوا

(٧) قواما .عدلا (٨) الكلالة تطلق على من ليس بولد ولا والد وعلى من لم يترك ولدا ولا والدا والمراد هنا الاخير وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلالة وهو ذهاب القوة من الاعياء (٩) قوله الثلث الاول روى بفتح الآخر على انه منصوب لعامل مقدر نحو الزم اما الثلث الثانى فروى بضم آخره على انه مبتدأ خبره قوله كثير وفى هذا الحديث دليل على منع الوصية باكثر من الثلث لمن له وارث وعلى هذا استقر الاجماع (١٠) أن تذر بفتح همزة ان على تقدير لام التعليل قبلها وبكسرها على أنها شرطية جوابها خير وقوله تذر معناه تترك (١١) عالة جمع عائل وهو الفقير (١٢) يتكففون الناس . يسألونهم باكفهم

فالتعاليم الدينية قد ارشدتنا الي حسن التصرف فى اموالنا واعتدال النفقات فى حاجاتنا الضرورية فلا نكون مسرفين مبذرين ولا ممسكين مقترين حتى فيما ينفق فى سبيل الخيرات التى ترجع الى صاحبها بالثواب الآجل وهذا مفروض فيما تكون فيه النفقات ضرورية لماشه او متعلقة بمعاده فى فعل الخيرات فما بالك بنفقات فى امور غير شرعية لم تتطلبها معيشتنا ومع ذلك تجدها خارجة عن حد الاعتدال الي درجة السفه

الافراح والمآتم

انك لا تجد عادة تأصلت فى النفوس وأشربتها القلوب اقبح من عادة المآتم والافراح عندنا معاشر المصريين ولا أسوأ من تصرفنا فيها فانها مع مااشتملت عليه من مخالفة الآداب الدينية والاجتماعية مهلكة لاموال كثيرة لاخير فيها للاحياء ولا للاموات ولا قصد منها الا التفاخر حبا فى الظهور وطلبا للسمعة ليقال هذا فرح عظيم ومأتم جسيم

لهذا ترى بعضهم يكلف نفسه مالا تطيق حمله من النفقات بطرق غير مشروعة تجحف بماليته وتودي بثروته ، فكثيرا ماترى مظاهر اليسار والقدرة تتجلى باجلى مظاهرها فى أفراحهم ومآتمهم بتلك النفقات الجارفة حتى اذا مارفعت تلك المعالم المكذوبة ظهرت لك حقيقتها اذ يكون أصلها رهن بيت أو حلى . ثم لا يلبثون بعد ذلك حتى تراهم يسخطون على الزمان والمكان والاحياء والاموات اذاهم احسوا بمصيبة اخرى وكارثة كبري فى أموالهم فيصبحوا على مافعلوا في انفسهم نادمين (ولات ساعة مندم) الامر الذى يؤلمنا ويحزننا على ذوى عقول ضيعوا قوة تمييزهم .

وحسن اختيارهم بسوء تصرفهم فى مال طولبوا بحسن الاتفاق فيه حتى ابيح لهم شرعا ان يقاتلوا مقاتليهم دفاعا عنه ومحافظة عليه، فتراهم يعبثون به ويجعلونه هباء منثورا فى ظروف لم يكن من الضرورى فيها للميت سوى الكفن المشروع وللزواج غير الاعلان والشهرة

ولا يقال إن من يضره هلكة المال هو المعسر المحتاج لرهن أو قرض اما وانه ينفق من يسار وغنى فلا ضرر ولا ضير عليه لا يقال ذلك لانه كما تقدم تبذير ممنوع شرعا وعبث باموال مذموم عقلا وأفعال العقلاء تصان عن العبث اللهم الا اذا كنا نبذنا تعاليم ديننا ولم نسترشد بعقولنا وهذا مالا يرضي به انسان فضلا عن عاقل

الاحتفال بتشييع الميت وما يدعى بالخرجة

من نظر الى الجنازة وهم ذاهبون بها الى مقرها الاخير بين موسيقى تصدح أمام القوم ونساء باكيات خلفهم وطوائف مختلفة الازياء بين الفريقين واحدق النظر فى تلك المناظر المزرية انفعلت نفسه منها تعجبا لانك لا تفقه لهذا معنى ولا تدرك له سرا — فاي معنى لتشييع الميت بالموسيقى وهى تذهب بوقار الميت وجلال الموت والاتعاظ به وأى فائدة ترجع الى الاموات من نشيد يزفونهم به لا تسمعه الا فى الافراح اوأي سر فى لباس من يلقبون بالمولوية وعاء من الصوف الاحمر فوق رؤوسهم يقرب فى الطول من الذراع . وفى لباس من يدعون بالحنوتية عباءة خضراء والتثاءهم بشاشة بيضاء لا تكاد ترى أعينهم وأي حكمة فيمن يسمون بالمبخرتية وما يلتحفون به من الاردية الحمر وما يحملونه من المجامر . الامر الذى جعلنا معاشر

المصريين مرمى لسهام النقاد . ذلك لاننا نمثل فصولا هزلية فى ظرف رهيب هو جدير بالاتعاظ والتدبر والخشوع ولا نتعظ بموتانا « وفى ك بالموت واعظا »

فاذا رجعوا من المقبرة اقاموا حفلات العزاء فى سرادق مزدانة بالخز المفروشات ومستنيرة بلالىء الكهرباء يتناولون فيها القهوة والدخان ثلاثة أيام أو يوما وليلة . ومثل هذا من الخيام للنساء يحضرن فيه من ذوات الاصوات من يندبن باجر لا يقل عن أجر الصييت فى محفل الرجال

ثم يقابلون كل يوم خميس بمثل ما صنعوا الى أربعين يوما فهناك ترى أعظم احتفال . وحدث ولا حرج عن مستهلك النفقات من الخرجة الى احتفال الاربعين وهنا يقال المثل « موت وخراب ديار » . وليس فى ذلك كله فائدة للميت سوى ثواب قراءة القرآن أو دعوات صالحة مما لا يتوقف على كل ما صنعوا فخرا ورياء ، هذه عادتنا فى مآتمنا وقد نهينا عنها

تعاليم الدين الواردة فى الميت وما يتعلق به

ابتداء من وقت احتضاره

قال الامام احمد فى مسنده « حدثنا صفوان قال كانت المشيخة يقولون اذا قرئت يس عند الموت خفف عنه بها »

وروي عن ابى الدرداء وابى ذر قالا « قال رسول الله صلعم ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس الا هون عليه » ويندب ذكر الشهادة عنده لعله يلفظها لتكون آخر قوله فى الدنيا جاء فى مسلم « ان رسول الله

صلعم قال لقنوا موتاكم لا اله الا الله » والمراد بالتلقين هنا التذكير وبالموتى من احتضر لا من مات فعلا كما يفعل الآن بعد وضعه فى القبر فانه لم يثبت

ويكره الاكثار عليه بذلك والموالاة لئلا يضجر ويضيق حاله ويشتد كربه لسطوة الموت فيكره ذلك بقلبه أو يتكلم بما لا يليق . فاذا مات يسجي بغطاء لتستتر صورته المتغيرة عن الاعين

وتكون التسجية (١) بعد نزع ثيابه التى توفى فيها لئلا يتغير بدنه بسببها فقد روي عن السيدة عائشة « أن رسول الله صلعم حين توفى سجي ببرد[٢] » (حبرة) بعد هذا ويغسل بالماء والسدر[٣] ثلاثا أو خمسا أو أكثر حسب حالته وفى الآخرة يجعل فيها مثل الكافور فقد ورد عن أم عطية الانصارية قالت «دخل علينا النبى صلعم ونحن نغسل ابنته فقال اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو اكثر من ذلك ان رايتن ذلك بماء وسدر واجعلن فى الاخيرة كافورا أو شيا من الكافور » شك من الراوى . والحكمة فى غسل الميت بالسدر انه يلين الجسد وأما الكافور فيطيب رائحة الموضع لاجل من حضر وفيه تجفيف وتبريد وقوة نفوذ وخاصية فى تصليب جسد الميت وصرف الهوام عنه ومنع ما يتحلل من الفضلات ومنع اسراع الفساد اليه وهو أقوى

---

(١) التسجية بالسين المهملة هى التغطية (٢) البرد بضم الباء وسكون الراء نوع من الثياب وتجمع على برود وابراد اما البردة بضم الباء وسكون الراء فهى كساء مربع وبها كني هانىء بن نيار بابى بردة وتجمع على برد بضم ففتح والبرد يجوز اضافته الي الحبرة ووصفه بها .والحبرة ما كان لها أعلام وهى كانت من أحب اللباس اليه صلعم (٣) السدرة بكسر السين وسكون الدال . شجرة النبق والجمع سدر وسدرات قال فى المصباح اذا أطلق السدر في الغسل فالمراد الورق المطحون

الروائح الطيبة وهذا هوا لسر فى جعله فى آخر غسلة اذ لو كان في الاولي مثلا لاذهبه الماء فاذا ماتم غسله اخذ فى تكفينه ولا يجب من الكفن له الا ما يستر جسده ويسن ان يكون من القماش الابيض لما روي من حديث ابن عباس « البسوا ثياب البياض فانها اطيب وأطهر وكفنوا فيها موتاكم » والافضل التكفين فى ثلاثة أثواب بيض فقد ورد عن السيدة عائشه قالت « كفن رسول الله صلعم فى ثلاثة أثواب (١) سحوليه من (٢) كرفس ليس فيها قميص ولا عمامة » بل ازاء ورداء ولفافة فاذا كفن وضع فى السرير وحمل على الاعناق الى المقبرة بين الخشوع والخضوع والاصغاء حتى يصلى عليه ويدفن فقد روي عن رسول الله صلعم « من شيع (٣) جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معه حتي يصلى عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع بقراطين كل قيراط مثل جبل أحد » وقوله صلعم إيمانا واحتسابا لان ترتب الثواب على العمل يستدعي سبق النية فيخرج من ذلك ماكان على سبيل المكافأة المجردة أو على سبيل المحاباة فحمل الجنازة يضاعف الاجر لمن يشيعها فروى مسندا الى عبد الله بن مسعود انه قال « اذا تبع أحدكم الجنازة فليأخذ بجوانب السرير الاربع ثم ليتطوع بعد

---

(١) سحولية نسبة الي سحول بفتح السين وضم الحاء هي بلدة باليمن يجلب منها الثياب

(٢) كرفس بضم الكاف وسكون الراء وضم الفاء بعدها السين المهملة اى قطن

(٣) الجنازة بفتح الجيم وكسرها . الميت والكسر افصح وقيل بالفتح . السرير وبالكسر نفس الميت وقيل عكس ذلك وهى من جنزت الشيء اجنزه من باب ضرب اى سترته

أو يذر فانه من السنة »

فاذا مادفن طلب له من اخوانه الاستغفار والرحمة من الله . أما ماعليه الناس الآن من تلقين الجواب للميت بعد وضعه فى القبر فلم يثبت منه شىء غير قوله صلعم « اذا وضعتم موتاكم فى القبور فقولوا باسم الله وعلى ملة رسول الله » وورد أنه صلعم كان اذا فرغ من دفن الميت قال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل » وعليه ورد قوله تعالى « ربنا اغفر لنا ذنوبنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقوله تعالى « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات »

فالادعية ونحوها من القراءة نافعة للميت فمذهب الحنفية . للانسان ان يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو حجا أو صدقة أو قراءة قرآن أو ذكر أو أى نوع من أنواع القرب فقد اخرج الشيخان (البخارى ومسلم) انه صلعم كان يضحى عن نفسه بكبش وعن امته بكبش واخرج الدار قطنى (ان رجلا سأل النبى صلعم أنه كيف يبر ابويه بعد موتهما فاجابه بانه يصلى لهما مع صلاته ويصوم لهما مع صيامه » واخرج ابو داود من حديث معقل بن يسار عنه صلعم (اقرأوا على موتاكم يس)

ومن السنة ايناس أهل الميت بصنع الطعام لهم لما هم فيه من الشغل بالميت فقد ورد لما جاء نعى جعفر رضى الله عنه حين قتل (قال رسول الله صلعم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم مايشغلهم) وللان أغلب أهل القرى يحافظون على هذه المكرمة وان كانوا يجعلونها بينهم من قبيل المبادلة

ثم من السنة زيارة القبور . وكرهت زيارة النساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن أما الآن فتحرم زيارتهن لما يترتب على وجودهن من المفاسد وذلك لتبرجهن وقلة حيائهن ومن السنة ان يبدأ الدعاء بنفسه ويثنى بالاستغفار لهم كما كان يفعل رسول الله صلعم فقد ورد عن ابن عباس قال مر رسول الله صلعم بقبور أهل المدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال (السلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالاثر) وزيارة القبور بحالتها الآن من الجلوس عليها والمبيت فيها حرام حتى على الرجال ورد عن عمرو بن حزم الانصارى قال .رآنى رسول الله صلعم وأنا متكىء على قبر فقال (لا تؤذ صاحب القبر) واخرج مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الي جلده خير له من الجلوس عليه) واخرج مسلم عن ابى مرثد مرفوعا (لا تجلسو على القبور ولا تصلو اليها واخرج من حديث ابن مسعود مرفوعا (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج [1])

ولا باس بزيارة الرجال والنساء المتحشمات المتقنعات مع محرمهن للاتعاظ والاستغفار ساعة من الزمن بشرط أن يتحاشوا المشى والجلوس على قبور الاموات والصلاة اليها والتغوط وايقاد النيران والنوم مما يعمل الآن، هذه تعاليم الدين فى الميت وما يتعلق به من زيارته فلو انا اتبعناها انصلح حالنا

---

١ سرج بضم السين والراء جمع سراج وهو المصباح

العرس وما يدعى بزفة العريس

تقدم الكلام على الاعمال المستهجنة والنفقات المستهلكة بلا جدوى في المآتم ولست اغالى ان قلت انه لا يبلغ معشار ما يفعل فى الافراح ولا سيما ليلة زفاف العروسين [1] من اهلاك عظيم النفقات وفعل اكبر المحرمات اذ يواصلون شرب الخمر علنا من المساء الى الصباح عدة ليال بين سماع مغنى مستقبح ورقص متسفل من غانيات النساء امام جماهير الرجال من غير مبالاة السكل أو ادنى حياء واغرب من هذا كله طواف الزوج وبعض قرنائه طرقات البلد فى سيارة مزدانة بانواع الازهار والرياحين والنور الكهربائي يمرون بها بين تصفيق وقهقهة ومغنى بذاء [2] واحتساء خمر بعد شطر من الليل مما يقلق راحة الجمهور ويفسد الاخلاق

ولقد تراهم يعاندون انفسهم اذا ما انكر عليهم سوء فعلهم ناصح لهم فيتهافتون على فعل هذه المنكرات منكبين على ما يودى بماليتهم ويضعف دينهم كالحشرة التي تعاند النور فتلازم ضربه بجناحيها حتى تحترق فاتخذوا قبيح هذه الافعال ودنايا تلك الامور عادة لهم متأصلة فى افراحهم فضلا عما ينفقونه فى اقامة السرادق ومعالم الزينات مما لا فائدة فيه سوى ابادة المالية فياحبذا لو اقتصروا فى فعلهم على الامور المشروعة فى الزواج مما لا يجحف بالمالية ولا يضر بالدين ولا يخالف الآداب

---

١ العروسين تثنية عروس وهو وصف يستوي فيه المذكر والمؤنث ٢ البذاء . الفحش

مشروعية الوليمة والدف في الزواج

روى عن انس رضى الله عنه (ان النبي صلعم رأي على عبد الرحمن ابن عوف اثر صفرة [١] فقال ما هذا قال يارسول الله انى تزوجت امرأة على وزن نواة [٢] من ذهب قال له بارك الله لك اولم [٣] ولو بشاة »

وضرب الدف مشروع فى النكاح لان اعلانه مطلوب وهو ابلغ فى الاعلان من عدمه فهو مسنون بشرط ان لا يصحبه محرم كالتغنى بصوت رخيم من امرأة اجنبية بشعر فيه مثل وصف القدد ووجنات الخدود وخصوصا ما احدثه الناس فى زماننا مما يدعونه بالطقاطيق الهزلية التى مر ذكرها ولا باس من وجود مغنى باسلوب عربي لان تحريم المغنى لا لنفسه بل لما اشتمل عليه من المعانى المستقبحة وما اقترن به من فعل المحرمات قال صلعم (اعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف [٤] وليولم احدكم ولو بشاة فاذا خطب احدكم امرأة وقد خضب [٥] بالسواد فليعلمها لا يغرها) فدل هذا على طلب اعلان النكاح وعلى اباحة ضرب

(١ اثر صفرة هو اثر الزعفران (٢) نواة هى احدى نوى التمر كان قدرها يومئذ ربع دينار وقومت بخمسة دراهم من الفضة (٣) الوليمة مشتقة من الولم بفتح الواو وسكون اللام وهو الجمع لان الزوجين يجتمعان فيها والفعل منه أولم وتقع على كل طعام يتخذ لسرور حادث. ووليمة العرس ما يتخذ عند الدخول وما يتخذ عند الاملاك (٤) الدف هو المسمي بالطار عند العامة

(٥) يريد ان صبغ شعره الا بيض يكون تغريرا لها اذا كان بدون علمها

الدف وعلى مشروعية الوليمة وعلى ان الرجل لا يصح انه يغرر بالمرأة بصبغ شعره اذا كان مبيضا ويجب عليه ان يعلمها حتى لا يتأتى خلاف بعد العقد

وقد اولم رسول الله صلعم على زينب بنت جحش بشاة واولم على ام سلمة وغيرها من أزواجه باقل من شاة واولم على ميمونة بنت الحارث باكثر من شاة . ولا يفهم من قوله صلعم أولم ولو بشاة ان الشاة اقل ما يجزىء بعد ما ثبت انه صلعم اولم باقل من شاة، وتلبية الدعوة الى الوليمة تعد من اطاعة اوامر الدين عن ابن عمر رضى الله عنه قال (قال رسول الله صلعم اذا دعى احدكم الى وليمة فليأتها) اللهم الا اذا اشتملت على ما يبيح التخلف عنها كشبهة فى الطعام أو وجود من يتاذى بحضوره معه أو كانت الدعوة لخوف شره أو لطمع فى جاهه أوليماونه على باطل أو يوجد فيها منكر كشرب خمر أو رقص نساء أو غناء مخالف للآداب

الموالد العامة

هي وان كانت بدعة احدثها فى أواخر القرن السادس أو فى أوائل السابع الملك[1] ابو سعيد كوكبوري التركماني الجنس احتفالا بمولد سيدنا محمد صلعم فأصل القصد منها حسن لان الغرض باحتفال مولد سيد الخلق صلعم. الشكر لله تعالي على ما انعم به علينا من بعثة النبى صلعم رحمة للعالمين

---

(١) كان يلقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب مدينة اربل بكسر الهمزة وسكون الراء وكسر الباء ولاه عليها السلطان صلاح الدين في شهر ذى الحجة سنة ٥٨٦ هجريه وهو اول من انفق على مولد الرسول صلعم آلافا من الدنانير انتهى ملخصا من تاريخ ابن خلكان

وجعله خاتم النبيين والمرسلين ففى مثل هذا اليوم تتجلى مظاهر الافراح ومعالم السرور بين جميع المسلمين . واى نعمة علينا اعظم من بروز نبى الرحمة للناس كافة، فهو ولي نعمة الجميع لانه احرص على أيمانا بالله وخاف علينا الوقوع فى عذابه وكان شديدا عليه عنتنا فشق عليه لقاؤنا المكروه اذ أراد لنا الخير والسعادة الابدية فهو رؤوف بالمؤمنين رحيم قال تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فالاحتفال كل عام بمولده صلعم بطريق منظم خال من المنكرات لا مانع منه ولا بأس بفعله . غير ان حدوث ما اعتاد عليه النـاس من الافعال المذمومة والاعمال المستهجنة ممن لا خلاق لهم يكاد يذهب بالغرض الاصلى لانك تجد احتفالاتنا الآن بالموالد العامة ضررها اكثر من نفعها لما اشتملت عليه من مخالفة الآداب لا فرق فيها بين مولد الرسول صلعم ومولد سيدنا الحسين والسيده زينب والسيد البدوى وامثالهم . فترى رجالا انحطوا أخلاقا وفسدوا تربية اعدوا انفسهم فى مثل هذا اليوم للتعدى على الفضيلة حيث يجدون سبل الفجور امامهم ممهدة ذلك لاختلاط الجنسين ببعضهما بسبب وجود اباحية التمدن الحديث بيننا وعدم الرقيب علينا فانه ليس لدينا مفسدة للاخلاق ولا مضيعة للدين اعظم من اختلاط النساء بالرجال مهما تعلمنا وارتقينا . فان الفجور طبيعة فى الاختلاط ولا يصح لعاقل ان يضع النار ملاصقة للزبد ثم يحكم عليها بأن لا تذوب ولا سيما اذا وجدن مع الرجال متبرجات سئل الحافظ بن حجر عن الاحتفال بالموالد فقال : اصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن احد من السلف الصالح فى القرون الثـلاثة ولـكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن واضدادها فمن جرد فى عمله المحاسن وتجنب

ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا:

فاحتفالات الموالد يجب أن يراعى فيها الغرض المقصود من اقامتها ولا يشوبها افعال منكرة كالذى تقدم كما يراعي ذكر الله فيها بالفاظه المشروعة فلا يذكر بالفاظ لامدلول لها ولا ينبغى أن يتكلم بالفاظ لامفهوم لها ولامعنى مما اصطلحوا عليه عند ما تأخذهم الجلالة كما يزعمون وتشتد خمرة الاوهام فى نفوسهم فيرقصون فى حلقة الذكر ويهيمون بين أناشيد وضرب ما يدعى بالبازة وصوت السفاره والتصفيق من شيخ الحلقة مما يخالف آداب الذكر

ولاسيما فى مساجد الله تعالى المعظمة وأضرحة أولياء الله الصالحين الموقرة ، يفعلون هذا لانهم جهلوا أن شريعتنا الغراء تابى أن يذكر الله تعالى بآلات لهو وتمنع ارتفاع الصوت فى المسجد بذكره اذا ترتب عليه تشويش المصلين

أما ما يفعل من طريق الشعوذة كاكل النار وبلع الزجاج وضرب بعض أعضاء الجسم بالسلاح على سبيل الكرامة فهو ليس من الكرامة فى شيء لان فعل هذه الاشياء صار عادة عند بعضهم ومن شروط الكرامة ان لاتصير عادة اذ هي الامر الخارق لها فلا تأتى بمثله العادة

فواجب أولياء أمورنا أن يهذبوا تلك الاجتماعات العامة مما اشتملت عليه من الاعمال المخلة بالآداب الاجتماعية والتعاليم الدينية فان ديننا يامرنا بالنظر فى مثل هذه المحدثات من حيث مطابقتها الاحكام الشرعية وعدمها فما رؤى منها مخالفا لكتاب الله وسنة رسوله صلعم وهدى الخلفاء

الراشدين وآراء الائمـة المجتهدين أو ترتب على فعله مخالفتهـا كان محرما ووجب درؤه

الزار ومنشأه

حارت الالباب واضطربت الافكار فى حقيقة مايسمى عند المصريين باسم الزار فلقد أدلى برايه فيه كثير من الـكتاب واختلفت جهة أفكارهم فى منشأه والقول بجوازه وعدمه ومع كثرة ما كتبوا لم يميطوا اللثام عن وجهه وللايضاح نقول ماتيسر لنا فى موضوعه ، ولا يفوت القارىء انى لاأقصد من الزار الا مايعترى الشخص من المرض المؤثر فى اعصابه فيضعف قواه عقلية كانت أو جسمية لا مايعملنه النساء الآن فى حفلاتهن بواسطة من تدعى « بشيخة الزار » . مما خرجن به عن حد الآداب وافسد الاخلاق فان هذا منكر يحرمه الشرع ويأباه الذوق السليم

فالزار يشبه مرضين الاول الامراض العصبية التى تؤثر فى المجموع العصبى وتغير حالته الطبيعية كمرض (النورستانية) مثـلا لتأثيرها فى الاعصاب الثانى المرض الذى ينشأ عن مس الجن للانسان حتى يتخبط فى اموره واذن فأيهما كان أقرب شبها له يعطى حكمه فى طريق علاجه ويسمى باسمه

وهذان المرضان ثابتان ولهما أصل أما الاول فقال الاطباء الاخصاء فيه ان مرض النورستانية أوسع الامراض العصبية دائرة واشدها تأثيرا فى

المجموع العصبى اذ انه يعكس امزجة المريض ويفسد دورته الدموية فيجعل المريض غير منتظم فى حركاته متخبطا فى أموره . تراه مرة على صورة تقرب من الجنون وأخرى يستولى عليه المرض فيتصف بما يدعى بالتشنج العصبى وآونة يخيل اليه انه تردى من جبل أو فى بئر او انه غرق فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج

وحينا يؤلمه التأثير فيفزع صارخا الي غير ذلك من عوارض هذا المرض وأما الثانى فثابت بنص الكتاب الكريم قال الله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس فقد وصف تعالى آكلى الربا يوم القيامة عند قيامهم من قبورهم بالخبل كمن صرعهم الجن فى الدنيا وخبلهم ليكون ذلك علامة على ان هؤلاء كانوا من آكلي الربا فى حياتهم الدنيا واذا انت ادركت معنى المس وحللت صرع الجن للانسان وجدت انه يدخل فى بعض الاجسام المصروعة على بعض كيفيات ريح متعفن تعلقت به روح خبيثة تناسبه فيحدث الجنون على اتم وجه وربما استولى ذلك البخار علي الحواس وعطلها واستأصلت تلك الروح الخبيثة بالتصرف فتتكلم وتبطش وتسعى بآلات ذلك الشخص الذى قامت به من غير شعور له بشىء من ذلك وهذا مشاهد محسوس لا ينكره الا كل منكابر

وكان قدماء المصريين يقولون بمس الشيطان من الجن لبنى الانسان ويسمونها بالارواح الخبيثة وكانوا يسلكون فى علاج مرضاهم طرقا متنوعة لا تخرج عن العلم الروحاني والرياضة مراعين فى ذلك أمزجة المريض فمرة يلجأون الى الرياضة وأخرى يستعينون بالرقية والتعاويذ وحينا يتوسلون

بعلماء النفس ولكن اكثر ما كانوا يداوون به المريض سماعه الموسيقى فقد ورد فى كتب التاريخ القديم ان هرمس الهرامسة المعروف فى التاريخ بهرمس الاول اخترع لهم آلة موسيقية على هيئة المعزف الآن (العود) وركب بها ثلاثة أوتار لترويض الجسد والروح، ومن المأثور عنهم فى التعاويذ قولهم أيها الشيطان الساكن فى جوف فلان أنت الذى أبوك يدعى ضارب الرؤوس الملعون الاسم الى يوم الدين. فتبين بما قلناه ان مرض الزار قديم وله اصل ثابت ولا معنى لتقييده باسم الزار حيث انه دائر بين الامراض العصبية من جهة تأثيره فى الاعصاب وبين مس الجن من جهة تخبط الشخص فى اموره وعدم انتظامه فى احواله، فايهما ظهر تأثيره فى الانسان سمي باسمه وعولج بدوائه

انما قيام بعض الناس الآن بحفلاته على هيئتها المستقبحة وطريقتها المسترذلة التى ندت عن حد الاعتدال فافسدت الاخلاق واهلكت المالية وأقلقت راحة الجمهور بل وصدعت نفس المريض بضرب الطبول المزعجة والاصوات المقرعة بواسطة من تدعى بشيخة الزار وتضليلها الايقاع بعض سذج النساء فى حبائله نظرا لفائدتها حتى جعلت بعضهن يقلدن البعض رغبة فى زخارفه ونزعة الى افراحه وأى امرأة لا تود ان تكون عروسا تزف عند طالبها فى ليلة لم تر مثلها حتى فى عرسها الحقيقى، كل هذا قضى بان احدا لا يكاد يصدق بوجود حقيقة هذا المرض، فلو ان حفلاته نظمت قصدا لرياضة المريض فى جو هادىء روعيت فيه الآداب العامة والمغانى المهذبة وحسن المناظر الطبيعية لصلح ذلك علاجا لنفس المريض

الموسيقى واثرها فى النفوس

فن الموسيقى من العلوم الرياضية واصلها كلمة يونانية معناها علم النغمات والالحان . وأول من افرد لها بابا سماه كتاب اللحون الثمانية بطليموس الفيلسوف القديم. وموضوعه. الصوت (١) المشتمل على نغمات ٢) والحان مرتبة ترتيبا موزونا :وقد أثبت التاريخ انفلاسفة اليونان اخذوه عن قدماء المصريين وتفننوا فيه حتى بلغ عندهم مبلغا ساميا فأخذه الفرس عنهم وانتشر بينهم وبين الروم الى ان جاء الاسلام وفتح بلاد فارس والروم واختلط بهم المسلمون فاخذوا عنهم فن الموسيقى مع ما أخذوه من العلوم الرياضية ٣) والفلسفية ووضعوا على قواعده الغناء العربى

ومعلوم أن الروح تتغذى بالمعانى كما يتغذى الجسم بالمادة فهى تتروح بالطرب وترتاح بسماع النغمات والالحان وتنزع الي مشاهدة بديع الجمال تذكرا لما

---

(١) الصوت بقيد هذا التعريف سبع درجات او مقامات الواحدة تعلو الاخرى علوا غير متساو ، مجموعها يسمي ديواناًاو سلما وهو يبتدىء بنغمة الراست وينتهى بالاوج، وكل ديوان جواب لما قبله وقرار لما بعده وصوت الجواب اعلى من صوت القرار غير انه ارق منه (٢) النغمات جمع نغمة وهى الصوت المترنم به: والالحان جمع لحن وهو ما ركب من نغمات ورتب ترتيبا موزونا (٣) العلوم الرياضية . هى الباحثة عما تجرد عن المادة فى الذهن خاصة وهى اربعة علم الهندسة . علم الهيئة والنجوم . علم العدد والحساب . علم الموسيقى وهو خمسة اقسام. معرفة النقرات على الآلات. صناعة الايقاع . معرفة تصليح نغمات الآلات . بيان ما بين المقامات من النسب. علم التلحين

سمعته فى عالم الذر من لذيذ الخطاب وربما تصفو بالسماع من أكدارها وتخلص به من شوائبها فتتصل بعالمها الاعلى. فمتى أخذت الروح قسطها الوافر من السماع واستلذه القلب واطمأنت له النفس سكنت اليه الجوارح لانه غير معقول فى حالة ارتياح النفس الى السماع وتغذيها منه تشعر الاعضاء بتألم

فالبدن يشبه مدينة سلطانها النفس ووزيرها العقل ومركزها القلب ومحيطها الدماغ وجندها القوى وابوابها الحواس. وبتحرك الطبائع الغريزية توجد الحركة والنشاط والفرح إذ أن سماع الالحان بصوت حسن يحرك قوة النفس فتنبعث فى مطلوباتها مستخدمة العقل فى استحثاث الحواس على تحصيل مدركاتها فتتوجه الى دركها، وكل من وجدت مطلوباتها رجعت الى النفس بالمراد فيتم مطلوبها ومن فقدته رجعت بالعكس فينقص من السرور فى النفس بقدر هذا المفقود. لهذا كان للسماع أثر فى ذهاب الحزن وتخفيف آلام المرضى وصفاء الروح

ومن نظر فى كتابة ارسطو اليوناني فى الموسيقى وابى على الفارابى(١) بعده وجد ترتيب الالحان موضوعا على وفق الامراض والابدان وتحرير النسب الفلكية فى النغم والاصوات حسب الطبائع الاربع حتى أن أبا على الفارابي نظر فى وضع أوتار المعزف الى الاخلاط الاربع فرتبها على نسبها فكان استواء العود بهذه الاوتار الاربعة كاستواء الجسد باخلاطه، واستمر على ذلك مدة إلى أن جاء زرياب مولى أمير المؤمنين المهدى العباسى وكان تلميذ الاسحاق الموصلي فنبغ فى الموسيقى نبوغا تفوق به على استاذه ورأي

---

(١) الفارابى نسبة إلى فاراب وهى ناحية وراء نهر سيحون

زيادة وتر خامس وضعه بين الاربعة معللا ذلك بأن الطبائع الاربع كائنة تحت تاثير النفس فقام هذا الوتر الخامس مقام النفس فى الجسد . كذلك تجد بقية أنواع آلات الموسيقى موضوعة بنسبة هذا الترتيب الطبيعى

فالسماع بقانونه الموسيقى وترتيبه الطبيعى يفيد المنافع البدنية كتنقية الاخلاط بالتنفيذ للدم والتقطيع للبلغم والاسهال للسوداء والادرار للصفراء والهضم والتصفية كما أنه يفيد المنافع النفسية كالخفة والنشاط والفرح والسرور والشجاعة والكرم واللطف والانس ففى السماع نفع عظيم للبدن وتعديل للمزاج فهو العلاج الفذ وأى علاج بعده وهو يرطب الادمغة الناشفة وينعش القلوب القاسية ويخفف الآلام المزمنة ويبعث الافكار النيرة فى النفوس الخاملة ويرزن العقول ويجلو الكروب لانه جالب الفرح ومذهب الترح . فهو غذاء الروح ومنقيها من شوائب الاكدار

فالسماع لم تستغن عنه أمة من الامم ولم يجحده إلا كل غليظ الطباع فاقد الشعور عديم الذوق والاحساس

ورد أن دواد عليه الصلاة السلام لحسن صوته فى ترتيله الزابور كان يهرع اليه كل من سمعه من الانس والجن والوحوش والطير حتى اذا انتهى وجد أغلب القوم سكارى من استلذاذ السماع . وورد أن رسول الله سيدنا محمد صلعم استلذ صوت عبد الله بن مسعود واستقرأه فقرأ سورة النساء وسمع صلعم أبا موسى الاشعرى يقرأ وكان يماثل عبد الله بن مسعود فى حسن الصوت فقال لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير داود . وقد جعل الله الصوت موضع عناية فقال فى كتابه «يزيد فى الخلق ما يشاء» أى الصوت يزيد فى حسنه ما يشاء . وورد انه يوم القيامة بعد دخول المؤمنين الجنة

يكون أعظم نعمة عليهم وأكبر تحية لهم يحيون بها هى ان يتجلى الله عليهم بصفة الجمال فيسمعهم بصوته صورة الرحمن أو الانعام على خلاف فى ذلك فلا يتمالكون أنفسهم عندئذ من لذة السماع

وقد ذم الله تعالي الصوت القبيح فقال « ان انكر الاصوات لصوت الحمير » وقد جزم صاحب البدائع من الحنفية بان سماع الالحان يرقق القلب وكلام صاحب الذخيرة أيضا يقتضي ذلك، سئل الجنيد رضى الله عنه مابال الانسان يكون هادئا فاذا سمع الصوت الجميل تحركت اشجانه فقال ان الله تعالى لما خاطب الذر فى الميثاق بقوله « الست[1] بربكم » استفرغت عذوبة سماع الكلام الارواح فاذا سمعوا حركهم ذلك، وقيل للحسن ماتقول فى الغناء قال نعم الشيء الغناء يوصل به الرحم وينفس المكروب ويفعل المعروف . وقال الشيخ محي الدين بن العربى فى كتابه شجون المشجون اذا كان ذكر الله بنغمة لذيذة فله فى النفس أثر كما للصورة الحسنة فى النظر وقال ابن قتيبة فى كتاب الرخصة . دخل معاوية ابن أبي سفيان على عبدالله بن جعفر يعوده فى مرضه فوجد عنده جارية فى حجرها عود فقال ما هذا ياابن جعفر قال هذه جارية رويها رقيق

---

(١) ذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره مثل الذر واعطاهم العقل وأخذ عليهم الميثاق انه ربهم بقوله الست بربكم فاجابوه ببلى، قالوا وهى الفطرة التى فطر الناس عليها وقال المحققون منهم هذا من باب التمثيل ومعني ذلك ان الله أقام من البراهين الساطعة والادلة القاطعة على ربوبيته ووحدانيته مالو نظر فيه العقل لشهد به فكأن الله قال لهم الست بربكم وكأنهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا بذلك

الشعر فنزيده حسنا قال فلتقل فحركت العود وغنت قوله

اليس عندك شكر للتي جعلت
ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم (١)
وجدد منك ماقد كان (٢) اخلقه
طول الزمان (٣) وصرف الدهر والقدم

فحرك معاوية رجله فقال عبد الله لم حركت رجلك فقال له ان الكريم لطروب . وثبت أن قدماء المصريين كانوا يداوون بالموسيقى مرضاهم ، وملوك الفرس تعلل بها المريض وتلهى المحزون وتشغله عن التفكر وقال افلاطون من حزن فليستمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمد نورها واذا سمعت مايطربها ويسرها اشتعل منها ماخمد

وجملة القول انسماع الالحان والاصوات الحسنة بقيد خلوها من المحرمات . أنس لاهل التقوي ورياضة للنفوس الزكية وطريق لخلوصها وصفائها . فهي غذاء الارواح وطب الاجساد

والسماع يختلف من حيث اللحون والاغانى وأوقات تأثيراتها على السامعين فان لكل طائفة نغمة تؤثر عليها فى وقت مخصوص بالنسبة للكواكب السبعة السيارة . فيحسن بالمغنى اذا أراد ادخال السرور على السامعين أو تخفيف الم عن مريض انيتحرى المناسب له من النغمات ويراعى أوقات تاثيرها، كمعرفته مثلا ان الساعة الرابعة من ليلة الاحد لكوكب المشترى ويوافقها من الانغام العشاق وان هذه النغمة لها

---

(١) حمم . جمع حممة وزن رطبة وهى ما احرق من حطب ونحوه وصار اسود
(٢) اخلقه ابلاه أى صيره باليا (٣) صرف الدهر حادثه وجمعه صروف مثل فلس وفلوس

تأثير عظيم فى نفوس العلماء ورجال الدين وهكذا باقى الساعات من كل يوم وليلة، وتسهيلا لذلك وضعنا جدولا فيه بيان الانغام والكواكب والاوقات التى تؤثر فيها على السامعين . كمااستخرجهاهل هذا الفن

جدول معرفة ماللساعات من الكواكب السيارة فى الليل والنهار

ساعات النهار	احد	اثنين	ثلثاء	اربعاء	خميس	جمعه	سبت
١	شمس	قمر	مريخ	عطارد	مشترى	زهرة	زحل
٢	زهرة	زحل	شمس	قمر	مريخ	عطارد	مشترى
٣	عطارد	مشتري	زهره	زحل	شمس	قمر	مريخ
٤	قمر	مريخ	عطارد	مشتري	زهرة	زحل	شمس
٥	زحل	شمس	قمر	مريخ	عطارد	مشتري	زهرة
٦	مشترى	زهرة	زحل	شمس	قمر	مريخ	عطارد
٧	مريخ	عطارد	مشترى	زهرة	زحل	شمس	قمر
٨	شمس	قمر	مريخ	عطارد	مشترى	زهره	زحل
٩	زهرة	زحل	شمس	قمر	مريخ	عطارد	مشتري
١٠	عطارد	مشترى	زهرة	زحل	شمس	قمر	مريخ
١١	قمر	مريخ	عطارد	مشتري	زهرة	زحل	شمس
١٢	زحل	شمس	قمر	مريخ	عطارد	مشترى	زهره
ساعات الليل	خميس	جمعه	سبت	احد	اثنين	ثلثاء	اربعاء

ادخل بالساعات الزمانيه طولا تحت اسم اليوم من اعلى أو اسم الليلة من أسفل عرضا تجد ماللساعة من الكواكب السبعة السيارة

جدول معرفة أوقات تأثير النغمات على الاشخاص

اسماء الكواكب	النصفان الاولان من اليل والنهار	النصفان الآخران من الليل والنهار	الاشخاص الذين تؤثر عليهم النغمات
شمس	رهاوى	بياتى	الملوك والكاملون
زهره	حسينى	اصفهان	المرد والنساء
عطارد	راست	نوا	الكتبة وأرباب الاقلام
قمر	سيكا	شورك	الوزراء والعمال
زحل	جهار كاه	جهار كاه وصبا	التجار والمشتغلون بالدنيا
مشترى	عشاق	صبا	العلماء ورجال الدين
مريخ	حجاز	عجم	رجال الحرب والخداع

ادخل تحت اسماء الكواكب بكوكب الساعة فاذا كان الوقت من الشروق الي الظهر أو من الغروب الى نصف الليل فانظر مابازاء الكوكب من النغمات تحت النصف الاول : وان كان الوقت من الظهر الى الغروب أو من نصف الليل الى الشروق فانظر بازاء الكوكب من النغمات تحت النصف الثانى وتجد بازاء النغمات الاشخاص الذين تؤثر عليهم هذه النغمات والله أعلم

امية الرسول صلعم والشريعة والعرب

بعث الله رسوله سيدنا محمدا صلعم أميا (١) لا يكتب الخط ولا يقرأه قال تعالى « فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون» فجاءهم مع اميته بكتاب نظمه بديع واسلوبه حكيم فى أعلى طبقات البلاغة ليكون ذلك أدعى الى اعجازهم وبرهانا على كذبهم فى قولهم انه حفظه أو كتبه من زبر الاولين (٢) قال تعالى (وقال الذين كفروا ان هذا الا إفك (٣) افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير (٤) الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما) فجعله الله اميا لا يقرأ من كتب الاقدمين ولا خط كتابا بيده نقلا عن كتبهم اذ لو كان ذلك لارتاب أهل الكتاب وقالوا الذى نجد نعته فى كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ بخلافه ، أو لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده من كتب الاقدمين قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون »

وقد اقتضت حكمة الله تعالى الالهية ان تكون شريعته صلعم على ما هو معهود للعرب ومألوف فيما بينهم وهذا هو المراد من كونها أمية « قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته » وقال صلعم

---

(١) امى . منسوب الي الام لأنه لم يتعلم قراءة ولاكتابة بل بقى على اصل خلقته التى ولد عليها فنسب الى الام لذلك .٢. زبر الاولين . كتبهم .٣. الافك. الكذب .٤. اساطير . جمع اسطار واسطورة كاحدوثة : واساطير الاولين احاديثهم

بعثت الى امة أمية وقد فسر النبى صلعم الامية بقوله « نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا » مشيراً باصابع يديه ثلاث مرات، فوضعت الشريعة الاسلامية على وصف الامية لان أهلها كذلك وكان العرب اميين لانه لم يكن لهم علم بعلوم الاقدمين

ومعلوم أن الرسول صلعم بعث الى العرب خصوصا والى جميع العالم عموما فناسب أن تكون شريعته على حالة تناسب ما عليه العرب من الامية والا فلا يتحقق الغرض من انزالها وهو هداية الناس بها لانها متى خرجت عن المألوف لهم لم يذعنوا بها فلا توجد هدايتهم . وقد تحقق الغرض منها واهتدى بها الناس وآمنوا فتحقق ورودها مناسبا لما الفه العرب وعهدوه فكانت امية لقوم اميين . ثم ان القرآن وهو أصل للشريعة لو لم يكن منزلا على حال يتناسب واميتهم لذهب الاعجاز به ولما قامت الحجة عليهم اذ ان لهم ان يقولوا للرسول صلعم لم يسبق لنا عهد بمثله قال تعالى « ولو جعلناه قرآنا أعجميا (١) لقالوا لولا فصلت آياته» فجعل الحجة من قبلهم على فرض كونه اعجميا لكنهم اذعنوا لظهور الحجة عليهم فدل هذا على معرفتهم به وعهدهم بمثله مع عجزهم عن اتيانهم بنحوه فثبت ان الشريعة نزلت على قوم اميين

يؤيد هذا أن الامور التى وقع بها التكليف اعتقادية كانت أو عملية روعى فيها امكان تعقل الامى لها وسهولة تصورها علي عقله حتى اشترك

---

(١) الاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء اكان من العجم ام من العرب والعجمى هو المنسوب الى امة العجم فصيحا كان أو غير فصيح

فى فهمها الجمهور لذلك لم تبن الشريعة من الامور الالهية الا ما امكن للعقول دركه وسهل على العامة فهمه فعرفتنا الله بافعاله وصفاته وامرتنا بالنظر فى مخلوقاته وسكتت عما لا تهتدى اليه العقول من كنه الذات وحقيقة الصفات وأحالت أربابها فيما يقع فيه الاشتباه علي قاعدة عامة هى قوله تعالى (ليس كمثله شىء) هذا بالنسبة لمراعاة الامية فى الاعتقادية، اما مراعاتها فى العملية فقد اناط الشارع الاعمال باسباب محسوسة للجميع مشاهدة لهم فعرف وقت صلاة الصبح بطلوع الفجر ووقت الظهر بزوال الشمس ووقت العصر ببلوغ ظل الشيء مثله ووقت العشاء بمغيب الشفق . وعرف وقت الصوم بطلوع الهلال فقال صلعم (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين يوما) وجعل الحج فى زمن محدود وموسم معلوم واكتفى من المكلفين بالتقريب عن التحقق واليقين فاجرى غلبة الظن مجرى العلم وعذر الجاهل وعفا عن الخطأ الى غير ذلك مما يدل على مراعاة حال الاميين فى التشريع

ارسال الرسل ومعجزاتهم

اقتضت حكمة الله تعالى ان يرسل للأمم رسلا اختارهم أمناء بلسان قومهم ليبينوا للناس ما نزل اليهم من الاحكام التى كفلت مصالحهم معاشا ومعادا فيدرك ذوو العقول اسرارها ومعانيها وينكشف لهم الغطاء عما قصرت فيه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة حتى يعذرهم بجهالتهم « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »

وأيدهم بالمعجزات (١) الناقضات للعادات فيتحدوا (٢) بها المنكرين لرسالتهم ويباروهم في فعلهم فيتبين صدقهم بما ظهر من عجز من كان منكرا لرسالتهم فيحصل الجزم غالبا بصدقهم عقيب ظهور المعجزة فيؤمنوا بهم وقد ختم الله الرسالة بالنبي محمد صلعم وايده بالمعجزات الباهرة الدالة على صدقه في دعواه الرسالة

ولما كانت المعجزات تتنوع (الى حسية) تشاهد بالابصار كعصا موسى عليه السلام . وخلق الطير من الطين لعيسى والناقة لصالح (والى معنوية) تدرك بالبصيرة للازكياء كمعجزة القرآن لهذا كانت معجزة الرسول محمد صلعم لامته عقلية لفرط زكائهم وكمال افهامهم . ولكون الشريعة الاسلامية باقية الي يوم القيامه محفوظة بعناية الله . خصت بالمعجزات العقليه ليراها ذوو البصائر لان ما يشاهد بعين العقل يكون أدعى للبقاء اذ يشاهد دائما لكل من يجيء مستمرا بخلاف ما يشاهد بعين الرأس فانه ينتهي بانتهاء المشهود

وقد جعل الله تعالي معجزات الانبياء من جنس ما هو معروف عندهم ومألوف لهم خارقا لعاداتهم ليكون ذلك ادعي للتحدى واقامة الحجة على من انكر ، من اجل ذلك جعلت معجزة الرسول محمد صلعم . القرآن . لارتفاع شأن البلاغة بين العرب فاعجز بلغاءهم وأخرس مصاقع (٣) خطبائهم

---

(١) المعجزات جمع معجزة وهي الامر الذي يظهر بخلاف العادة على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجزهم عن الاتيان بمثله (٢) التحدي طلب المعارضة والمنازعة في الغلبة يقال تحدى فلان فلانا إذا باراه في فعل ونازعه الغلبة (٣) مصاقع جمع مصقع بكسر الميم هو البليغ من الخطباء

وجعلت معجزة عيسى إحياء الموتى وابراء الاكمه (١) والابرص (٢) بأذن الله لانتشار الطب عندهم. وجعلت معجزة موسى العصا (٣) ويده البيضاء (٤) لانتشار السحر بينهم

جهة إعجاز القرآن

الجمهور على ان الاعجاز كان باسلوبه الحكيم الذى تجاوز نهاية ماوصل اليه العرب من حسن الاسلوب ونظمه البديع حتى فاق جميع وجوه نظمهم المعتاد . وصحة معانيه وتوالى فصاحة الفاظه وبلاغة كلامه مستمرة فى جميعه استمرار لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه احد من البشر ذلك لان الله أحاط علمه بترتيب الفاظه من كل لفظة تصح أن تلى الاولي

---

(١) الاكمه هو من ولد اعمى (٢) الابرص هو من وجد في بعض جسمه شدة بياض تغاير لون جسمه. يقال برص الجسم برصا من باب تعب فالذكر ابرص والانثي برصاء والجمع برص مثل احمر وحمراء وحمر (٣) عصا موسى قيل كانت من شجرة الآس وعندما سحر آل فرعون عصيهم وحبالهم حيات تسعى وكانت سبعين الف حبل ومثلها من العصى «قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا احبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون» فانقلبت حية عظيمة تمشى بسرعة فاتحة فاها وكان يقرب اتساعه من اربعين ذراعا فابتلعت جميع ماصنع آل فرعون من السحرة حتى كانت تبتلع ما يعترضها من الشجر والصخر «فالقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون»
(٤) بيضاء . ناصعة لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر من غير ان يشتد هذا البياض برصا فكانت آية اخرى بعد العصا

منها وتبين المعنى بعد المعنى من أول القرآن الي آخره

لذلك جاء نظم القرآن فى الغاية القصوي من الفصاحة بخلاف كلام البشر فلا تستمر الفصاحة والبلاغة فى جميعه فى العالى منه الا فى الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الانسانية من النسيان والجهل والذهول وعروض الافكار فينقطع رونق الكلام وفصاحته لعدم احاطة علمهم بجميع انحاء اللغة العربية واوضاعها التى هى ظروف المعانى فلا تدرك افهامهم جميع معاني الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه المنظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فانت لا ترى نظما أحسن تأليفا وأروع تلاوة وتشا كلا من نظم القرآن

أما معانيه. فقد تضمن أصح المعانى من توحيد الله وتنزيهه فى صفاته ودعائه الى طاعته وبيان طرق عبادته من تحليل وتحريم وحظر واباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وارشاد الي محاسن الاخلاق وزجر عن مساويها واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولي منه ولا يتوهم فى صورة العقل اليق به منه . أودع أخبار القرون الماضية ونبأ عن الكوائن المستقبلة فى الازمان الآتية . جمع بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم مادعا اليه وأظهر لوجوه ماامر به ونهى عنه

فالاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين أشتاتها حتى تنظم وتنسق احسن تنظيم واجمل تنسيق . امر يعجز عنه اقوى البشر وتضعف قدرته عن الاتيان بمثله ، من أجل هذا كله كان القرآن معجزا لفظا ومعنى وكيف لا

وقد دعا أهل البلاغة والخطابة ممن حازوا قصب السبق فى كل واد من المعانى (١) بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن فعجزهم عن الاتيان بمثله وكذبهم فى قولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) قال تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهـم لبعض ظهيرا » ولعجزهم عن الاتيان بمثله قالوا ماهذا الا مفتري من الرسـول فأرخى معهم العنان وقال لهم « فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » ولما ضاقت علومهم من البلاغة والفصاحة وما وسعها عشر سور تنزل معهم بعد ظهور هذا الضعف تزذيلا لهم وتبكيتا وتحداهم باصغر سورة فقال لهم (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) ولما سجل عليهم العجز وانقطعت بهم سبل المعارضة بعد أن وضحت لهم الجهات التى يتعرفون منهـا صدق الرسول صلعم كانه قال لهم اذا بان عجزكم وانقطعت معارضتكم ولزمكم التصديق به فآمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل عليه وخافوا عذابا اليما اعد لمن عاند وانكر

الى هنا انقطع عذرهم وزالت شبهتهم وما منعهم عن التصديق والايمان به الاعنادهم ومكابرتهم لاتباع اهوائهم وتمسكهم بحمية الجاهلية خوفا من العـار

---

١ سلاطة اللسان حدته وفصاحته يقال رجل سليط أى فصيح حديد اللسان

هجرة الرسول صلعم ودواعيها

لما وجد صلعم أهل قريش يحولون بينه وبين تأدية الرسالة لتسلط الانفة والكبرياء على قلوبهم وقد أراد الله إظهار دينه على يد غيرهم من العرب خرج فى مواسم العرب يعرض نفسه على القبائل رجاء أن يلاقى منهم معينا له على تأدية الرسالة وتبليغها فما لاقى منهم غير التعنيف والايذاء المستمر له ولمن تبعه من المسلمين وقبل الهجرة بسنة قدم نفر من الانصار الى حج البيت بمكة وكانوا نحو ثلاث وسبعين رجلا فبايعوا الرسول صلعم سرا خشية كفار مكة ، ولما انتشر نبأ المبايعة اشتد أذى المشركين له ولمن معه فامر صلعم جميع المسلمين بالهجرة بامر من الله الى المدينة فهاجروا واحدا بعد واحد . . أما الرسول صلعم فاتفقت قريش على قتله واهدار دمه .

وذلك بان يحضروا من كل قبيلة شابا ويجتمع الكل أمام داره فاذا هو خرج ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى جميع القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف عندئذ على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية وابى الله الا أن يحفظ رسوله ولو كره المشركون فتوجه الرسول صلعم الى صديقه أبي بكر الصديق وأحاطه علما بأذن الله له فى الهجرة فوافقه الصديق عليها وفارقه الرسول صلعم بعد أن وعده بالمقابلة ليلا خارج مكة ، وتوافق ان كانت هذه الليلة هى التى استعدت فيها قريش على قتله صلعم فاجتمع كفار مكة حول بيت الرسول صلعم وهو فى داخله فلما حانت ساعة

الخروج قال لعلي بن عمه بت مكاني حتي يفهموا انى موجود بالبيت وسجاه ببردة وخرج يقرأ « وجلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فلم يره أحد وسار صلعم حتى لقى صديقه فسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا فيه

ولما قام المشركون من نومهم ولم يجدوا الا عليا بن أبى طالب كادوا يتميزون من الغيظ واخذوا يجدون فى طلبه فارسلوا القصاصين فى كل جهة وعملوا جوائز ثمينة لمن يهتدى الى محمد صلعم فاستمر فريق فى قص الاثر الى ان انتهى به الى الغار ولكن نسج العنكبوت على بابه واتخاذ الحمام عشا فيه صرف نظارهم عن دخوله، وابو بكر ينظر اليهم من داخله ويبكي خوفا على رسول الله صلعم وهو يقول له « لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته على رسوله » واعمي أبصار المشركين عنه وعن صديقه وقد اقاما فيه ثلاث ليال

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم

ولما يئس القوم ورجعوا خرج رسول الله صلعم وابو بكر معه يسيران الي قباء فنزلا فى بنى عمرو ابن عوف فى اليوم الثاني من شهر ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م وأقام رسول الله صلعم بقباء ليالى اسس فيها مسجدا قال الله فيه « لمسجد أسس على التقوي من أول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين »

وقد هرع اليه الانصار صغيرا وكبيرا رجالا ونساء مستبشرين به

فرحين فتوجه معهم والانصار محدقون به متقلدين سيوفهم والكل يسيرون وراء رسول الله صلعم مابين ماش وراكب يرتجى كل واحد منهم ان يكون صلعم نزيله وفى مقدمتهم الفتيات والنساء يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

وقد ادركته صلعم صلاة الجمعة فنزل وصلاها فى بنى سالم بن عوف فكانت اول جمعة واول خطبة له صلعم بعد ان حمد الله واثنى عليه قال « اما بعد ايها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه الم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينا وشمالا فلا يري شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزىء الحسنة عشرة امثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

ثم ركب رسول الله صلعم لم يمر على دار الا تضرع أهلها لنزوله عندهم واخذوا بزمام ناقته وهو يقول دعوها فانها مامورة حتى اتت بفناء بنى عدي بن النجار وهم اخواله الذين تزوج منهم جده هاشم فبركت محل مسجده الشريف الآن فقال صلعم هاهنا المنزل انشاء الله « رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين »

مشروعية القتال

تبين مما تقدم أن رسول الله صلعم قبل الهجرة كان يدعو الى الاسلام بالحسنى وزيادة سالكا التبشير والانذار والتحدى بالمعجزة عند مقتضياتها وما قاتل احدا ليدخل فى دين الله مع ماكان يلاقيه من اذى المشركين قولا وفعلا فكان صلعم يقول « رب اهد قومى فانهم لا يعلمون كما علمنا » حتى كان ماكان من امر عدائهم له وللمسلمين وازدرائهم لهم واخراجهم من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله وتآمرهم على قتله صلعم ، فاذن الله للرسول وقومه بالقتال مع قريش دون سائر العرب ، ولما تمالأ غير اهل مكة من مشركى العرب على المسلمين اذن الله لهم بقتال جميع المشركين قال تعالى « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » فحملهم على حظهم بالسيف فنشبت الحروب بينه وبينهم والله يؤده بنصر من عنده حتى عم الاسلام انحاء الارض بفضل جهاده صلعم

الشعر وحكمة نفيه عنه صلعم

الشعر هو ماتركب من الكلام تركبا متعاضدا وكان مقفى موزونا مقصودا به ذلك فان خلا من هذه القيود او من بعضها لا يسمى شعرا ولا يقال لصاحبه شاعر وقد نفاه الله عن النبى صلعم قال تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين : وما هو بقول شاعر » ذلك لان الذين كفروا بالله ولم يؤمنوا برسوله قالوا انه صلعم شاعر جاءهم بكلام من عنده فرد الله عليهم بانه ماعلم الرسول صلى الله عليه وسلم

الشعر ولا قول الشعراء الذين يهيمون فى كل فن من الكذب مدحا وهجاء فيفضلون اجبن مخلوق على عنترة وابخل انسان على حاتم وما كان لرسول اختاره الله لتاقى الاحكام السماوية وتبليغها للناس ان يتصف بالشعر، ولو اراد قرضه ماسهلنا له طريقه ،فمنعناه من الشعر كما جعلناه اميا لتكون الحجة اقطع والشبهة ادحض. وليس ماتزعمونه شعرا سوى ذكر من عند الله توعظون به وكتاب سماوي تعملون باحكامه وتتعبدون بتلاوته

وما ورد من كتاب الله تعالى اومن كلام الرسول صلعم موزونا فليس بشعر لعدم قصد الوزن فيه او لنفى التقفية كتضمين ابى نواس آية لن تنال البر فى قوله

خط فى الارداف سطر   فى عروض الشعر موزون
لن تنال البـــر حتى   تنفقوا مما تحبـون

فان الآية جاءت على وزن مجزو (١) الرمل المسبغ وكقوله صلعم

هل أنت الا اصبع دميت   وفى سبيل الله مالقيت

---

(١) الرمل . اسم بحر من بحور اوزان الشعر اجزاؤه فاعلاتن ست مرات والبحور خمسة عشر على رأى الخليل وستة عشر على رأى الاخفش . ومعنى مجذو الرمل انه محذوف الجزء الاخير من نصف البيت الاول المسمى بالعروض مع حذف الجزء الاخير من النصف الثانى المسمي بالضرب . والتسبيغ هو زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف فيصير فاعلاتن فاعلاتان

فانه على وزن (١) الرجز المقطوع . كذلك مايجري على السنة بعض الناس موزونا من غير قصد لا يسمى شعرا .

تفضيل حضرة الرسول محمد صلعم

على جميع الخلق

الرسل وان استووا فى الرسالة وتبليغ الاحكام عن ربهم فقد فضل الله بعضهم على بعض ورفعه درجات بخصائص وفضائل امتاز بها قال الله تعالى « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض .» والله تعالى فضل سيدنا محمدا صلعم على جميع الانبياء والمرسلين لميزات خصت به : منها انه تعالى ارسله للخلق كافة من انس وجن بخلاف غيره فارسل لامة مخصوصة . وانه بعث رحمة للعالمين

فاكرم الله امته بعدم انزال العذاب عليهم في الدنيا مادام فيهم او يستغفرون قال تعالى « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم. وما كان الله

---

(١) الرجز . اسم لبحر ايضا . اجزاؤه مستفعلن ست مرات . والقطع هو حذف ساكن الوتد المجموع واسكان ما قبله فيصير مستفعلن مستفعل باسكان اللام والسبب الخفيف عبارة عن متحرك بعده ساكن مثل (ان) فى مستفعلن . والوتد المجموع عبارة عن حرفين متحركين بعدها ساكن مثل (علا) في فاعلاتن

وكيفية وزن بيت الشعر على اجزاء البحر . ان تقابل الحرف المتحرك بالمتحرك والساكن بالساكن . والحرف المشدد معتبر بحرفين اولها ساكن . والتنوين بحرف ساكن

معذبهم وهم يستغفرون » بخلاف غيره من الانبياء فاهلك الله اممهم في وجودهم : وانه صلعم كان اكثر الانبياء معجزة ولاسيما القرآن فهو اكبر معجزة باقية تدرك بعين البصيرة بخلاف معجزات غيره فانها تنتهى بانتهاء مشاهدها لادراكها بالبصر .

وانه اختص صلعم يوم القيامه بالشفاعة العظمى وهى التوسط بين الله وبين الناس فى فصل القضاء يوم لايستطيع اي نبى غيره ان يتقدم الي ذلك قال الله تعالى « عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » أي يقيمك مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون هو مقام الشفاعة فى فصل القضاء

ومن أعظم خصائصه صلعم الاسراء قال تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلامن المسجد الحرام الىالمسجد الاقصى الذيباركناحوله لنريهمن آياتنا » ثم عروجه الىالسماء ورؤيته عجائب الملكوت ولاسيماجبريل على صورته التى خلق عليها له ستمائة جناح وكان كذبه الكفار فيها« قال تعالى ردا عليهم «افتمارونه على مايرى ولقد رآه نزلة أخري عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة مايغشى مازاغ البصر وما طغى لقد رأىمن آيات ربه الكبرى »

وقوله تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » واضح فى تفضيله صلعمعلى جميع الملائكة لانهم من العالمين واذا كان رحمة لهم فهو افضل منهم ولايحتاجذلك الي أى تردد وتفضيله على عموم الانس والجن بطريق الاولى فليعرف ذلك

تفضيل امته صلعم على جميع الامم

قال تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ومعلوم أن لفظ (خير) افعل تفضيل يقتضى المشاركة فى الخير وزيادة فتكون الامة الاسلامية فاقت جميع الامم فى الفضل وهذا التفضل لامور: منها قيامها بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ودوامها علي الايمان بالله كما اخبر الله بذلك . ومنها ان الرسول صلعم ثبتت افضليته علي جميع الانبياء والمرسلين فتكون امته افضل الامم اذ ان التابع يشرف بشرف المتبوع . ومنها ان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة واخبر انه سيستشهدها يوم القيامة على جميع الامم ويرضى شهادتها تكريما لها وتعظيما قال تعالي « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ انبيائهم فيطالب الله الانبياء بالبينة على تبليغهم وهو اعلم فيؤتى بأمة محمد صلعم فيشهدون بالتبليغ فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلعم فيسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وليس وراء هذا تفضيل وتعظيم للرسول وامته، لا يقال كيف تجوز شهادتهم على شيء لم يروه . لان الشهادة تكون بالتسامع فى الاشياء المعروفة كما هو معلوم فى محله على ان هذه شهادة يراد بها التنويه بشأن هذه الامة فى حضرة جميع الامم ليعلموا ذلك علم مشاهدة وحضور

ولعل هذا يكفى القارى الكريم فى مبلغ فضل الامة المحمدية على ماسواها من الامم

فضل القرآن على غيره من سائر الكلام

الكتب السماوية تستوى فى نسبة انها منزلة من عند الله الا ان بعضها يمتاز بخصائص على البعض وقد امتاز القرآن الكريم على غيره من الكتب السماويه باشياء منها ان تلاوته لها تأثير فى النفوس واخذ بمجامع القلوب فآيات الزجر والوعيد تقشعر منها الجلود وتوجل منها القلوب كما ان آيات التبشير والرحمة تلين الجلود والقلوب وقد مدحه الله تعالى من هذه الوجهة وفضله على سائر الحديث قال تعالى « الله (١) نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » . ومنها انه اخبر بتاريخ القرون الماضية ونبأ عن الكوائن المستقبلة فى العصور القادمة وجاء بشريعة هي اكمل الشرائع وايسرها نظمت الانسان فى جميع اموره معاشا ومعادا بدون ارهاق او عسف وصلحت للعمل بها فى جميع الاماكن والازمان .

ونسخت جميع الشرائع الا ما اقرته منها فوجب العمل بها على كل امة ، وجاء

(١) لفظ الجلالة مبتدا او جملة نزل خبره وفى هذا تفخيم لاحسن الحديث واحسن افعل تفضيل ومن هنا كان القرآن افضل الحديث : متشابها . اشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك . ومثانى جمع مثني بمعني مردد ومكرر لما ثنى من قصصه واخباره واحكامه ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها .

فى الاثر ان الله جمع علوم الاولين والاخرين فى الكتب الاربعة وجمع علومها فى القرآن. وورد فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه

وقال ابن حبان فى حديث ابى بن كعب « ماانزل الله فى التواة ولا فى الانجيل مثل ام القرآن ان الله لا يعطى لقارىء التوراة والانجيل من الثواب مثل مايعطى لقاريء (١) ام القرآن اذ الله سبحانه وتعالى بفضله فضل هذه الامة على غيرها من الامم واعطاها من الفضل علي قراءة كلامه اكثر مما اعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه »

الكلام فى ترجمة القرآن

الترجمة هى بيان الكلام والتعبير عنه بلغة غير لغته : يقال ترجم فلان كلام غيره اذا عبر عنه بلغة غير لغة المتكلم . واسم الفاعل منه ترجمان فهي طريق لفهم معانى اللغات ووسيلة لانتشار العلوم والمعارف بين الامم

---

(١) ام القرآن هى الفاتحة وسميت بذلك لما قيل ان المقصود من القرآن كله تقرير أمور اربعة . الألاهيات والمعاد . والنبوات . واثبات القضاء والقدرة لله تعالى

فقوله الحمد لله رب العالمين يدل على الألاهيات وقوله مالك يوم الدين يدل على المعاد . وقوله اياك نعبد واياك نستعين يدل على نفى الجبر وعلى اثبات ان الكل بقضاء الله وقدرته . وقوله اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة يدل على اثبات قضاء الله وعلى النبوات . فلما كان المقصد الاعظم من القرآن هذه المطالب الاربعة وهذه السورة قد اشتملت عليها سميت بام القرآن

والترجمة بخصوص القرآن الكريم أجازها بعض علماء المسلمين بحجة انتشار معالم الدين ومحاسنه بين الاجانب وعموم نفعه . وقد منعها بعضهم خوفا من ان تتغير معانيه بالترجمة : ولتحقيق المقام كي يتبين جواز الترجمة وعدمه نقول . انزل الله القرآن عربيا من جنس لغة العرب لانه صلعم ارسل اليهم خاصة والى الناس عامة قال تعالى «انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» ذلك لئلا يكون لهم حجة في عدم ايمانهم به لانه لو أنزله قرآنا غير عربي لكان لهم ان يقولوا هذا كلام لم يسبق لنا عهد به فلن نؤمن بمثله من أجل هذا قطع الله حجتهم بجعله عربيا قال تعالى «ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته» وبينت كلماته بلساننا حتى نفهمها

فهذا القرآن أنزل بلغتهم ولم تخرج معانيه عن دائرتها . فمن اراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهمه ولا سبيل الى فهمه من غير هذه الجهة . ولقد كان مايستعصى فهمه على بعض الخلفاء الراشدين من آيات الله بعد وفاته صلعم يرجعون فيه الى اللغة العربية . من ذلك ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قرأ على المنبر قوله تعالى «أو يأخذهم على تخوف» وقال للمستمعين ماتقولون فيها فسكتوا الا شيخا من هذيل قال هذه لغتنا يا أمير المؤمنين ، التخوف هو التنقص فقال عمر وهل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم ثم أنشد قوله

تخوف[١] الرحل منها تامكا[٢] قردا[٣] كما تخوف عود النبعة[٤] السفن[٥]

(١) تخوف : تنقص (٢) التامك : سنم الجمل المرتفع (٣) القرد : المتلبد الوبر
(٤) النبعة : شجرة يتخذ منها القسى جمع قوس وهو النبل (٥) السفن : بفتح السين والفاء : الفأس العظيم

قال عمر تمسكوا بديوان شعركم فان فيه تفسير كتابكم ، فالاحكام الشرعية لم تفهم من القرآن الا باعتباره واردا بلسان العرب ، وليس تعدد القراءات فيه الا مجاراة لهم فى لغتهم وموافقة لهم ، لهذا لزم لفهم القرآن اتباع ما هو معهود عند العرب فى لغتهم من المعانى والالفاظ والاساليب

فاللغة العربية من حيث دلالتها على معانيها لها اعتباران

(الاول) دلالتها على المعنى الاصلي باعتبار انها الفاظ مطلقة دالة على تلك المعانى الاصلية فهى من الجهة كسائر اللغات فى تأدية معانيها الاصلية

(الاعتبار الثاني) دلالتها على معان زائدة على معانيها الاصلية باعتبار ان اللفظ مكيف بكفية مخصوصة وعلى حالة معينة يقصد منها معنى ثانوى فهى من هذه الجهة تنفرد بالدلالة عن جميع اللغات الاجنبية

فاذا اريد الاخبار مثلا بصدق زيد من الناس فلاى صاحب لغة ان يخبر بلغته عن ذلك من غير كلفة وسواء فى هذا اللغة العربية وغيرها اما اذا اريد الاخبار بالمعانى الثانوية التى تكون تابعة للاصلية وخادمة لها بما يوجد فى الفاظها من الهيئات وما يكون فى تراكيبها من الاحوال فقد انفردت به تلك اللغة العربية وان ضاقت فى نظر بعض ابنائها المتفرنجين الآن . فمثلا اذا اراد المخبر الاعتناء بمن صدق فى المثال المتقدم يقدمه فى الذكر فيقول فلان صدق لخال الذهن عنه . وفى جواب من شك فى صدقه أو من هو بمنزلته ان فلانا صدق وهكذا يزداد التأكيد بحسب درجة الانكار ، كذلك يتنوع الكلام بحسب الكناية عن المخبر والتصريح باسمه وبحسب تعظيمه وتحقيره وبحسب ما يقتضيه الحال من ايجاز واطناب

وتشبيه واستعارة وتورية واستخدام الى غير ذلك مما يقصد من النكات البلاغية، فترى كل هذه التصرفات وامثالها دائرة حول الاخبار بالصدق ومقيدة لتلك المعاني الزائدة المقصودة على المعنى الاصلي ومتممة لها فظهر من هذا انه لا يمكن ترجمة القرآن بغيره من اللغات الاجنبية مع افادة هذه المعاني التابعة للمعنى الاصلي وذلك لفقر تلك اللغات وعدم وجود ما يعبر به فيها عن تلك المعانى فترجمته بمعانيه الاصلية مع الزائدة المفيدة لنكاته البلاغية لا تتاتى لما سمعته وحفظا للقرآن من التغيير والتبديل ، وما كان اكبر عامل فى تحريف التوراة والانجيل سوى الترجمة التى أورثت الفاظهما ركاكة ومعانيها سخافة .

فانظر قوله تعالى فى القرآن خطابا لموسى عليه الصلاة والسلام « ياموسى انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى » وانظر فعل الترجمة فى التوراة اصحاح ثالث سفر التكوين بخطاب موسى فى هذا المعنى قال «موسى موسى لا تقترب الى ها هنا اخلع حذاءك من رجلك لان الموضع الذى انت واقف عليه ارض مقدسه » تجد فى الاول عذوبة الفاظ وحسن تعبير وجزالة معنى بديع فى أسلوب حكيم بكلام بليغ موجز وفى بالغرض المقصود قصد به خطاب رجل حساس حي بالعلوم والمعارف . كما انك تجد فى الثانى الفاظا مستهجنة تعبر عن معنى خطاب الله لموسى بأطناب ممل قصد منه خطاب من لا يدري ان كان النعل يلبس فى اليد أو فى الرجل وتجد التعبير عن هذا المعنى فى الانجيل مثل هذا فى سفر الاعمال لبولس الرسول وقس على ذلك .

واذا اردت ان تعرف الى أى حد فى الفساد تصل الترجمة بكلام الله فاسمع حكاية فى ذلك . اخبرنا بعض اساتذتنا بمدرسة القضاء الشرعى عن صديق له مستشرق يترجم القرآن فعبر عن معنى قوله تعالى « والعصر ان الانسان لفى خسر » قائلا : الساعة ثلاثة بعد الظهر يكون الانسان بطال : وتفسير القرآن بلغة اجنبية لايصال معناه الى من لا يعرفون العربية ليهتدوا بهدايته ويستنيروا بنوره لاباس به على ان يكون المترجم من التمكن فى اللغة العربية واللغة المترجم بها بحيث لا يتغير المعنى المقصود من كتاب الله بعد جعل الترجمة تحت مراقبة مجمع علمي اسلامى : ان كان هذا فسماحة الاسلام وحرصه على هداية الخلق لا يقفان ابدا فى طريقه فاعرف ذلك

السحر ومقام النبوة

يطلق السحر لغة على صرف الشيء عن حقيقته وعلى اخراج الباطل فى صورة الحق . وفى عرف الشرع مختص بكل امر خفى سببه ورآه الانسان على غير حقيقته . والساحر هو من يصرف الشيء عن حقيقته والمسحور هو من خولط فى عقله وخيل اليه رؤية الشيء على غير حقيقته

ولما كان الرسول محمد صلعم مأمورا بتبليغ الاحكام السماوية للخلق قال تعالى « ياأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ومع هذا كان امينا على اداء الرسالة على حقيقتها قال تعالى « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى :ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم

لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين » وقد علم ان الساحر يصرف الشيء عن حقيقته ويخرج الباطل فى صورة الحق .لهذا لم يجز فى حقه صلعم ان يكون ساحرا وقد قام صلعم اخير قيام بتبليغ الاحكام مؤيدا بنصر الله تعالى غير مبال بتكذيبهم له وتشنيعهم عليه بالسحر وغيره مما برأه الله منه

فقدوصفوا أوامر الله تعالى ونواهيه بالسحر وكفروا بالله ورسوله « ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون » واستمروا فى عنادهم تعنتا منهم بعد ما وضح لهم الحق يرمونه بكل ما هو براء منه، وقد بين الله تعالى من باب التسلية لنبيه صلعم ان هذه سنة الانبياء من قبلك مع من ارسلوا اليهم فلايحزنك عنادهم ومكابرتهم فانهم مصرون على ضلالهم مهما تبين لهم الهدي «ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون(١) لقالوا انما سكرت(٢) ابصارنا بل نحن قوم مسحورون(٣) » فسيؤتي يوم القيامة بمن كذب على الله ووصف الوحى بالسحر ويدفعون بعنف الى نار جهنم ويقال لهم تقريعا وتبكيتا على رؤوس الاشهاد هذه النار تصلونها وتستغيثون من شرها وهى من خبر السماء وقد كذبتموه وقلتم انه سحر: افهى كما كنتم تزعمون فى الدنيا سحر أم انتم عمى عن هذا المخبر عنه كما عميتم عن الخبر فى حياتكم الدنيا«قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا

---

(١) يعرجون . يصعدون (٢) سكرت . سدت يقال سكرت النهر سكرا من باب قتل سددته . والسكر بكسر السين .ما يسد به (٣) مسحورون . يرون الشيء على غير حقيقته

هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها»

وقد رد الله على من كذب بالقرآن ورمى رسوله صلعم بالسحر أو الجنون أو الشعر أو الافتراء فاثبت لهم ان القرآن من عنده نزل به جبريل أمين الوحي بلسان عربي مبين على أفضل الانبياء والمرسلين ليكون من المنذرين وقد اخبرت بذلك الكتب السماوية المنزلة قبله وشهدت بصدقه فالرسول صلعم صادق امين والقرآن حقا يقين وهؤلاء كاذبون

اما كونه صلعم سحر من الغير فخلاف : واكثر العلماء على انه سحر وقد اثر السحر فيه صلعم مستدلين بحديث ورد ان الله اخبر الرسول صلعم بان لبيد بن اعصم اليهودى سحره صلعم فمرض حتى كان يخيل اليه فعل ما لم يفعله وان سورة الفلق نزلت بخصوص ذلك وان النفاثات هن السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى شعرات من شعر رسول الله صلعم وينفثن فيها لتقوية السحر وتأثيره فى المسحور : ومن هنا استدلوا على جواز كون الرسول صلعم سحر

ولكن البعض خالفهم فى جواز ذلك بحجة ان هذا ينافى مركز الرسالة وتبليغ الاحكام ويعارض صريح الايات الدالة على نفيه عنه صلعم وشرحوا السورة بشرح تمشى مع رأيهم وقالوا ان كفار قريش مما شنعوا به على الرسول صلعم لينفروا به بعض الناس عنه قولهم لمن آمن به ماتتبعون الا رجلا خولط فى عقله يلتبس عليه مايقوله او يفعله بسبب كونه مسحورا وقد حكى الله تعالى قولهم بعد ان وصفهم بالظلم فى دعواهم بانه صلعم مسحور قال تعالى « وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا »

فبين الله بهذا انهم ظلموه صلعم بقولهم انه مسحور فدل هذا على انه غير مسحور. وايضا خطاب الله له صلعم تلو هذا بقوله « انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا » معناه انظر يا محمد كيف بينوا لك الاشباه وقالوا فيك اكاذيبهم بانك مسحور خولط فى عقلك وقولهم قبل هذا انك مفتر ومجنون الي آخر ماقالوه . فهؤلاء ظلموك بوصفك بهذه الصفات المفتريات وظلموا انفسهم اذ استوجبوا لها عقاب الله تعالى بما قالوه كذبا وزورا . فهم قد ضلوا عن الحق فلا يجدون اليه طريقا

فتبين من هذا ان الكفار جعلوا كون الرسول صلعم مسحورا من اقوى سندهم فى تكذيبه واعتبروا وصفه بذلك من اقبح عبارات الذم والتشنيع عليه . وان الله تعالى قد اعتبر هذا الوصف مكذوبا عليه وحكم على مدعيه بانه ظالم ضال عن طريق الحق فلا يصح بعد هذا ان يوصف صلعم بشيء جعله الكفار فى منتهى الذم له وحاولوا اثباته فبراه الله منه . وقالوا ايضا دليل العقل يابى كونه صلعم مسحورا لان المسحور عندهم اخو المجنون، وجواز أن الرسول خولط فى عقله يجوز خلطه فى الاحكام وقد عصمه الله من ذلك،

فلا ينبغى أن يضرب صفحا عن صريح الآيات البينات ودليل العقل ويستدل بحديث ورد من طريق الآحاد على فرض صحته لا يقوى دليلا على اثبات العقائد لان عصمة الرسول صلعم مما يؤثر فى عقله عقيدة دينية لا تنفى إلا باليقين وحديث الآحاد يفيد الظن عند من قال بصحته أما كتاب الله فمقطوع به بمتواتر عنه صلعم

وقالوا ان سورة الفلق ثبت فى قول عطاء والحسن وجابر انها نزلت بمكة قبل الهجرة وسحر الرسول على قولهم كان بالمدينة . ولا مانع من ان النفاثات جمع نفاثة صيغة مبالغة كعلامة يستعمل للذكر والانثى وان «عقدة» تستعمل فى كل ما يحكم ربطه من الامور معنوية كانت او حسية كعقدة النكاح بين الزوجين والبيع بين المتعاقدين والصداقة بين المتحابين ويكون المراد النمامون الذين يسعون بالفساد لقطع علائق المودة وحل عرى الرابطة الزوجية من باب التمثيل تشبيها لهم بمن وصفهم الله بالسحرة ممن يفرقون بين المرء وزوجه بسحرهم فيستعاذ عليهم بالله ويتحصن به منهم وهو على كل شيء قدير . وقد رضى هذا الرأى وقال به فيلسوف الاسلام المرحوم الشيخ محمد عبده ورضيناه

جمع القرآن وترتيبه

تقدم فى المقصد الاول الكلام على حفظ الشريعة الاسلامية وكيفية نزول القرآن أنجما حسب وقائعه حتى أتم الله نزوله وان الرسول صلعم لم يقبض الا والقرآن محفوظ فى الصدور ومكتوب فى الادوات التى كتب فيها ايام نزوله ونبين الآن ماوعدنا به هنالك فنقول

لما تولى الخلافة بعد وفاة الرسول صلعم سيدنا ابو بكر سنة ١١ ﻫ وكان قد ارتد كثير من العرب قام رضى الله عنه لقتال أهل الردة فى جيش من المسلمين فقتل من القراء اناس كثيرون لاسيما فى غزوة أهل

اليمامة [١] وقبلها ببئر معونة [٢] خيف من ذلك على القرآن وبعد اخذ ورد بين الصحابة في جواز الجمع وعدمه أمر ابو بكر رضي الله عنه زيد بن ثابت وكان من اشهر كتاب الوحي واشدهم حفظا للقران وقد عرض قراءته على رسول صلعم سنة وفاته فكتبه من قطع الاديم [٣] والعسب [٤] يعاونه بعض من الصحابة في الجمع والترتيب فقط لا يكتب آية الا بشاهدى عدل مع شدة حفظه للقرآن كله تحريا منه حتى اتى سيد عمر بآية الرجم [٥] وحده فلم يكتبها منه وبقيت هذه الكتابة عند أبي بكر الى أن مات رحمه الله سنة ١٣ هـ

ولما تولى الخلافة سيدنا عمر بن الخطاب سنة ١٣ هـ احتفظ بها حتى مات رحمه الله سنة ٢٣ هـ فبقيت عند ابنته السيدة حفصة زوج النبي صلعم في أول خلافة سيدنا عثمان التي كانت سنة ٢٤ هـ . ولما كانت لغة العرب تختلف لهجتها في بعض الالفاظ والقرآن نزل بلغتهم بعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن الخ وكانت القبائل تأتى النبي صلعم فكان يقرأ لكل بحسب لغته فيمد قدر الالف والالفين والثلاثة لمن لغته

---

(١) اليمامة : بلدة من بلاد العوالى وهى بلاد بنى حنيفة قيل من عروض اليمن وقيل من بادية الحجاز قتل بها سبعون قارئاً (٢) بئر معونة : موضع يقرب من المدينة قتل به فى عهده صلعم مثل ماقتل باليمامة

(٣) الاديم . الجلد المدبوغ والجمع ادم بفتحتين وبضمتين أيضا (٤) العسب جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض منه (٥) آية الرجم هي . الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم : وقد نسخت تلاوة لاحكما

كذلك ويفخم لمن لغته التفخيم ويرقق لمن لغته الترقيق ويميل لمن لغته الامالة ،فمن هنا اختلفت وجوه القراءة باختلاف الاحرف التى نزل بها وأقرها صلعم فى حياته يشهد لهذا ماروى « ان سيدنا عمر بن الخطاب رآى ابى بن كعب يقرأ سورة الفرقان على غير ماسمعهاهو من رسول الله صلعم فعارضه فى قراءته ولم يتركه حتى اتى به النبى صلعم فامر كل واحد منهما أن يقرأ فلما قرأ كل بما سمعه منه صلعم قال لهما هكذا انزل واقرهما على قراءتهما » ومن هنا يتبين قوله صلى الله عليه وسلم « نزل القرآن على سبعة احرف »

ولما رآى سيدنا عثمان ان الناس يتمارون فى اختلاف الاحرف حتى خطأ بعضهم بعضا ارسل الى السيدة حفصة فبعثت اليه بتلك الصحف فاحضر عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت وعبد الرحمن بن الحارث وسعيد بن العاص وأمرهم ان ينسخوها فى مصاحف ثم قال لهم اكتبوا ماتختلفون فيه انتم وزيد بلسان قريش فانه نزل بلسانهم فكان مما اختلف فيه قوله تعالي « ان يأتيكم التابوت » قال زيد التابوه بالهاء وقالوا التابوت بالتاء فرفع الامر الي عثمان فأمر بكتب التابوت . وكتب سبعة مصاحف فبعث بها فى الآفاق وابقى عنده مصحفا بالمدينة . وترتيب المصحف لسوره واجزائه الخ كما هو معروف الآن موافق لترتيب مصحف سيدنا عثمان قالوا انه جاء علي الترتيب الموجود فى اللوح المحفوظ ذلك لانه كان فى حياة الرسول مدة الوحي اذا نزلت سورة يقول صلعم

لكتابة ضمها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا

فالقرآن وان لم يجمع بين دفتين فى عهده صلعم فهو كان مرتب الآيات وكان جمع ابى بكر حسب توقيف رسول الله صلعم لهم . ولما اتسعت الفتوحات وانتشر الحفاظ فى البلدان اخذ كل بلد عن واحد منهم بعد ضبطه ترتيلا وتجويدا وآدابا

جزي الله بالخيرات عنا أئمة لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا

آداب القراءة

لاشك فى ان تلاوة كتاب الله تعالى افضل عبادة للأنسان وخير ذكر الله (قال صلعم أفضل عبادة امتى قراءة القرآن) وروى عنه صلعم (البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتراءى لاهل السماء كما تتراءى النجوم لاهل الارض وروي عنه صلعم « نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن »

فمن آداب القرآن أن يكون القارىء على طهارة فيستحب له الوضوء لانه أفضل الاذكار روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه كان يكره ان يذكر الله إلا على طهر) فتحرم القراءة على الجنب والحائض ويباح لهما النظر فى المصحف كما يباح لهما امرار القراءة على القلب . وان تكون القراءة فى مكان طاهر يليق بها خال من التشويش والغوغاء فلا يقرأ فى مثل السوق والقهاوى والطرقات . وان القارىء يستاك ويتطيب قبل القراءة تعظيما وتطهيرا لانه يناجي ربه بقراءته روى عن رسول الله صلعم (ان افواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك) ويستحب له ان يجلس

مستقبلا القبلة متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه لانه اقرب الى الاجلال والتوقير واشد تأثيرا فى القلب. ويسن أن يقرأه بتدبر وتمعن ليدرك معانيه البديعة واسراره الدقيقة لانه المقصود وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب قال تعالي (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب ثم يقرأ ماتيسر له كل يوم وليلة مع المواظبة على ذلك قال صلعم (ياأهل القرآن لا توسدوا (١) القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل واطراف النهار وافشوه وتدبروا ما فيه لعلكم تفلحون)

وتلاوته للتعبد به تختلف كثرة وقلة باختلاف مصالح الناس فمثلا من كان مشغولا بتدريس العلم ونشره أو بفصل الخصومات كالقضاة وأمثالهم أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قراءة قدر منه لايحصل بسببه اخلال بما هو منوط به ولا فوات كماله . ومن لم يكن من أمثال هؤلاء المذكورين فليكثر من القراءة ماامكنه من غير خروج الى حد الملل أو الهذرمة ٢ فى القراءة

وقراءة القرآن بهذه الآداب يرتجى منها الثواب للقارىء ولغيره من الاحياء والاموات إذ ثبت انها خير عبادة للمرء فى حياته فلا خلاف فى وصول ثواب القراءة لان الاصل فى المذهب أن يجعل الانسان ثواب عمله لغيره فثبت أن الرسول صلعم (ضحى بكبشين املحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته ممن اقر بوحدانية الله وشهدله بالبلاغ)وانما

---

(١) توسد الشيء جعله تحت رأسه وتوسد القرآن نام عن قراءته
(٢) الهذرمة السرعة فى القراءة والكلام

الخلاف فى أخذ الاجر على القراءة والتعليم فذهب المتقدمين المنع ومذهب المتأخرين الجواز ، دليل الاول قوله صلعم اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به) ولأن قراءة القرآن عبادة ولا يصح اخذ الاجر عليها . دليل الثاني لولم يفتح باب التعليم والقراءة باجر لذهب القرآن بذهاب هؤلاء وان الاحكام تختلف باختلاف الازمان

معنى الترتيل

قال الله تعالى لنبيه محمد صلعم ارشادا لنا وتعليما « ورتل القرآن ترتيلا » فترى لشدة الاعتناء بالترتيل والاهتمام بشأنه اكدا لله تعالى ايجاب الامر (رتل) بالمصدر (ترتيلا) بعده مبينا انه لابد من ذلك للقارى قال ابن عباس رضى الله عنهما (الترتيل) تجويد الحروف ومعرفة الوقوف واليك بيانهما (الاول) تجويد الحروف هو اعطاؤها حقها من صفاتها اللازمة لها كهمس وشدة ونحو ذلك واعطاؤها مستحقها مماثبت لهـا عند تركيبها كتفخيم المستعلى وترقيق المستفل ، فحلية القراءة تكون برد الحروف الى اصولهـا ومخارجها وترتيبها فى مراتبها وتلطيف النطق بها على حالة صفتها وكمال هيئتها من غير اسراف ولا تعسف ولا افراط ولا تكلف وبهذا يحوز القارى صفة التجويد قال بعضهم

والاخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم
لانه به الاله انزلا وهكذا منه الينا وصلا

ولا يكفي لتجويد الحروف العلم باحكامها كما يرتكن عليه بعض

القراء بل لا بد فى ذلك من تلقى القراءة عن شيخ من القراء اتصل سنده برسول الله صلعم يرشده الى النطق بالحروف على حقيقتها فيأخذ عنه كيفية القراءة فهى سنة متبعة

ذلك لان إحكام القارى النطق بكل حرف على حدته مستوفى حقه ومعرفة مخرجه لا يكفى فى إحكام الكلمات مركبة اذ ينشأ عن تركيب الحروف مالم يكن حالة الافراد وهذا بحسب مايجاورها من حرف مجانس ومقارب وقوى وضعيف ومفخم ومرقق . فالحرف القوي يجذب الضعيف والمفخم يغلب المرقق فتراه يصعب على اللسان ان ينطق بتلك الكلمات مركبة على حقيقتها من الصفات والاحوال الكائنة لها اللهم الا بالرياضة الشديدة وتلك بواسطة الاخذ من افواه القراء الذين تلقوه بهذه الكيفية . ومن اتقن واحكم صحة التلفظ حالة التركيب فقد حصل على حقيقة التجويد

الثامن من قسمى الترتيل » معرفة (1) الوقوف وهو ان يدرك القارىء ان ما بعد الوقف له تعلق بما قبله أولا ، ويتنوع ذلك نظرا للتعلق خمسة انواع لانه ان كان لا يتصل ما بعد الوقف بما قبله لفظا ومعنى « فالتام » وهو ما يتم معنى الكلام به ويحسن الابتداء بما بعده كقوله تعالى حكاية عن بلقيس « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة » فان الوقف على قوله اذلة تام لأنه آخر كلام بلقيس ثم قال تعالى « وكذلك يفعلون » واكثر ما يوجد هذا عند رؤوس الآي

وان اتصل بما قبله لفظا ومعنى « فالقبيح » كالوقف على لفظ الصلاة

من قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى » وكالوقف على قوله للمصلين من قوله تعالى « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » فان الوقف فى الموضعين يفهم غير ما اراده الله تعالى اذ يقتضى النهى عن قربان الصلاة بالكلية فى الآية الاولى ويفيد ان الوعيد بالويل للمصلين فى الآية الثانية ، والله تعالى لم ينه عن الصلاة الا حالة السكر كما انه جعل الويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وكالوقف على قوله ان الله لا يستحي من قوله تعالى « ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاما » لانه يوهم وصفا لا يليق بالله سبحانه وتعالي : لكنه لو رجع ووصل الكلام بعضه ببعض غير معتقد لمعناه فلا اثم عليه ، فالواقف لا يخلو حاله اما ان يكون مضطرا كضيق نفسه او متعمدا. فان وقف مضطرا غير متجانف لاثم ولا معتقد لمعناه لم يكن عليه وزر وان لا فيأثم

وان اتصل بما قبله معنى لا لفظا « فالكافى » وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده الا ان له تعلقا ما به من جهة المعنى فهو منقطع لفظا متصل معنى . وسمى كافيا لاكتفائه واستغنائه عما بعده واستغناء ما بعده عنه بان لا يكون مقيدا له كالوقف على قوله شهيدا من قوله تعالى « وجئنا بك على هؤلاء شهيدا[1] »

وان اتصل بما قبله لفظا لا معنى « فالحسن » وهو ما يحسن الوقف

(١) الوقف لغة. الكف عن الفعل : واصطلاحا قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما مع التنفس بخلاف السكت فانه قطع الصوت زمنا ما من غير تنفس

عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كالوقف على لفظ الجلالة من قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » فانه فى نفسه حسن مفيد يحسن الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظى وان جاز رفع رب العالمين على اضمار هو قبله أو نصبه على امدح مثلا

وهناك قسم خامس متردد بينها فمرة يتصل بالاول فيسمى تاما واخرى يلتحق بالثالث فيسمى كاف الى آخر الاقسام وذلك حسب اختلافهم قراءة واعرابا وتفسيرا فانه قد يكون الوقف تاما على تفسير غير تام على خلاف ذلك

وبهذا تم الترتيل المطلوب شرعا فى القراءة . وغير خاف مايترتب من الفوائد على معرفة الوقف والابتداء اذ ان بعض معانى القرآن تتوقف على بيان ذلك فمثلا الوقف على قوله تعالى « فلا يحزنك قولهم » والابتداء بقوله تعالى « ان العزة لله جميعا » يفيد المعنى المقصود من الآية وهو الرد على الكفار فى تكذيبهم الرسول صلعم وكيدهم له وهذا من باب التسلية له صلعم بان العزة لله جميعا لا لغيره وذلك بخلاف الوصل فانه يفسد المعنى لانه يفيد ان قوله ان العزة لله جميعا من كلامهم ومقول قولهم فيكون المعنى لا تحزن يا محمد مما قالوه فيك ومن قولهم ان العزة لله جميعا وهذا ظاهر الفساد بين البطلان

كذلك الوقف على قوله ويختار من قوله تعالى « وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » يبين مذهب أهل السنة من مذهب المعتزله لان الوقف على قوله ويختار والابتداء بقوله ماكان لهم الخيرة مذهب

اهل السنة لما فى ذلك من نفى اختيار الخلق واثباته للحق تعالى وحده بخلاف الوقف على قوله يشاء والابتداء بقوله ويختار ما كان لهم الخيرة فانه يقرر مذهب المعتزلة لما فيه من تقرير اختيار الخلق مع الله سبحانه وتعالى فانهم يقولون ان العبد مختار ظاهرا وباطنا ، والحق انه ليس لاحد ان يختار انما الخيرة لله وحده ، وما احسن قول بعضهم

دع الامر فما الامر لك　　ولا الحكم فى حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله　　فمن غاص فى لج بحر هلك
خلقك فسواك فعدلك　　فى أي صورة ماشاء ركبك

فالعبد فى الحقيقة ليس له سوى الكسب. فمثلا اذا فعل الانسان اي فعل كتحريك يده توجد امور اربعة امران وجوديان مخلوقان لله تعالى فى آن واحد اولهما الحركة اعنى الهيئة المشاهدة من تحريك اليد وثانيهما قوة العبد للتحريك . وامران اعتباريان لا يتعلق بهما خلق لانهما ليسا وجوديين اولهما تعلق قدرة الله بتلك الحركة الحادثة اعنى ايجادها

ثانيهما مقارنة قوة العبد المخلوقة لله تعالى لتلك الحركة وهو الذي يعبر عنه بالمعنى المصدري وبالكسب ، فالحركة مخلوقة لله تعالي مكسوبة للعبد لاتصافها بكسبه وهو مقارنة قوته المخلوقة لله تعالى لتلك الحركة ويعبر عنه ايضا بتعلق القدرة الحادثة بالمقدور

وافعال العبد الاختيارية موضع خلاف بين أهل السنة وغيرهم فقالت المعتزلة إن العبد خالق لافعاله الإختيارية بقدرة خلقها الله فيه وهم

غير كفار وان نسبوا خلق الافعال اليهم لانهم لم يطلقوا تصرف العبد في افعاله بل قيدوه بتاثير قدرة الله فيه

وقالت الجبرية إن العبد مجبور على فعله ومقهور كالريشة المعلقة فى الهواء تحركها الريح كيف تشاء فلا كسب له فى أفعاله ابدا

وقال أهل السنة وهو المذهب الحق لم يكن للعبد فى افعاله الاختيارية الا الكسب فقط كما تقدم بيانه في المثال المذكور فلاهو مجبور على فعلها كما قالت الجبرية ولا خالق لها كما قالت المعتزلة . ومن انعم النظر فى هذه المذاهب رآى المعتزلة فرطوا و الجبرية افرطوا وأهل السنة توسطوا وخير الامور الوسط فخرج مذهبهم « من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين »

واورد بعض الجبرية على اهل السنة قوله

ماحيلة العبد والاقدار جارية   عليه فى كل حال ايها الرائي
القاه فى اليم مكتوفا وقال له   اياك اياك ان تبتل بالماء

فاجابه بعض اهل السنة بقوله

ان حفه اللطف لم يمسسه من بلل
ولم يبـــــال بتكتيف والقاء
وان يكن قدر المولى له غرقا
فهو الغريق ولو القى بصحراء

وهناك فريق آخر يقول ان الله يختار للعبد ماهو خير له واصلح وذلك ليس على سبيل الوجوب فما لوا بمذهبهم الى المعتزلة القائلين بوجوب

فعل الصلاح والاصلح على الله ، فاذا كان امران احدهما صلاح والآخر فساد كالايمان والكفر يقولون وجب على الله تعالى ايمان الشخص دون كفره كذلك اذا كان أمر ان احدهما صلاح والآخر اصلح وجب على الله فعل الاصلح للعبد دون الصلاح

فكل تمسك بمذهبه، وكانت هذه المسألة سببا فى افتراق الشيخ ابى الحسن الاشعرى من شيخه ابى على الجبائى المعتزلى وقت تقريره فى الدرس وجوب فعل الصلاح والاصلاح على الله اذ قال له الاشعري ماذا تقول فى ثلاثة اخوة مات احدهم كبيرا مطيعا . والثانى مات عاصيا والثالث مات صغيرا . فقال الجبائى يثاب الاول بالجنة ويعاقب الثاني بالنار اما الثالث فلا يعاقب ولا يثاب فقال له الاشعري ان قال الثالث للرب لم امتنى صغيرا ولم تبقنى فاطيعك لادخل الجنة فماذا يقول الرب فقال الجبائى يقول له قد علمت انك لو كبرت عصيتنى فادخلك النار فكان الاصلح لك ان تموت صغيرا

فقال الاشعرى ان قال الثاني لربه لو كنت امتنى صغيرا ما دخلت النار فماذا يقول له ربه . عند ذلك بهت الجبائى ولم يستطع جوابا فترك الاشعرى مذهبه من هذا الحين وانصرف يشتغل هو ومن تبعه بابطال ما ذهبت اليه المعتزلة واثبات ماوردت به السنة المحمدية واقرته الجماعة ومن هنا دعى هو ومن تبعه باهل السنة والجماعة

قراءة القرآن بلحن العرب واصواتها

بعدان تتوفر لدى القاري آداب القراءة ويفقه معنى ترتيلها لا يخرج عن قانون احكامها فيفصل فى موضع الفصل ويصل فى موضع الوصل ويمد الممدود ويقصر المقصور ويخرج الحروف من مخارجها فيفخم ويرقق ويغن كماهو منصوص عليه فى علم القراءة من غير زيادة او نقص : لا ينقادفى قراءته لالحان او نغمات تخرجه عن قانون القراءة. امامالم تخرج به عن طريقة الترتيل الموضحة سابقا فلاباس بها فانها قد تفتح على السامعين ضروب الفهم وتحمل القاري على الاستمرار فى التعبد بالتلاوة.

قال رسول الله صلعم « اقرؤوا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق والكبائر فانه سيجيء اقوام من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز ايمانهم حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شانهم » فالرسول صلعم يامرنا ان نتلوا كتاب الله بلسان عربى مبين بلحن العرب الفصحاء وصوتها الطبيعى الذين نزل القران بلغتهم البليغة ولهجتهم السليقية من غير زيادة اونقص ويحذرنا من القراءة بلسان اهل الفسق والضلال الذين يتغنون بالقرآن فيشابهون به النصارى فى تغنيهم بالمزامير ويماثلون به النساء فى النوح والبكاء على الاموات فهم يقرؤونه مجرد الفاظ يتغنى بها تبعا لاهوائهم من غير ان يتدبروا معناه ويعملوا بمقتضاه فهؤلاء قلوبهم وقلوب من يرضون سماعهم قد ضلتا عن الهدي والصواب فالقارىء والسامع منهم بعيدان من رحمة الله: اللهم جنبنا كل ما ينكره الشرع

ويأباه ووفقنا جميعا لما تحبه وترضاه

واجب القارىء نحو السامعين

يلزمه ان يقف موقف الواعظ الحكيم بتلاوته لا ينتظر طلب احد السامعين لقراءته مواضع مخصوصة اوهو يلتزم سورا مخصوصة كقصة سيدنا يوسف وطه ومريم وغير ذلك مما كاد التزام قراءته يقضى بهجر باقى القرآن وتركه

فعلي القارىء عند شروعه فى القراءة ولا سيما الحفلات أن يتفرس احوال السامعين المتلبسين بها وما عليه غالب الناس من اتباعهم المحرمات فياتى بآيات بينات تتناسب واحوالهم للزجر والردع عن ارتكاب ما نهوا عنه . ولا يفوته عندما ياتى فى قراءته بآية عذاب وعقاب ان يتعوذ بالله من غضبه وحلول نقمه لتخشع قلوب السامعين من وصفها وترتعد فرائصهم من ذكرها بحكمة تأثر القارىء وتأثيره بتلك التلاوة التى يشعر عندها السامع بصولة قهار وبطش شديد جبار . واذا جاءت آية رحمة تضرع الى الله تعالي فى طلب رضوانه وعطف على السامعين بالبشرى « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » .

فانت تري تلاوة كتاب الله تعالي بهذه الطريقة التى امر الله بها وحث الرسول صلعم علي اتباعها تظهر افانين (١) بلاغته وتفتح على السامعين ضروب فصاحته فتتفجر لهم ينابيع الحكمة من معانيه البديعة

(١) الافانين . الاساليب وهى اجناس الكلام وطرقه

واساليبه الحكيمة وبذلك تظهر دلائل القرآن القاطعة وبراهينه الساطعة على انه خير هدى لمن اتبعه من العالمين

روى عن عوف بن مالك « قال قمت مع النبى صلعم ليلة فقرأ سورة البقرة لا يمر على آية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر على آية عذاب الا وقف وتعوذ » وروى عن ابى ذر رضى الله عنه « ان النبى صلعم قام بآية يرددها حتى اصبح هى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم »

فقد تاقى القرآن الكريم بهذه الطريقة مع ضبط وروية عن الحضرة المحمدية اصحابه الاجلاء اخذوا عنه صلعم كيف يتلونه ويرتلونه ويصغون لتلاوته ويحترمونه، ولقد اشتهر من بينهم رضوان الله عليهم رجال اخصاء فى حسن الترتيل والتلاوة كسيدنا عبد الله بن مسعود كان قد اعطى حظا وافرا فى ضبط ترتيله مع حسن صوته الطبيعي « قال رسول الله صلعم من احب ان يقرأ القرآن غضا (٢) كما انزل فليقرأه على ابن ام عبد يعنى ابن مسعود » وورد ما صح عن عبد الله بن مسعود قال « قال رسول الله صلعم اقرأ على فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال انى احب ان اسمعه من غيرى قال فقرأت سورة النساء الى قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فاغرورقت عينا رسول الله صلعم بالدموع » ولا زال اصحابه رضوان الله عليهم متمسكين بتلك الآداب والاحكام عاضين عليها بالنواجذ محافظين على كيفية التحمل والاداء كما كان عليه سيد الانبياء حتى نقله

---

(٢) الغض . الطرى وهو كناية عن قراءته كما انزل

التابعون ثم تابعو التابعين فتحري في نقله ائمة لنا محققون وحفاظ ضابطون من الاتقياء الاخيار في جميع الاقطار والامصار تحروا في نقلهم اشد التحري وأقوى الضبط الى ان وصل الينا بهذه الطريقة المبينة من ضبط ترتيله وآداب تلاوته . فأكرم بهؤلاء من ائمة يقتدى بفعلهم ويهتدي برشدهم واعظم بقارىء حكيم محكم اتبع اقوم طريق ترتيلا وآدابا فما احسن تلاوته وأبين قراءته فانك تجد لتلاوته من اللذة الروحانية والبهجة النفسانية غذاء للروح ما احسن منه غذاء

حفظ القرآن وكيفية تحمل القراءة

قالوا حفظ القرآن فرض كفاية على الامة الاسلامية لئلا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يلحقه تحريف فمتي قام بهذا من يبلغ ذلك العدد سقط عن الباقين والا أثم الكل: وتعليمه أيضا فرض كفاية على من يقدر عليه

وللتحمل والاداء طريقان «الاولى» السماع من لفظ الشيخ «الثانية» القراءة عليه وهي المستعملة سلفا وخلفا . أما طريق السماع فان كان الصحابة رضى الله عنهم أخذوا القرآن بواسطته من النبي صلى الله عليه وسلم الا انه لم يأخذ به احد من القراء بعده صلىالله عليه وسلم وهذا ظاهر المنع لان الاداء في القراءة غير الاداء في الحديث فالمطلوب هنا في القراءة كيفية الاداء كما سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم بتمام هيئتها . وليس من سمع لفظ الشيخ يقدر على الاداء بكمال الهيئة التي نزل القران بها وهذا بخلاف الحديث فان المقصود منه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في اداء القران

لهذا لم يقتصر فى أوجه التحمل فى الحديث على هذين الطريقين بل جاز ان يكون ايضا بالقراءة على الشيخ والسماع عليه بقراءة غيره وبالمناولة والاجازة والمكاتبة والعرضية والاعلام الخ

اما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوة فصاحتهم وسلامة ذوقهم مما هو طبيعة لهم وسجية فكانوا يقدرون على أداء القراءة كما سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه نزل بلغتهم

زد على هذا النور المحمدى الذى كان يسطع عليهم فيعطيهم قوة على اداء القراءة بتمامها وهذا بخلاف غيرهم من التابعين وتابعيهم الى عصرنا هذا

طرق القراءة وكيفيتها

للقراءة كيفيات ثلاث (الاولى) تدعى التحقيق وهو ان يعطى القارىء كل حرف حقه فيشبع المد ويحقق الهمزة ويتم الحركات من اظهار وتشديد ويبين الحروف تبيينا واضحا ويفككها ويخرج بعضها من بعض ليريض لسانه وتتقوم الفاظه حتى لا يتجاوز فى قراءته حد الافراط بتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراءات وتحريك السواكن وتطنين النونات بالمبالغة فى الغنة قال الامام حمزة احد القراء السبعة لبعض من سمعه يبالغ فى ذلك اما علمت ان مافوق البياض برص ومافوق الجعودة قطط وما فوق القراءة ليس بقراءة (الثانية) تسمى الحدر بفتح الحاء

وسكون الدال المهملتان وهـو ادراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس (١) والبدل (٢) والادغام (٣) الـكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك مماصحت به الرواية معمراعاة اقامة الاعراب وتقويم اللفظ وتمكين الحروف بدون بتر حروف المد واختلاس اكثر الحركات وذهاب صوت الغنة والتفريط الى غاية لاتصح بها القراءة ولا توصف بها التلاوة

وهذا النوع مذهب ابن كثير من السبعة وأبى جعفر من العشرة ومن يقصر المنفصل كابى عمرو ويعقوب « الثالثة » تسمى التدوير وهـو التوسط بين المقامين المتقدمين وهو الذى ورد عن اكثر الائمة ممن مد المنفصل ولم يبلغ فيه الاشباع وهذا مذهب سائر القراء ومختار اكثر اهل الاداء

واجب السامع نحو القراءة

يلزمه مايلزم القارىء من احترام وتعظيم وتوقير واستكانة مستمعا

---

(١) الاختلاس هو الاتيان ببعض الحركة (٢) حقيقة الادغام ان تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك فيصيرا حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحدة وهو قسمان كبير وصغير . فالـكبير يكون فى الحرفين المثلين المتقاربين وسمى كبيرا لتاثيره فى اسكان الحرف المتحرك قبل ادغامه . والصغير ولا يكون الافى المتقاربين هو مااختلف في ادغامه من الحروف السواكن نحو ومن لم يتب فاولئك

(٣) البدل هو ان تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ماقبلها فتبدل الفا بعدالفتح فى نحو وامر اهلك

منصتا للقراءة متجها اليها بقلبه متعظا بما يلقى اليه متدبرا آيات الله حين تتلى عليه معتبرا نفسه هو المقصود باوامرها ونواهيها ممعنا النظر مدققا الفكر فى معانيها البديعة بقدر استطاعته كى يخشع قلبه عند ذكر الله تعالى استعظاما له وهيبة من جلاله وعزه وسلطانه فيزداد يقينا وطمانينة من التلاوة

لا يغفل قلبه عن ذكر ربه وقت القراءة ولا تسبح نفسه فى سنة الغفلة حتى اذا ماانقشعت عن قلبه سحابة الجهل وذهبت ظلمته التقط درر معانيه النفيسة وجواهره الثمينة التى يقذفها بحر معانيه الزاخر على السامع فيغترف منها ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ حكما متدفقة تفاض عليه من فيض تجلياته الالهية وفتوحاته الربانية وهناك تنخرط به نفسه فى سلك أولياء الله الصالحين وتسمو به من حضيض الحيوانية الى سماء الانسانية وتوفق لطاعة ربها وسيدها توفيقا صمدانيا فتنجذب به الى فعل الخير جذبة الهية وتتحرك بصاحبها حركة ربانية فيمدها رب الارباب بالامدادات المحمدية والاسرار الروحانية ، وكل هذا بواسطة بحر امداده وكنز اسراره منبع الوجود وصفوة الله الملك المعبود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

فهنيئا لك أيها السامع بهذه الكيفية المرضية واتباعك الطريقة المحمدية لقد غذيت نفسك بمعانى آيات الله وحزت من ربك رضاه فروحك الطاهرة النقية ناعمة الآن سابحة فى جنة المعارف اللدنية تجنى من لذيذ ثمارها وتشرب من عذب مائها وترتع فى رياضها وتتنزه فى جمال ملك

ربها وملكوته لتكمل فى نشأتها المعنوية وتقوي قوة حقيقة فتحيا حياة طيبة وتكون بذلك قد فازت فى حياتها الدنيا بتلك المعارف الفيضية وعند لقاء ربها يقال لها « ياايتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »

تنوع القراء والسامعين

من تتبع احوال اغلب القراء والمستمعين الآن مصريين وقرويين وجد هما اربعة انواع ذلك لان القارىء اما أن ينظر فى قراءته لاحكام القراءة فقط من غير مراعاة قانون الموسيقى فى الالحان والنغمات وتطبيقها على القراءة واما ان ينظر لقانون الموسيقى من غير مراعاة قانون الاحكام او يجمع بينهما او يكون خلوا منهما فهذه اربعة انواع

كذلك السامعون لان السامع اما ان ينظر فى سماعه لمعاني القراءة فقط واما ان ينظر للالحان والنغمات فقط او يراعيهما معا او يصرف النظر عنهما وهذه اربعة انواع ايضا

ولنبدأ بانواع القراء فنقول « النوع الاول » وهو اقل من القليل يقرؤه بعد ان تتوفر لديه شروط القراءة وآدابها من طهارة وسواك واستقبال قبلة وجلوس الصلاة، يقرؤه بتدبر وخشوع وخضوع جاريا فى قراءته على قانون احكام القراءة بالترتيل المتقدم بيانه فيمد ويقصر ويغن ويفخم ويرقق ويصل ويفصل الخ كما هو منصوص عليه فى علم القراءة من غير زيادة

او نقص . لايكون فى قراءته اسير النغمات الغنائية والالحان الموسيقية الا اذا وجدت طبيعية فيه ولا تتنافى مع الاحكام فهو يقرؤه بلحون العرب واصواتها بلسان عربي مبين كما بين فى حديث اقرءوا القرآن صفحة ٢٠٧

فترى هذا القارى قصد بتلاوته خير عبادة يرجوا بها من الله أعظم اثابة وهو جدير بذلك ان شاء الله تعالى (النوع الثاني) يقرؤه غير محافظ على شروط القراوة وآدابها يوقعها توقيع المغنى لاينظر الا لقانون الالحان والنغمات غير مراع قانون احكام القراءة

فهو اسير تلك الالحان والنغمات بحيث لو قضت عليه بمد ماقد وجب قصره او فصل ماقد وجب وصله او غن مالم يغن او تفخيم مايرقق وعكس ذلك او غيره مما يعد مخالفا لقانون القراءة لفعل كل هذا من غير مبالاة فانه لايسره غير التغنى بالقراءة والتطريب بها وتوقيعها على قانون المغنى وان اخرجها عن قانون احكامها . فترى بعضهم يلحن السورة تلحين التواشيح والادوار ويحكم عليها قبل القراءة بانها مركبة من نغمات عدد كذا ويسمي النغمة التي تبتدىء السورة وتنتهى بها

« النوع الثالث » يحاول الجمع بين قانون احكام القراءة وقانون المغنى وهذا يحاول عبثا ويكلف نفسه شططا . لان محافظته على حكم من احكام القراءة كالمد مثلا يفوت عليه النغمة فيما اذا كانت لاتقتضيه كذلك يفوته الحكم بمحافظته على النغمة اذا كان لايتفق معها وجملة القول لايمكنه الجمع بين الامرين الا اذا صادفت موافقة النغمة للحكم وعلى فرض الموافقه فالذي حققه الاجلاء من العلماء تحريم دخول النغمات الغير

الطبيعيه فى القراءة تنزيها لها وتعظيما . وبعضهم قال ان اخرجت النغمة القراءة عن حدها حرمت وفسق صاحبها والا فتكره كراهة تنزيه

النوع الرابع » يجهل الامرين فلا هو يعرف ترتيل القراءة واحكامها حتى يلتحق بالنوع الاول فيرضى عنه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا هو ملم بقانون الالحان والنغمات حتى يلتحق بالنوع الثانى فيطرب السامعين من هذا النوع بل يقراه مجرد الفاظ يخبط فى قراءته خبط عشواء فيمد المقصور ويصل المنفصل ويفخم المرقق ويغن مالم يغن الى غير ذلك مما يخالف قانون احكام القراءة

المستمعون أربعة أنواع

(النوع الاول) يكون فى غاية الاحترم والتعظيم موجها قلبه ومداركه لمعنى القراءة مستمعا منصتا خاشعا خاضعا يرى التعبد باستماعه من افضل العبادات والتقرب به الى ربه من اعظم القرب لا يشغله عن الاستماع والانصات شاغل ولا يمنعه عن تدبر آيات الله مانع يخشع قلبه عند ذكر الله اعظاما له وهيبة من جلاله « الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذالك هدى الله يهدى به من يشاء » فهذا النوع ادرك ان الله تعالى جعل الايمان فى وجل القلوب وخشوعها عند ذكره كما قال تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون »

(النوع الثانى) لا ينظر فى سماعه القراءة الا للالحان المشجية والنغمات المطربة صارفا قلبه عن درك معانيه واسراره تابعا نفسه وهواها فى تأثير النغمة عليه فتراه عند ما يأتى القارى المتغنى بنغمة مهيجة لاشجانه ومحركة لعواطفه يهتز طربا ويتمايل عجبا اسير أهوائه ومن العجيب يجعل اسم الله آلة فى تنشيطه وضبط نغماته وربما صفق بكفيه وضرب الارض برجليه وابدي من الافعال المذمومة والحركات المرذولة مايستقبحه الشرع المنيف وينكره الدين الحنيف « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» واغرب من ذلك كله انهم ينسبون الى النوع الاول من القراء جهلهم بالقراءة وتقصيرهم بالصناعة (صناعه المغنى) وما بهم جهل وتقصير سوى أنهم نزهوا كلام الله تعالى المقدس عما ينافى آدابه ويمنع احترامه

قال تعالى « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى » فامر هؤلاء ومن تبعهم من القراء مفوض الى ربهم يوم يكون القرآن حجة عليهم وشهيدا

(النوع الثالث) يحاول الجمع بين الامرين كالثالث من القراء فانك تراه بينما هو فى غاية الخشوع والخضوع مستمعا منصتا للقراءة يتدبر آيات الله حين تتلى عليه اذ يأتى القارىء بنغمة موسقية فتهيج اشجانه وتحرك عواطفه وتأخذه عند ذلك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر وسريعا ماينادى باسم النغمة التى استفزته وعن التدبر لفتته ودلت على طيشه وخفته بعد تدبره واستكانته فسبحان مقلب القلوب

(النوع الرابع) يجهل الامرين فلا يدرى للقراءة معني ولا من آدابها

شيئا ولا هو يفهم للنغمة لذة . اللهم الا انه يشغل قدرا من الفراغ فقط
بمجلس القراءة وتراه اذا ذكر الله في آية رحمة او آية عذاب وتضرع الى الله من
السامعين من فهم المعنى أو استغاث من عقابه نظر ذات اليمين وذات الشمال
ليجاريه في قوله ويتابعه في لفظه « واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا
تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة »

فاتضح بما تقدم من أنواع القراء والسامعين بعد التتبع والحصر أنه
لم يحافظ على اداب القراءة ويعمل بواجبها سماعا وقراءة سوى النوعين
الاولين من القراء والسامعين كما بينا. فالحمد لله تعالى على وجود مثل هؤلاء
في الامة الاسلامية فانهم رحمة لغيرهم ولن تزال هذه الامة بخير ما دام مثل
هؤلاء قائمين بكتاب الله محافظين على حدوده متمسكين بآدابه . نسال الله
تعالى لهم الحسنى وزيادة ولغيرهم التوفيق والهداية انه على كل شيء قدير

كلمة الى القراء

ايها القراء اني لا انهاكم عن الترنم في قراءتكم بحسن صوتكم الطبيعي ولحن
العرب السابق كما تقدم في الحديث ما دمتم تحكمون التلاوة وترتلون القراءة
فليس عليكم في ذلك من حرج لما روى « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع
أبا موسى الاشعرى يقرأ وكان ذا صوت حسن فقال صلى الله عليه وسلم لقد أوتي
هذا مزمارا من مزامير آل داود » وتقدم ايضا « ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلب من سيدنا عبد الله بن مسعود ان يقرأ وكان يماثل اباموسى
في حسن الصوت الطبيعي » وقد روى عن سيدنا عثمان النهدي انه قال

«صلى بنا المغرب عبد الله بن مسعود بقل هو الله احد فوددنا ان لو قرأ سورة البقرة من حسن صوته وترتيله»

انما الذى انهاكم عنه القراءة بلحن اهل الفسق والضلال والتصنع بكل ما هو مخرج لها عن حدها كالتطريب (١) والترعيد (٢) والترقيص (٣) والتحزين (٤) وتضخيم الحروف حتى فيما يجب ترقيقه وضخامة الصوت أو سلخه عن اصله الطبيعى بطريقة غير مألوفة

كذلك ما احدثه القراء من اجتماعهم فى قراءتهم معا فانه منهى عنه اللهم الا اذا ابتدءوا معا ووقفوا كذلك معا ذلك لئلا يتحرك الساكن ويسكن المتحرك ويحذف بعض الحروف من بعض الكلمات ويبتدأ بباقيها مما يغير معانى الكلمات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه» فهذا وارد فى حق من فرط فى ترتيله واهمل آدابه ولم يعمل بواجبه روي عن عبدالله بن عمر انه قال «لقد عشنا برهة من دهرنا وان احدنا ليؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغى ان يوقف عنده منها

---

(١) التطريب عبارة عن ان يترنم القارىء ويتبع نغمته فيمد فى غير مواضع المد اويزيد فيه على مالا ينبغى فيقضى ترنمه باتباع قانون المغني ومخالفة قانون الاحكام (٢) الترعيد هو ان يرعد القارىء صوته كرعدته من برد او حمى يتصنع فعل هذا لتنتظم نغمته وتوافق قانون المغنى (٣) الترقيص هو ان يروم القارىء السكون على الساكن ثم ينفر مع الحركة كانه فى عدو او هرولة

(٤) التحزين هو ان يأتي القارى بقراءته علي وجه حزين يكاد يبكي تصنعا منه وتكلفا له

كما تتعلمون انتم اليوم القرآن ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته ما يدرى ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يوقف عنده وكل حرف منه ينادي انا رسول الله اليك لتعمل بى وتتعظ بمواعظى »

فيا أيها القارىء المهمل للترتيل والتلاوة المتغنى بالقراءة الموقع لها توقيع المغنى بالحان أهل الفسق والضلال الغير المتدبر آيات الله قل لى بربك ماذا جوابك وبأى شيء اعتذارك بعد ان طولبت بالترتيل على سبيل الوجوب وحثك على ذلك الرسول المحبوب وقد خرجت بكلام الله المقدس عن حد الموعظة والارشاد الى موقف التطريب والغناء وخالفت بذلك السنة المتبعة وصار ما يستحسنه السامع منك أو يسهل توقيعه عليك تتغنى بقراءته وحرمت لذة التعبد بتلاوته فحسبك الله تعالى وكفى به شهيدا يوم يكون القرآن حجة عليك لا لك

كلمة الى السامعين

ايها المستمعون لآيات الله تعالى اعيروني آذانا صاغية وقلوبا راعية

اظننتم ان القرآن كلام الله تعالى مغنى من المغاني فتتخذونه هزوا ولعبا كلا «انه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين» قال تعالي خطابا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا للناس احترام آدابه وتدبر آياته « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب » وقد مدح الله قوما خشعت قلوبهم

وقوى ايمانهم عند ذكره فقال « انما المومنوٌن الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون »

ولا شك فى ان من تأدب بآدابه وسمعه بانصات ليدبر آياته وأتسى قوما سمعوه بتدبر وخشوع ففقهوا معانيه وحللوا مبانيه فتفتحت لهم خزائن اسراره وتجلى عليهم ربهم بامداده فعرفوا الحق وخضعوا لعزته وكبريائه وجبروته وسلطانه « وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » حقا « اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين »

اما من قرأه أو سمعه من غير تاثر بمعناه ولا عمل بمقتضاه واتبع نفسه وهواها فى التطريب بالالحان الموسيقية والتغنى بالنغمات الشيطانية واخل بآدابه وهتك حرماته ولم يفعل ما امر به ولم يترك ما نهى عنه فقد استحق غضب الله تعالى وعقابه وبغض الرسول له وعتابه يوم يكون القرآن حجة على قارئه وسامعه «يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون

ايها الناس استحلفكم بالله ربنا ان تنزهوا كلامه المصون عما يخل بآدابه ويمنع تدبركم آياته وائتمروا بقوله «واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » وان كان مشهورا فى القول بخصوص الصلاة والخطبة فان عموم اللفظ وظاهر الآية يقضيان بالاطلاق والعموم اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واعلموا انه ما شرع الاستماع والانصات وقت تلاوة القرآن

الا للتدبر بمعناه والعمل بمقتضاه فيحرم على كل سامع أن يشتغل بما يلهيه ويصده عن الاستماع والانصات ولا اقصد بالمنع خصوص الكلام بل كل ما يمنع من الاستماع والانصات ويشعر بنفي الآداب وعدم الاحترام كلعب بسبحة أو زهرة أو قطع القراءة بشرب قهوة أو استنشاق نشوق أو شرب دخان

فقد ثبت لكم مما تقدم أن افضل ذكر للمرء قراءة القرآن وسماعه ولا يصح لمسلم عاقل أن يقطع عبادة ربه بمثل هذه الامور الحقيرة فان في ترك القراءة والاشتغال بما ذكر من سفاسف تلك الامور ايثارا لهذه الاشياء الحقيرة على استمرار القراءة وذلك عصيان مبين وضلال كبير يورث سوء الخاتمة ممن تصده نعوذ بالله من ذلك

ياقوم اقسم بالله ربي وربكم ان لم نحترم كلامه كل الاحترام ونبجله عظيم التبجيل ونعظمه غاية التعظيم ونحافظ على آدابه ونتمسك بواجبه ونتدبر معناه ونعمل بمقتضاه فنأتمر بما امر به الله وننتهي عما نهى عنه الله فالسامع يسمعه بآدابه فيقف عند حده في مجالس القراءة ولا سيما في مساجد الله تعالى التي تلتزم فيها الآداب والسكينة والوفاء

والقاريء يقرأه باحكامه فيحقق ما نزل على محمد وهو الحق من ربهم آن لم نفعل ذلك حق علينا قول ربنا انالذ ائقو العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون

اللهم انا نسألك متوسلين برسولك محمد صلى الله عليه وسلم رغم مخالفينا أن تثبتنا على الايمان فانه أصل كل خير يرتجى وتسربلنا بالتقوى فانها خير لباس يرتدي وتحلينا بمدنية الدين فهي اعظم حلي يقتنى وتجنبنا هذه

المدنية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا»

رأينا أن نذكر فى الختام كلمة فى الوعظ

لاشك فى ان الوعظ اقوى اداة فى مناحى الحياة فعليه يدور بناء العمران الصحيح وبه ينتظم المجتمع الانسانى ولقد ادركت مزاياه ونتائجه الامم الاجنبية فخصصت له رجالا اكفاء انتجعوا البلاد طولا وعرضا ينشرون دعايتهم السياسية ويبثون عقائدهم الدينية لايألون جهد المستطيع فى تأدية ما اوجبوه على انفسهم وفات الامم الاسلامية ان تعنى بهذا الامر الجليل وتخصص له من ذوي الخبرة والدراية من يقوم بنشر الدين ومحاسنه بين الامم الاجنبية فقد كاد الاسلام يحتضر فى بلاده بين المسلمين من جناية اهله عليه فى حين ان أوربا الآن حبلى به تتمخض لا ينقصها اطباء مسلمون حاذقون يحسنون العلاج

ولقد نرى بعض من يقوم بدعاية الناس فى بلادنا الى مافيه خيرهم وصلاحهم غير مدخرين وسعهم فى سبيل هدايتهم حتى كلت السنتهم وبحت اصواتهم واهل الضلال والفساد لم يزدجروا ولا اخال ذلك يرجع الا لامرين احدهما يتعلق بالوعظ والثانى راجع الى المرتكبين انفسهم فانه قد يند الواعظ عن الطرق الحكمية التى تؤثر فى النفوس وتأخذ بمجامع القلوب والقوم يما ندونه لانغماسهم فى لذاتهم وتفانيهم فى شهواتهم فان حبك الشيء يعمى ويصم وايضاحا للمقام نقول

الواعظ كالطبيب للمريض فكما ان الطبيب يقوم بمعالجة اعضاء

الاجسام كذلك الواعظ يداوى النفوس فهو يقوم ما اعوج من الاخلاق ويصحح ما فسد من التربية وهذا يتطلب عناء شديدا وصبرا جميلا وحكمة بديعة لان القيام بمداواة مرضي النفوس امره جليل وثوابه عظيم وشتان بين من يسعى لخدمة الروح ومن يسعى لخدمة الجسد

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته   اتطلب الربح مما فيه خسران
اقبل على النفس واستكمل فضائلها   فانت بالنفس لا بالجسم انسان

فعلى من يقوم بين الناس بالدعاية للاصلاح ان يكون حكيما قديرا وطبيبا ماهرا يدرك العلل الاجتماعية ويشخص الامراض النفسيه ثم يصف لها انجع الادوية مراعيا فى ذلك الاماكن الصالحة لندائه والظروف المقتضية لتاثير وعظه بطرق الحسنى وزيادة قال تعالى ارشادا لنبيه وتعليما « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » فان رفق القول ولين الكلام يفعلان بالالباب ما لا يفعل السحر

اما مثل المحال المعدة للبغاء رسميا وشرب الخمر ولعب الميسر فقد قدمنا فى المقصد الاول ان درء مثل هذه المفاسد من واجب الحكومة فان هؤلاء وامثالهم لا يرجعون عن غيهم وضلالهم الا بالرغم منهم ولا يكون ذلك الا بواسطة القوة الحاكمة

فمن الحكمة لمن يقوم بالارشاد وتبليغ الاحكام التى كفلت مصالح بنى الانسان معاشا ومعادا ان يتحين الفرص فاذا ماسنحت له فرصة الوعظ والارشاد سلك طرقها الحكمية كذكر حكمة التشريع اذ ان الله تعالى لم يبح شيئا الا لكونه مصلحة ولم يحظر أمرا الا لما فيه من مفسدة فاذا

أراد النهي عن الزنا مثلا ذكر مضاره المحسوسة ونظرياته المعقولة ثم اتبعها بوعيد الله تخويفا وترهيبا فانك تجد كثيرا من الناس حينما يقال له الله حرم الزنا يقول بامتعاض ليس فينا من يجهل ذلك وربما تنفعل نفس الناصح تأثرا وحرصا على هدايتهم فينقلب مقام الوعظ الى الجدال ثم منه الى المشاجرة وهذا لا يرضاه الدين ولا يقبله العقل

فلو انه قال لو علم الزاني والزانية ما يلحق الفرد من الضرر الجسمي والمالي والادبي وما يعود على المجتمع من الفساد وهدم صرح بناء العمران ما توجهت نفس احدهما يوما ما الى فعل الزنا

فانظر الى المرأة الزانية وهي مشاع بين كل زان وعضو التناسل سريع العدوي فيهما ووعاء للامراض المعدية فاذا التقى الختانان اخذ الصحيح من المبتلى جراثيم تلك البلوى كالزهرى (١) والسيلان (٢) مما يكون وراثة لعقبه وعدوى لغيره

---

(١) الزهرى مرض معد نقله الى مصر مهاجرو اوربا ولذا سمى بالافرنجي وتسميه العامة بالتشويش وقد اكتشف ميكروبه سنة ١٩٠٥ افرنكية فهو يفسد عضو التناسل وقد يشوهه ويورث ضعف الاعصاب والشلل بنسبة عظيمة

(٢) السيلان مرض معد له ميكروب خاص يصيب الاغشية المخاطية فتلتهب ويسيل منها صديد يصحبه ورم والم فى محل الاصابة وهذا الصديد اذا تطرق الى العين استأصلها . واكثر ما يصاب به من الاعضاء عضو التناسل والدبر واذا ضوعف نشأ عنه خراجات الغدد الاربية والتهاب المثانة والمهبل والرحم والبوقين المبيضين وحصر البول وينشأ عنه روماتزم مفصلي وقلما يشفى المريض منه ويكفى انه يسبب العقم لصاحبه

الا قاتل الله الزنا فانه هادم لبناء العمران ومفسد لنظام المجتمع الانسانى ومذهب باحترام صاحبه ومضيع لهيبته ومهلكة لماله فهو منذر لمن يزنى بالدمار لهذا كله حرم الله الزنا فقال « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » ولو اباح الله الزنا وترك الانسان يسير وراء شهواته فى مطالب الفروج كما جبل على حب الاستئثار بالملك وصار الامر فوضى بأباحية مطلقة لازهقت ارواح وسالت دماء فى سبيل التغالب على النساء وحيازتهن واضاعت الانساب وأصبح كثير من الاولاد من غير آباء عالة على المجتمع لا يجدون موضع عطف ورحمة فى قلب انسان وذلك شر فى الارض وفساد كبير

فكان من حكمة الله تعالى ان حرم الزنا وحظر الاباحية التى مادبت فى امة الا دب فى عظامها الداء العضال فشرع الزواج رحمة بنا وتوجيها للمجتمع الانسانى فى سبيل الكرامة والكمال اللائقين به ، لو ان الواعظ سلك هذا كان ادعى للنهى عن ارتكاب المعاصى

كذلك يقال فى الحث على فعل الصلاة والمواظبة على اوقاتها انها صلة بين العبد وربه فتدنيه من رحمته وتوصله الى كرامته وجنته فهى مظهر العبودية لان الانسان متى وصل لمعنى الصلاة واخلص فيها بخشوع وخضوع وفراغ بال حال التلبس بها فقد فقه معنى العبادة وراقب ربه فى سره وجهره وخاف بطشه فلا يجرؤ على فعل منهى عنه بعد ذلك ابدا قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فالصلاة تنهى صاحبها عن الافعال التى ينكرها الشرع ويأباها العقل لان من راعاها وواظب عليها جره ذلك الى

ان ينتهى عن السيئات يوما ما فقد روى انه كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت توبته»

أما السر فى أننا نرى كثيرا يصلون ولا ينتهون عن الفحشاء مع سماعهم النصائح والارشادات فلأنهم لا يفهمون معنى الصلاة ولا حكمة مشروعيتها فانك ترى الرجل وهو متلبس بها خال من الخشوع والخضوع مسرعا فى تأديته الركعات من غير طمأنينة لا يحسن أداءها وكانه لم يطالب الا بعدد ركعاتها صارفا قلبه عن العبادة مشغولا بمشاغل الدنيا وربما كان مصرا فى صلاته على فعل معصية بعد خروجه منها فمثل هذه الصلاة لا تنهى صاحبها ولا يقبل الله منها شيئا لان الصلاة التى قصدها الشارع الحكيم هى التى تقع تامة لشروطها حائزة لاركانها خالصة من شوائب الدنيا اذ من حكمة مشروعيتها التذلل والخضوع بين يدي الله تعالى ومناجاته بالقراءة اوالذكر والدعاء وتعميم القلب بهذا واستعمال الجوارح فى خدمته

فاذا وقف المصلى بين يدي الله ونوى الصلاة ورفع يديه عند تكبيرة الاحرام قاصداً نفي الاغيار ونبذ ماسوى الله تعالى وفهم انه واقف بين يدي الله الذى يراقب حركاته وسكناته وانه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وادرك ان لسان حال المصلى يقول فى مناجاته لربه انى عبد ذليل خاضع لألوهيتك مقر بعبوديتى وسيادتك لهذا اضع وجهي وهو أشرف الاعضاء على الارض اجلالا لك وتعظيما يا الله. لو أن المصلى ادرك هذا كله لكان من

المصلين حقا وكانت صلاته ناهية له عن الفحشاء

يؤيد هذا ما ورد فى حديث عمر (١) رضى الله عنه « الاحسان ان

---

(١) روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الي ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد اخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا منه يساله ويصدقه قال فاخبرنى عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرنى عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل قال فاخبرنى عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ثم انطلق فلبث مليا ثم قال ياعمر اتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم) رواه مسلم

وهذا الحديث عظيم الموقع والجلالة فقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة. ومعنى ان تلد الامة ربتها سيدتها وهذا كناية عن رفع الاسافل لان الامة اذا ولدت من سيدها ارتفعت منزلتها. قوله العالة بتخفيف اللام اى الفقراء جمع عائل من عال يعني افتقر وقوله رعاء بكسر الراء مهموزا ممدودا جمع راع ويجمع ايضا على رعاه بجعل آخره هاء مع القصر كقضاه جمع قاض ويجمع ايضا على رعيان كشاب وشبان وهذا يفيد ان أهل البادية وأشباههم تبسط لهم الدنيا ويصيرون أهل ثروة وشوكة فيملكون البلاد ويتوطنون ويبنون القصور ويشيدونها ويتباهون بها فهو اشارة الى كون الاسافل يتولون الرياسة ويعطون السياسة فسبحان من بيده ملكوت كل شى واليه ترجعون

تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »أي ان العبد يطيع الله ويخضع له ويذل ويكون حاله في عبادته كمن راى الله وهذا مقام المشاهدة فان لم يك يراه ولم يصل الى هذا المقام فيستمر في احسانه العمل واتقانه العبادة باخلاص فيها فان الله يراه لانه القائم على كل نفس بما كسبت المشاهد لكل أحد من خلقه في حركته وسكونه وهذا مقام المراقبة

وقد راى بعض المفسرين تفسيرا وجيها ومعنى دقيقا بجعل «تكن» فعل الشرط «وتراه» جوابها مشيرا الى مقام المحو والفناء يعني ان الانسان اذا فني عن نفسه ولم يصر شيئا حتى كانه ليس بموجود فانه حينئذ يري الله لان نفسه هي الحجاب بينه وبين شهوده فمن القى الحجاب راى الجناب؟

هذه كلمات تفضل بها علينا حضرات اصحاب الفضيلة الذين عرضنا عليهم أصل الكتاب بعد ان شرفوه باطلاعهم عليه فلا يسعنى ازاء هذه المكرمات الخالدة الا ان أطلب من الله تعالى أن يتفضل عليهم بخير مكافأة لهم عنى انه على ذلك قدير م

كلمة حضرة صاحب الفضيلة الامام الاعظم احد هيئة كبار العلماء ومفتى الديار المصريه سابقا الشيخ محمد بخيت

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذى أعلى شأن الشرع واكرمنا به وهدانا للحق اليقين بما شرعه فى كتابه وضمن حفظه من ان يناله شيء من كيد الملحدين فقال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المأمون المنزل عليه وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وعلى آله الطيبين واصحابه الذين هم الواسطة فى نقل الشريعة المطهرة لمن بعدهم من العالمين «اما بعد» فقد اطلعت على الكتاب المسمى «بالتعاليم الدينية فى اصلاح الهيئة الاجتماعية» تاليف حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الفتاح عكاشه فوجدته قد اجاد وضعه وتنسيقه وبين فيه ان الشرع الشريف مشتمل على ما ينفع الناس فى امورهم وحفظ كيانهم وموجب لاعزازهم وتقدمهم ان تمسكوا بالعمل بقوانينه وارشاداته. وانهم لم يتأخروا الا بعد

ان اهملوا التعاليم الدينية وجعل باسهم بينهم وتفرقوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون «ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده» وبين انه لا مخرج لهم ليعود اليهم مجدهم ويحسن حالهم الا برجوعهم اليه يشهد لذلك ما اخرجه ابن مردويه « عن على رضى الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امتك ستفتن من بعدك فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل ما المخرج منها فقال كتاب الله العزيز الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ووجدت هذا الكتاب وحيدا فى بابه اذ اكثر فيه مؤلفه من الشواهد العقلية والنقلية وزاد عن حوض الدين اذى الملحدين نفع الله به المسلمين وجعل عمله مقبولا وسعيه مشكورا وجزى الله مؤلفه احسن الجزاء ووفقه لما يحبه ويرضاه بجاه من هو للانبياء ختام عليه الصلاة والسلام م

مفتى الديار المصرية سابقا

محمد بخيت

كلمة حضرة صاحب الفضيلة فيلسوف الاسلام أحد هيئة كبار العلماء الشيخ يوسف أحمد نصر الدجوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومحبيه وبعد فقد هيألى القدر أن أطلع على كتاب (التعاليم الدينية فى اصلاح الهيئة الاجتماعية) الذى عنى بتأليفه ثم طبعه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ المفضال الشيخ عبد الفتاح عكاشه أحد حاملى شهادة العالمية ثم شهادة التخصص للقضاء الشرعي فاذا موضوع ضخم. الناس اليوم فى حاجة شديدة الى الاحاطة به وفى حاجة أشد الى العمل بما يقتضى كيف لا وغرضه الذى يرمى اليه (اصلاح الهيئة الاجتماعية) التى أعضل داؤها وعز شفاؤها على مهارة و كثرة فى أطبائها فكان خير حكيم شخص الداء ووصف له انجع دواء

فهل ننصف الاستاذ المؤلف ونحمده على عنائه الطويل الذى لاقاه فى تشخيص ذلك الداء ثم نقبل على دوائه هذا الذي بذل من جهد فى اعداده إقبال المريض الذي مابرحت به آلام الأسقام على مايعلم أنه راحته وشفاؤه . ذلك ما ننتظره من الأمة عملا بارشادات ذلكم المصلح الحكيم والناصح الأمين

ونسأله عز وجل وهو أكرم مسئول ان يجزل احسانه الى المؤلف كما أجزل احسانه الى عباده وان يزيده توفيقا ليضاعف عمله فى ارشاد الخلق الى مافيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة وان يكثر من أمثاله الذين

يسهرون عيونهم ويكدون افكارهم وينهكون أبدانهم لاصلاح ما فسد من البلاد والعباد آمين م؟

يوسف أحمد نصر الدجوى

ختم

كلمة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد على الشهير بالحداد أحد كبار علماء الازهر وشيخ جميع المقاري المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن اصطفى من عباده من يحفظ الشرع القويم وصلاة وسلاما على سيدنا محمد النبي الكريم الذى أنزل عليه الذكر الحكيم تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين « أما بعد » فقد اطلعت على الكتاب المسمى (بالتعاليم الدينية فى اصلاح الهيئة الاجتماعية) لمؤلفه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ عبد الفتاح عكاشه

فاذا هو آداب دينية وأخلاق نبوية فيه شفاء للنفوس من عللها الاجتماعية. قد اشتمل على ما ينفع الناس فى معاشهم ومعادهم لو أنهم تمسكوا به واهتدوا بهديه وكيف لا وقد جاء مدعما بالشواهد العقلية والادلة النقلية مما أماط به اللثام عن وجه الشريعة الغراء وأظهر للمكلفين حكمة مشروعية الاحكام

ولاسيما ماتضمنه من بيان الطرق المشروعة لتلاوة كتاب الله تعالى وبيان آدابه التى لو اتبعها القراء والمستمعون لتدبروا حق معناه وعملوا بمقتضاه فالله أسأل أن ينفع به الناس وأن يجزى مؤلفه أحسن الجزاء على حسن صنيعه وعظيم جهاده انه على كل شىء قدير

شيخ المقارى المصرية
محمد على خلف الحسينى

فهرس الكتاب

المقصد الاول

صفحة

صفحة

صحيفة

المقصد الثاني

صحيفة

صحيفة

بعد ان راجعنا الكتاب اكتفينا بذكر صواب الخطأ المطبعى وهاهو

صفحة	سطر	صواب	صفحه	سطر	صواب
١٥	٥	قبله	٦٥	٢٠	جواره
١٧	١	ان شاء الله	٦٧	١٥	وهي السكين
٢٥	٢	استبعدت	٧١	١٦	كاملا
٢٨	١٢	مسلولة	٧٤	٧	للارجولة
٢٩	٣	بويضة	٧٤	١٣	تعصيه
٤٣	٥	غير منتظمة	٧٦	١٤	فبدلت
٤٤	٦	اثاثات	٨٧	٤	ومايعزب عن ربك من مثقال
٤٤	٧	فيها من الزاهدين	٧٧	١٤	الفساد
٤٤	١٨	فوصلوا بكل	٧٨	١٩	الصحيح
٤٥	٢	بعد ان وصل	٨٤	١٤	يتعرض لمن يرونها
٤٨	٩	فهمها	٨٦	١٥	ونحى نفسه
٤٩	٩	قومنا نياما	٨٧	١٣	ولم تستحى
٥٣	١١	تصلح	٩١	١٥	فيضان
٥٨	١٠	عنتم	٩١	١٦	ويدوران
٦١	٦	انما بعثت	٩٣	١	فى لباسه وكذا المرأة
٦٣	٤	الخنس	٩٦	١	آن تعصيه
٦٤	١٠	مازال جبريل	٩٦	١٤	فاقتنعن
٦٤	١٠	يورثه	٩	١١	يتصفح كتاب الشمائل المحمدية

صفحة	سطر	صواب
١٠٦	٧	فليغيره
١١١	٧	ملائكة
١١٣	٢	ولم تلاثم
١١٦	٤	الرجولة
١١٧	٣	العدا
١٢٢	١	طفولتهم
١٢٤	١٨	سبابته ووسطاه
١٢٩	٧	ان شاء الله
١٣٦	٣	يشبهه
١٤٦	١٥	وكانوا
١٧٨	١٧	خارج مكة وكانت هذه
١٧٩	٢	وجعلنا
١٨٣	١٥	مثل (مس) من مستفعلن
١٨٨	١٩	وهو لضرب النبل
١٩٨	١٨	ربه بقراءته
٢١١	٥	كانوا


Bibliotheca Alexandrina
06332606